

الإعلام الفضائي والهوية الثقافية

دڪتور محمد ثاصر عبد الباسط

2015



حقوق النشر والتوزيع

جميع حقوق اللكية الأدبية والفنية محفوظة لدار المرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع الإسكتلرية - جمهورية مصر العربية - ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة الكتاب كاملاً أو مجزاً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو بدخاله على الكومبيوتر أو برمجته إلا بموافقة الناشر خطياً.

كتاب

عدد الصفحات : 202

المؤلسسسف: دكتور محمد ناصر عبد الباسط

الإعلام الفضائي والهوية الثقافية عنوان الكتاب :

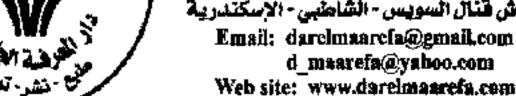
رقم الايــــناع :

الترقيم الدولى :

الإدارة: ٢٦ ش سوتير - الأزريطة - أمام كلية الحقوق جامعة الإسكندرية -جمهورية مصر العربية

قليطون، 163 70 48 00203 هاكس، 454 30 463 00203 محمول: 913 1666 912 002

الفرع ١٨٧٠ ش قنال السويس - الشاطبي - الإسكندرية Email: darelmaarefa@gmail.com d_maarefa@yaboo.com





بران القالم وما يسطرون

صدق الله العظيم (القلم أيد ١)

إهداء

إلى مروح والدي تحية تقدير وعرفان بانجميل ودعوة من القلب بالرحمة والمغفرة

مقدمة

أضحى من المؤكد أن التليفزيون يقوم الآن بأدوار غاية في الأهمية في بجال المتربية والتكوين ، وأن قدرته على النفاذ والاختراق والتأثير ألغت أو قللت من أهمية الأدوار التي لعبتها وسائل الاتصال الأخرى فيها يتعلق بعمليات التنشئة. وقد ساعدت التقنيات المتطورة في مجال الاتصال هذه الوسيلة على أن تتواجد خارج حدودها وبكفاءة عالية بحيث أصبحت رسائلها جزءا من نسيج المجتمع وحياته، وذات تأثير مباشر في التكوين الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي للمجتمعات ، فضلا عن تشكيل الوعي ، وتحديد مسار الأفراد والجماعة . ومن هذا المنطلق فإن الحفاظ على الهوية الثقافية - في ظل سهاوات مفتوحة - أصبح التحدي المطروح على شعوب العالم، فالتدفق الإعلامي غير المسبوق الذي يحمل هذا الكم الهائل من المعلومات والأفكار والآراء والمعتقدات والتقاليد ربها يحمل أيضا نوعا من الاختراق والغزو والآراء والمعتقدات والتقاليد ربها يحمل أيضا نوعا من الاختراق والغزو الثقافي وتشويه الوعي وخلخلة الشخصية القومية للشعوب، تحت شعار حرية المثافي والديمقراطية .

والسؤال الذي نطرحه الأن .. كيف يمكن التعامل مع هذا التدفق الإعلامي؟ . إننا لن نستطيع وقف هذه الرسائل الإعلامية الوافدة استنادا إلى أبة شرعية أخلاقية كانت أو قانونية أو بزعم العمل على تحقيق مصلحة عليا للأمة . كما أن المنع على الصعيد المعاش أمر غير ممكن في ظل التطور الهائل الذي يعرف طريقه إلى المنتجات الاتصالية .

وفي ضوء هذه الإشكالية .. ماذا عن القطاع الضضائي العربي ودوره المستقبلي في دعم ومساندة وتعميق الثقافة القومية؛ وما الـذي يمكـن أن يـضيفه إلى واقـع المتلقـى العربـي مـن حيـت تطـويـر معارفـه ومداركــه ، والتأثير في أنماط سلوكه ، وحمايته من الثقافة الاستهلاكيـة ؟.

إن النجاح في استثهار القنوات الفضائية العربية يتطلب فهم مهام الإعلام الوطنى وخصائص الثقافة القومية ، وكذلك الوقوف على المشهد الراهن للإعلام العالمي ، وعلاقة الإعلام بالتنمية المشاملة، وبمسارات الحرية والديمقراطية ، وبحق الاتصال والتعبير وتعددية الآراء ، وتنفيذ خطة إنتاج واسعة تعي أهمية المشكل ، والممضى خطوات على طريق زيادة وتفعيل الاتفاقيات الإعلامية بين الدول العربية . على صانعي السياسات في القطاع الفضائي العربي أن تعي مسئولياتها تجاه واقع الثقافة العربية ومستقبلها و إلا يصبح هذا القطاع مشاركا في دفع المواطن العربي إلى فضائيات أخرى قد تهدد عويته.

والحديث من الهوية الثقافية يقودنا إلى طرح قضية "المأثور الشعبى" في مصر العولمة ، وما يمكن أن يقوم به من أدوار بوصفه وسسيلة للمدفاع عبن الهويسة والمواطنة .. وإلى أي مدى أثرت التكنولوجيا الحديثة على مصداقيته .. وهسل تراجعت عناصره أما م الطفرات العلمية المتلاحقة التي نعيشها الآن ؟

وعلى الجانب الآخر ما هو الدور الذي يمكن أن يلعبه القطاع القسضائي العربي في الوقوف على ما يتضمنه المأثور الشعبي من قيم خلقية وفنية؟ وكيف يمكن شرح دلالات هذا المأثور لغبر أصبحابه بها ينضمن بلورة الركائز الأساسية التي تقوم عليها ثقافة الشعوب؟

وإذا كانت هناك بعض الآراء التي ترى في وسائل الإعلام خطرا يهدد مأثورات الشعوب ، إلا أن الدور الإيجابي الذي تلعبه هذه الوسائل في الحفاظ على أنهاط وصيغ المأثور الشعبي والترويج لها أمر لا يمكن إنكاره . إن التقدم

التكنولوجي الهائل الذي عرف طريقه إلى وسائل الاتصال جعل من الممكن قصل المكان عن الهوية، والقفز فوق الحدود الثقافية ، والتقليل من مشاعر الانتساب أو الانتياء إلى مكان بعينه ، ومن هذا المنطلق فإن الوقوف على واقع المأثور الشعبي أو التنبؤ بمستقبله _ في ظل المتغيرات التي يعيشها العالم الآن _ أصبح أمرا غاية في التعقيد ، فهذا التراث ينتمي إلى ثقافات لم تعد معزولة أو بعيدة عن التأثيرات الخارجية .

وفي ظل ذاتية المأثور الشعبى و خصوصيته يدور الآن نقاش شائك حول العلاقة المعقدة بين إعلام العولمة ، ومستقبل هذا الموروث ، ومعالجة هذه القضية تستوجب طرح مجموعة من التساؤلات ... الثقافة المشعبية في عصر السموات المفتوحة هل تبقى محتفظة باستقلاليتها النسبية بعيدة عن أى تأثير لموجات فضائية وافدة؟ هل ستظل تلك الثقافة تنهل أسباب وجودها وكيانها من مصادر داخلية "وطنية" هي التي تشكل ملاعها ، وتحدد أنهاط تكيفها مع العوامل الكونية الجديدة أم أن هناك مصادر أخرى غير وطنية " كونية " مثلا سوف تفرض على هذه الثقافة مفردات لم تعرفها من قبل ؟.

وفى ظل هذا التحول الكونى .. كيف يمكن الاستفادة من تقنيات العولمة في مجال الاتصال لتوفير حماية ورعاية أكبر لعناصر الثقافة الشعبية مع إتاحة الفرصة كاملة لمزيد من التفاعل الإبجابي بين الثقافات الإقليمية والثقافة الوافدة عبر البث الفضائي .

والحديث عن الإعلام الفضائي وتأثيره المتنامي على ثقافات الشعوب له ما يبرره ، فالمجتمعات تخشى في ظل الانتشار الهائل لوسائله أن تجد نفسها أمام ثقافة هي أبعد ما تكون عن نظمها وقيمها وتقاليدها المتوارثة .

ولا شك أن البث الوافد قد يحمل خطرا يهدد الثقافات الإقليمية حيث يتعرض الناس في المجتمعات الأقبل تطورا لغزو أو على الأقبل لنوع من الاختراق الثقافي الذي لا يراعي أي خصوصية ثقافية.

ومهما يكن من أمر فإن الضرورة البحثية تحتم معالجة التأثيرات الثقافية المصاحبة للبث الفضائى الوافد على عناصر ومفردات المأثور المشعبى ف منطقتنا العربية للوقوف على المضامين المختلفة التي يحملها هذا البث، ومدى تأثيرها على موروثاتنا الشعبية التي كانت إلى عهد قريب بمثابة عوالم تكتنفها الغرابة والخصوصية، هذا إلى جانب متابعة قدرة الثقافة الشعبية على التأقلم مع أنهاط العولمة الجديدة.

وهنا نشير إلى نقطة غاية في الأهمية .. الدور الأساسى الدى ينبغى أن تلعبه الفضائيات العربية في نقل هذه الموروثات الشعبية خارج حدود الوطن بعد غربلتها لبلورة الركائز الأساسية للشخصية العربية ، وهذا بدوره سوف يساعد على إيجاد نوع من التفاعل الإيجابي بين الثقافة العربية وثقافات العالم .

وإذا كان عصر الفضاء يتيح فرصا كبيرة للمأثور الشعبى كى ينطلق خارج حدوده من خلال برامج خاصة به، فإن هذه الانطلاقة تحتاج إلى استراتيجية محددة وفكر واع .. تحتاج إلى جيل من الإعلاميين يـومن بقيمة المأثور الشعبى ، وقدرته على البقاء والاستمرارية فى ظل المتغيرات الحالية ، والإفادة منه فى رسم ملامح الواقع والمستقبل .

إن المأثور الشعبى زاخر وغنى بالتجارب ، فيه تتوفر الأسس التكوينية للشخصية العربية ، وهذا المأثور يعيش حاليا صراعا مع التحول السريع نحو المدنية ، وهو قادر على التغير وفيه من المرونة ما يجعله قابلا للتطور ، وهذا ما يجب أن يراعيه واضعو السياسات الإعلامية في القطاع الفضائي العربي .

د/ محمد تاصر عبد الباسط

البّائِ الْحَوْلُ انظمة الإعلام الفضائي العربي والواقع الثقافي

الفصل الأول: المجتمعات العربية وتحكنولوجيا الاتصال. الفصل الثاني: القطاع الفضائي العربي .. وتحديات الألفية الثالثة.



الفصل الأول الجتمعات العربية وتحكنولوجيا الاتصال

مقسدمج

في البداية نتفق على أننا نعيش عصرا تحتل فيه المعلومة مكانة ما كان لأحد أن يتخيلها إنه العصر الذي عرف بالكثير من المسميات نذكر منها "

١- عصرما بعد الصناعة: وصاغه دانيال بل و (Bell,D) وربا يكون قد سبقه إليه " آلان تورين" عالم الاجتماع الفرنسي وأحد أقطاب المدرسة البنيوية، وذلك في محاولته كشف آفاق النمو الاجتماعي وتحليل الطبقية في المجتمع الحديث.

٢-عصرما بعد الحداثة: يرتبط برؤية فيلسوف ما بعد البنيوية " جان فرانسو ليوتار" حول تغير طبيعة المعرفة وآليات إنتاجها وتواصلها داخل المجتمع على أثر الكمبيوتر ونظم المعلومات.

" عصر المعلومات: ينتمى هذا التعبير إلى أكثر من صالم اجتهاع يمانى على رأسهم" يونيجى ماسودا" اليابانى في دراسته المستقبلية الشهيرة عن جمع المعلومات عام ٢٠٠٠، التي يطرح فيها تصوره لتحول مجتمع الميابان إلى مجتمع مغاير بشدة في أشكال تنظيهاته ومؤسساته وصناعاته، وطبيعة سلعة وخدماته، وأدوات أفراده وحكامه ونسق القيسم والمعايير التي تولد الغايات، وتحكم العلاقات بين الأفراد والجهاعات والمؤسسات داخل هذا المجتمع.

 ⁽١) سعيد إسهاعيل على: التعليم والإعلام (الكويت ، المجلس الوطني للثقافية والفنون
 والآداب ، مجلة عالم الفكر ، ديسمبر ١٩٩٥) ص ٣٧

ك عصر الموجة الثالثة: وصاحبه الكاتب الأمريكي الشهير" ألفين توفلر" في كتابه الشهير (صلعة المستقبل) وهو محاولة لتنميط حركة الارتقاء الحيضاري مبشرا بقدوم موجة ثالثة بعد موجتي الزراعة والصناعة، تحمل في طياتها أنهاطا جديدة للحياة، من أبرز ملاعها استخدام مصادر طاقة متنوعة ومتجددة، وطرق إنتاج جديدة والاعتباد على علاقات ومؤسسات تختلف اختلافا جادا عن تلك التي عهدناها خلال الموجة الثانية. "

وتتمثل أبرز ملامح عصر المعلومات فيما يلي : (٢)

أولا: إنه عصر يقوم على إنتاج المعلومات وتداولها من خلال آلية غير مسبوقة هي الحاسب الآلي الذي أدت أجياله المتعاقبة إلى إحداث ثورة فكرية في مجال إنتاج وتوزيع واستهلاك المعارف الإنسانية، فإذا أضفنا القفزة الكبرى في مجال الاتصال، وخاصة الأقهار الصناعية التي تنتمي إلى ثقافات مختلفة عما من شأنه أن يوثر على القيم والعادات والاتجاهات، ويسؤدي تسدريجيا إلى ما يمكن أن يطلق عليه (السوعي الكوني)

ثانيا: إن المعلومات بطبيعتها غير قابلة للاستهلاك أو التحول أو التبدد لإنها تراكمية ، وهي متاحة لكل الناس من خلال شبكات المعلومات وبنوكها، وعلى هذا الأساس فإن سر الواقع الاجتهاعي العميـق لتكنولوجيـا

⁽۱) نبيل على : العرب وعصر المعلومات (الكويست ، المجلس الوطنى للثقافة والقشون والآداب ، عالم المعرفة ، العدد (۱۸٤) ، أبريل ۱۹۹٤) ص ۱۳ .

 ⁽۲) السيد يسين: الموجة الثالثة ، موقع الوطن العربي من ثورة المعلومات (دمسق ،المركز العربي للدراسات الإستراتيجية، مجلة الرسالة، العدد الثاني، أبريل ١٩٩٧.

المعلومات يتمثل في التركيز على العمل الذهني ، وتعميقه مـن خـلال إبـداع المعرفة .

ثالثا: سيتحول النظام السياسي لكي تسوده السياسات التي تنهض على أساس الإدارة الذاتية ، التي يقوم بها المواطنون ، والمبينة على الاتفاق ، وضبط النوازع الإنسانية، والتأليف الخلاق بين العناصر المختلفة .

رابعا: سيتشكل البناء الاجتهاعي المحلى من مجتمعات محلية متعددة المراكز ومتكاملة بطريقة طوعية .

خامسا: ستتغير القيم الإنسانية ، وتتحول إلى الاستهلاك المادي، وليس إلى إشباع الإنجاز المتعلق بتحقيق الأهداف .

سادسا: أعلى درجة من مجتمع المعلومات ستتمثل في مرحلة تتسم بإبداع المعرفة من خلال مشاركة جماهيرية فعالة ، والهدف النهائي منها هو التشكيل الكامل لمجتمع المعلومات الكوني.

سابعا: إنه عصر الدخول في الاقتصاد الرقمى ، أو الاقتصاد غير محسوس الوزن ، والمعروف أيضا باقتصاد المعرفة أو الاقتصاد غير المادى أو الاقتسصاد غير الملموس .

ثامنا: إن التغييرات الوشيكة الأجهزة والبرامج والبنية الأساسية ، سوف تعمل بنسب متفاوتة على تغيير حياتنا الاجتباعية ، ونظمنا العائلية ووظائفها ووسائل التسلية والترفيه واقتصادنا ، بل ونظرتنا لمكاننا في هذا الكون وكسل من يشارك في عصر ثورة المعلومات القادمة - وهذا يشملنا جميعا - يحتاج إلى معرفة (ماذا سيحدث؟) (١)

ولا شك أن مجتمع المعلومات الذى نعيشه الآن – ومن المنتظر أن تعيشه أجيال قادمة - سوف يوفر لنا كما هائلا من المعلومات ، وهذا يعنى أن على الإعلام أن يعيد ترتيب أوراقه فى ظل هذه المتغيرات ، عليه أن يوسع هامش الحريات ، أن يتطرق إلى كافة القضايا والموضوعات عالميا وإقليميا ووطنيا ملتزما بالصدق والموضوعية فى عرض وتناول مثل هذه الموضوعات .

إن تدفق المعلومات قد يعنى بالنسبة للإصلام ذاته الكشير فهى موارد إعلامية لم تكن متاحة من قبل، موارد من شسانها أن تدعم الأداء الإعلامى، تدفعه خطوات على طريق المصداقية بعيدا عن مشكلة نقص المعلومات التى كان من أثرها زيادة المساحة البلاغية واللغوية التى سيطرت على الخطساب الإعلامى – خاصة العرب – ولفترات طويلة.

ويعتقد الباحث أن الاستفادة القبصوى من موارد المعلومات بالنسبة للإعلام تحتاج إلى جيل من الإعلاميين المؤهلين للتعامل مع المعلومة جمعا وتحليلا ومعالجة .

⁽۱) مايكل ديرتوزوس : ماذا سيحدث ، كيف سيغير عبالم المعلوسات الجديد حياتشا (القاهرة ، ترجمة الهيئة العامة للاستعلامات ، ١٩٩٩) ص ٩٩

النظام الإعلامي العربي .. الأبعاد والخصائص:

الإعلام في أبسط تعريف له ، هو تزويد الناس بالمعلومات الصحيحة والحقائق والأخبار المؤكدة بقصد معاونة هؤلاء على تكوين انطباع أو رأى سليم تجاه مشكلة أو مسالة عامة ، أى أن الإعلام - كما ينبغى أن يكون - يقوم على مخاطبة العقل بعيدا عن الغرائز والعواطف، دوره يتمشل في نقل صورة الشيء لا إنشاء هذه الصورة، ومن هنا يمكن القول: إن الإعلام لا يرسم سياسة الدول ، بل هو معبر عنها فقط .

وهناك من يعرف الإعلام بأنه (عملية اتصال موضوعية ومجردة وحيادية بشكل عام ،هدفها مشاعر الجهاهير عن طريق إعلامها بالحقائق كها هي^{١٠٠}

وهو أيضا كها يرى بعض منظريه (نشر الأفكار أو المواقف التي تؤثر على الآراء أو السلوك أو كليهها"

ويرى نبيل على أن مفهوم الإعلام الذى يرتكز أساسا على مهمة توجيه الرسائل من المرسل إلى المستقبل، قد آن لهذا التوجه أن يتغير في ظل تكنولوجيا المعلومات ليصبح تواصلا أى حوارا ذا اتجاهين، لا مجرد إعلام أحادى الاتجاه يصب "جام" رسائله على مستقبله أو "مستسلمه" إذا أردنا الدقة وجاز التعبير، إنه التواصل بمعناه المواسع الذى لا يقتصر على إسلاغ الرسائل، بل يتجاوز ذلك إلى مهام التعليم والمتعلم والترفيه، واسترجاع

 ⁽۱) حاطف حمدي العيد : الاتصال والرأى العام (القساهرة ، دار الفكسر العربى ، ۱۹۹۳)
 ص ۱۹.

⁽²⁾ Geoffrey k, Roberta A dictionary of political, London Longman, 1971. P.197.

المعلومات ، ويستمل أيسضا التراسسل عبر البريسد الإلكترونس ، والتحساور والتسامر من خلال حلقات النقاش ، وعقد المؤتمرات عن بعد · · ·

وقد ارتبط الإعلام - كعادة العلوم في مرحلة التكوين - بعلوم أخرى مثل "علوم العربية ، وعلم النفس والاجتباع والعلوم السياسية والإدارية والقانونية ، وقد استقل بعد ذلك فأصبح له نظرياته وتقنياته ، ومنتجانه ، وجاءت تكنولوجيا المعلومات لتضيف له أبعادا ما كان أحد يتوقع مدى وعمق تأثيرها على كافة مجالات الحياة .لقد أصبح الإعلام يقدم معرفة فعالة قوية ، معرفة هي أقرب إلى سلطة تفرض نفسها وبقوة على كافة المجتمعات .

وتتكون عملية الإعلام من خسة عناصر هي : مصادره ، ومضمونه ، ووسيلته ومتلقيه ،وهدف الإعلام أو الأثر الذي يتوقع أن يحدثه المضمون في المتلقى ويشمل كل من هذه العناصر الخمسة عدة متغيرات تتفاعل فيها بينها وتتبادل التأثير ، فأى تغيير في إحداهما يؤدى إلى تغيير في العملية ككل ، وتتوقف فعالية أحدها على وجود المتغيرات الأخرى ، وعلى مدى إسهامها في نتاج المخاطبة أو عملية الإعلام. ﴿ والنظام الإعلامي العربي يتمثل في كونه نظاما إقليميا فرعيا يتفاعل وبقية الأنظمة الإعلامية الإقليمية مع النظام الإعلامي الدولى ، الذي يتكون من عناصر : قنية ، واقتصادية ، وسياسية ، وتنظيمية ، وثقافية ، وعناصر للسيطرة الاجتماعية ومن المضروري عند دراسة النظام الإعلامي الدولى تحليل عناصر ه ومكوناته على مستوى النظم الفرعية ،

 ⁽١) نبيل على : الثقافة العربية ، وعصر المعلومات (الكويست ، المجلس السوطني للثقافة والفنون والآداب، مجلة عالم المعرفة، العدد (٢٦٥)، يناير ٢٠٠١) ص ٢٦٤.

 ⁽۲) عبد المنعم شمحاته: مكونات الإصلام وآثاره من منظور علم النفس (الكويسة،
المجلس الوطني الثقافي والفنون والآداب، مجلة عالم الفكس، ديسمبر ١٩٩٥) ص
٢٩٣.

وعلاقات التأثير المتبادل بينها ، وفي هذا السياق فإن عناصر التحليل تتضمن : التكنولوجيا المستخدمة ، وفلسفات النظام (السياسات والأيديولوجيات) والأهداف التي تسعى إلى تحقيقها ، والمضمون ، والعلاقات بين النظام الدولى للاتصالات، والسنظم الفرعية ، وعناصر كل نظام ، وأخيرا المتلقين أو الجمهور.

وكان فاروق أبو زيد قد حدد خسة أبعاد لمفهوم النظام الإعلامي هي:
الفلسفة الإعلامية التي يقوم عليها النظام الإعلامي، وهي مجموعة المبادئ
والأسس الفكرية ثم السياسات الإعلامية، وهي البرامج التطبيقية للفلسفة
الإعلامية، ثم الإطار القانوني الذي يترجم الفلسفة الإعلامية إلى تشريعات
تحكم عمل المؤسسات الإعلامية، ثم البنية الاتصالية الأساسية، وتشمل
مستوى تكنولوجيا الاتصال والكوادر البشرية المتاحة، والإمكانيات المادية
وغيرها وأخيرا تأتي المهارسات الإعلامية في الواقع الفعلي "

وقد جعلت بعض المحاولات البحثية من عناصر ومكونات وأبعاد النظام الإعلامي العربي هدفا لها سواء على مستوى كل قطر عربي ، أم على المستوى العربي بعامة ، ومع أن هذه المحاولات المسحية لم تستخدم مداخل للتحليل المقارن إلا أنها وفرت قدرا معقولا من المعلومات والبيانات ، علاوة على قدر من التحليل الذي تأثر بثلاثة نهاذج إرشادية هي : النموذج الوظيفي ، والنموذج النقدى ، كما تتأثر ببعض مقولات مدرسة والنموذج المعرفي ، والنموذج السياسي والانجاه القومي العربي "

 ⁽۱) فاروق أبو زيد: انهيار النظام الإحلامي الدولي (القياهرة، مطابع الأخبار، ط۱
 ۱۹۹۱) ص١٤٩.

 ⁽۲) محمد شومان: عولمة الإعلام ومستقبل النظام الإعلامى العربى (الكويست ، المجلس
السوطنى للثقافة والفنسون والآداب ، عسالم الفكسر ، المجلسد (۲۸) ، العسدد الثمانى ،
ديسمبر ۱۹۹۹) ص ۱۵۱.

وفسيا يسلى اسستعراض سريسع لأهسم خسصائص النظسام الإعلامسى العربى كها عكسته بعض الدراسات والبحوث المسحية :

أولا: تشابه السياسات الاتصالية: من حيث سعيها إلى دمج الإعلام في مؤسسات ورموز السلطة السياسية، وتوظيف الخطاب الإعلامي سياسيا ودعائيا وترفيهيا، وذلك على حساب وظائف أخرى للإعلام، وهو ما يطلق عليه "الإعلام الموجه"، ويصاحب مثل هذا الفكر الإعلامي عادة نوع من المركزية الشديدة على كافة أشكال ومحارسات الاتصال سواء جغرافيا أو إداريا.

كما تتشابه السياسات الاتصالية في العديد من أوجه القصور والتضارب أهمها: العسوائية ، وغياب التخطيط والافتقار إلى المعلومات والوشائق والبحوث وقلة القطاعات المشاركة في صنع السياسة الإعلامية " وهذا بطبيعة الحال بصيب الحياة الثقافية في المجتمعات العربية بضربة ، بل بضربات قاسية.

تانيا: تشابه المضمون: رغم تنوع وتباين المضامين الإعلامية الصادرة عن النظام الإعلامي العربي إلا أنها تلتقي عند عدد محدد من الأهداف والاستراتيجيات أهمها التركيز على الشئون المحلية، وغلبة الطابع الدعائي والاستهلاكي مقارنة بأهداف واستراتيجيات التعليم والتثقيف، علاوة على تسييد لهجات وأنباط الحياة في الحضر والعواصم العربية، وبعضة عامة لا تتسع وسائل الإعلام العربية إلا لوجهات النظر الرسمية، كها تنطبوي على اتجاه واحد لسريان المعلومات من السلطة إلى الجهاهير، ومن النادر إنتاج

 ⁽۱) راسم محمد الجهال: الاتصال والإعلام في الوطن العربي (بسيروت، مركز دراسسات الوحدة العربية، ١٩٩١) ص ص ص ٢٥٠

وتداول مضمون إعلامى أو ترفيهى دون أن يخضع للرجة مــا مــن درجــات الرقابة التى تتفاوت شدتها من قطر إلى قطر (١)

ولأن المنتج الإعلامي المحلى بها يجمله من مضامين متشابه لا يكفي لسد حاجة وسائل إعلامه فقد سادت استراتيجية الاستيراد حيث تسعى معظم منظومات الإعلام العربي إلى استيراد موارد إعلامية جاهزة من بعض الدول الأجنبية هي أبعد ما تكون عن القيم والفكر العربي .

ثالثا: ملكية الدولة: باستثناء "لبنان" تحتكر الدولة في النظام الإعلامي العربي ملكية وإدارة الإذاعة والتليفزيون، بينها تعدد أنهاط ملكية الصحف بين الملكية الخاصة، والملكية المختلطة، مع وجود ضوابط وقيود على إصدار وامتلاك الصحف وقد دفعت هذه القيود إلى جانب أسباب أخرى بعض الأفراد والجهاعات لإصدار صحف عربية من دول أجنبية كبريطانيا، وقبرص، وفرنسا، وعلى جانب آخر أتاحت التكنولوجيا الحديثة لبعض الأفراد والشركات إنشاء قنوات عربية فضائية خاصة من دول أجنبية (2) وقد تغيرت الأوضاع مؤخرا حيث بدأت بعض الدول العربية تسمع بإنشاء قنوات تليفزيونية خاصة، وتأتى مصر في مقدمة هذا الدول، وهذا توجمه إيجابي.

رابعا: عدم التوازن في انتشار تكتولوجيا الاتبصال الجهاهيري: يتسم انتشار واستخدام تكنولوجيا الاتبصال داخيل النظام الإعلامي العربي بالاختلاف والتنوع الشديد مع وجود فجوات ملحوظة بين الدول التي

 ⁽١) حسين العودات : التكامل بين السياسات الثقافية والسياسات الإعلامية في الوطن
 العربي (تونس ، المجلة العربية ، العدد (٣٥) سيتمبر ١٩٩٨) ص ١٦، ٦٤ .

 ⁽۲) محمد شومان : حولمة الإعلام ومستقبل النظام الإعلامي العربي ، مرجع سبابق ص
 ۲۵۲.

تشكل وحدات هذا النظام وتعكس هذه الاختلافات تباينا على مستوى التطور الاقتصادى والاجتهاعي والتعليمي بين الدول العربية ، وداخـل كـل دولة على حدة .

ومازالت وسائل الإعلام في بعض الدول العربية عاجزة عن استيعاب التطورات التكنولوجية المعاصرة واستخدامها وملاحقتها ، وعن توفير الكوادر الإعلامية الوطنية التي تفي باحتياجات الإنتاج كما ومسضمونا وشكلا"

خامسا: التبعية: يعانى النظام الإعلامى العربى من خلل هيكلى يتمثل في تبعية مدخلات و غرجات النظام وعلى مستويات عدة – للدول المصناعية المتقدمة والشركات العملاقة متعددة الجنسيات التي تعمل في عبال الإصلام وتكنولوجيا المعلومات، فالتكنولوجيا المستخدمة في النظام الإعلامي العربي تشترى من الخارج، وفي أحسن الأحوال يجرى تجميعها داخل بعض الأقطار العربية دون إمكانية حقيقية لنقل وتوطين تكنولوجيا الاتصال والمعلومات أو إنشاء صناعات عربية مستقلة.

والملاحظ أن تبعية النظام الإعلامي العربي ووحداته للقوى المهيمنة على النظام الإعلامي لا تعتبر سمة خاصة ينفرد بها النظام الإعلامي العربي ، بـل هي سمة عامة يعاني منهـا معظـم الـنظم الإعلاميـة الفرعيـة داخـل النظـام الإعلامي الدولي "

 ⁽١) منى الحديدى: تحرو خطة قومية لتحقيق التكامل بين السياسات الثقافية ،
والسياسات الإعلامية في الوطن العربي (تونس ، المجلة العربية للثقافة ، العدد (٣٥)
سبتمبر ١٩٩٨) ص ٦٠.

 ⁽۲) محمد شومان : عولمة الإعلام ومستقبل النظام الإعلامي العربي ، مرجع سسابق ، ص
 ۱۹۳ .

إن إعلامنا العربي يعيش صدمة إعلامية على مختلف المستويات: السياسية والتنظيمية والفنية، فليس بالأقيار الصناحية، والقنوات الفضائية، وأحدث المطابع الصحافية وحدها بحيا الاتصال في عصر المعلومات، وعلينا أن نقر بأننا لم نرصد بعد مسارات الخريطة " الجيو – إعلامية " الحديثة، وهو ما عبر عنه التقرير الإستراتيجي العربي لعام ١٩٩٩ بضعف الاستجابة إلى عولمة الإعلام.

نقد فقد إعلامنا العربي غوره وأضحى مكبلا بقيود ارتباطه الوثيق بالسلطة ، تائها بين التبعية الفنية والتنافس السلبي على سوق إعلامية إعلانية عدودة ، وكان نتيجة لذلك أن أصبح رهين الإعلان من جانب، وذليل الدعم الحكومي من جانب آخر ، إن إعلامنا العربي يواجه عصر التكتلات الإعلامية مشتتا عازفا عن المشاركة في الموارد ، يعاني من ضمور الإنتاج وشح الإبداع ، حتى كاد وهو المرسل بطبيعته أن يصبح نفسه مستقبلا للإعلام المستورد ليعيد بنه إلى جماهيره "

لقد وقعنا فى فخ شباك الإعلام والاتسال ، شبكة الأقهار السعناعية ، وشبكة الإنترنت ، وشبكة التكتلات الإعلامية المتعددة الجنسيات ، ولا يمكن للمرء أن ينكر بعض المحاولات الناجحة لتطوير الإعلام العربى فى مجالات الصحافة والإذاعة والتليفزيون إلا أن هذه المحاولات تظل دون الحد الأدنى المطلوب المطلوب المطلوب المطلوب المطلوب المحافة والتليفزيون إلا أن هذه المحاولات تظل دون الحد الأدنى المطلوب المطلوب المطلوب المطلوب المطلوب الموافقة والتليفزيون إلا أن هذه المحاولات تظل دون الحد الأدنى المطلوب المطلوب المطلوب الموافقة والتليفزيون إلا أن هذه المحاولات تظل دون الحد الأدنى المطلوب المطلوب المطلوب الموافقة والتليفزيون إلى الموافقة والتليفزيون إلى أن هذه المحاولات الموافقة والإذابية والتليفزيون إلى أن هذه المحاولات الموافقة والمؤلفة والتليفزيون إلى أن هذه المحاولات الموافقة والتليفزيون إلى أن هذه المحاولات الموافقة والتليفزيون إلى أن هذه المحاولات الموافقة والمؤلفة والتليفزيون إلى أن هذه المحاولات الموافقة والتليفزيون إلى أن هذه المحاولات الموافقة والمؤلفة والتليفزيون إلى أن هذه المحاولات الموافقة والمؤلفة والتليفزيون إلى أن هذه المحاولات المؤلفة والمؤلفة والتليفزيون إلى أن هذه المحاولات المؤلفة والمؤلفة والتليفزيون إلى أن هذه المحاولات المؤلفة والمؤلفة والمؤلف

وهنا يتساءل الباحث .. أمام الوتيرة المتسارعة للتطور والتغيير في مجلات الحياة المختلفة بقضل الوسائل التكنولوجية المتقدمة ، ومن منطلق أن الثقافة

⁽١) تبيل على : الثقافة العربية وعصر المعلومات ، مرجع سابق ص ٣٤٦.

⁽٢) المرجع السابق نفسه ، ص ٣٤٦ .

هى صهام الأمان في مواجهة اضطراب القيم والمثل والأنساق الفكرية والأنهاط السلوكية .. يتساءل الباحث عن علاقة السياسات الإعلامية العربية بالواقع الثقاف .. وإلى أى مدى تعى هذه السياسات أن الثقافة لم تعد ترف عقليا أو وجدانيا ، وإنها هى في جوهرها منظومة من القيم الجهالية واللغوية والفنية والفلسفية التي توجه مشاعر البشر وعقولهم في اتجاه الرقى والتقدم ، وتعمل على مضاعفة القدرة على الابتكار والإبداع والتواصل والتهاسك الاجتهاعى ؟

صانعو السياسيات الإعلامية في النظام الإعلامي العربي:

بقصد بصانعي السياسات الإعلامية في الوطن العربي ، كل سلطة أو جهاز أو حتى شخص قادر على أن يلعب دورا داخل هذه المنظومات سواء على المستوى القطرى أو القومي (العربي) ، ويمكن تحديد هؤلاء في "

أولا: الدولة: وتشمل جميع المؤسسات والسلطات والرموز الخاصة بالدولة التي تحظى في النظام الإعلامي العربي بدور رئيسي ومهيمن كها أنها تمتلك وتحتكر وسائل الإعلام المختلفة لتحقيق سياساتها.

ثانيا: الجامعة العربية من خلال مسنظهات العمسل الإعلامي التي تسخم مجموعة مؤسسات للتعاون الإعلامي بين الدول العربية ومنها :

- الإدارة العامة للإعلام .
- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .
 - اللجنة الدائمة للأعلام العربي .
 - مجلس وزراء الإعلام العربي.
 - اتحاد إذاعات الدول العربية .

⁽١) عمد شومان : عولمة الإعلام ومستقبل النظام الإعلامي ، مرجع سابق ، ص ١٥٤ .

- المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية.
 - اتحاد وكالات الأنباء العربي .
- اللجنة المشتركة لاستخدام القمر العربي للإعلام والثقافة والتنمية .

ورغم أن هذه المؤسسات تخضع إداريا لجامعة الدول العربية إلا أنه لا يمكن اعتبارها فاعلا مستقلا تماما عن دور دول الجامعة ، التي تشكل هذه المؤسسات وتحدد صلاحياتها وفاعليتها ومع ذلك يظل لهذه المؤسسات قدر من التأثير المستقل مكنها من أن تصبح طرفا مؤثرا إلى حد ما في وضع السياسات الإعلامية العربية خاصة فيها يتعلق بالتبادل الإعلامي بين الدول العربية .

ثالثا: منظهات القطاع الخاص: تشمل جميع المنظهات والسركات التى تعمل فى مجال الإعلام داخل النظام الإعلامى العربى، التى يملكها ويديرها أفراد أو شركات خاصة، بغض النظر عن وجود مقار وأصول لبعض هذه الشركات فى دول أجنبية، كها هو الحال بالنسبة للقنوات الفضائية التليفزيونية الخاصة، وللصحافة العربية فى أوروبا، فهى رغم عملها من خارج القواعد التقليدية للنظام الإعلامى العربى إلا أنها تعتبر من ضمن الفاعلين فى النظام المتنادا إلى نوعية الخطاب الذى تقدمه، والجهاهير التى تخاطبها.

وإذا كانت آليات التحكم أو حتى منع أو إلغاء مؤسسات القطاع الخاص تختلف من دولة إلى دولة داخل النظام الإعلامي العربي، فإن الظاهرة الجديدة التي تبلورت نتيجة العولمة والتقدم المذهل في تكنولوجيا الاتصال تتجسد في انعدام قدرة الدولة العربية وأجهزتها على مراقبة البث الفضائي أو منعه أو منع مواطنيها من استقباله.

رابعا: مؤسسات المجتمع المدنى: يقصد بها الجمعيات ، والمنظات ، والاتحادات ومراكز البحوث غير الحكومية ، التي لا تسعى إلى الربح ، وتقوم ببعض أنشطة الاتصال الجهاهيرى سواء على المستوى الوطنى (القطرى) أم القومى ، التي تؤثر بالتالى في النظام الإعلامي العربي .

ورغم ضعف وتبعثر مؤسسات المجتمع المدنى، ومحدودية دورها في النظام الإعلامي إلا أن هناك جهودا ملموسة لتطوير أداء هذه المؤسسات، وهناك أفكار وتحركات عملية لتشكيل شبكة عربية مكتملة الحلقات تساعدها على التعاون والتآزر والتضامن وتؤهلها للتفاعل في المجتمع العربي من موقع الاستقلال الذاتي، وتمكنها من التبادل الإعلامي "

إن مؤسسات المجتمع المدنى - بغض النظر عن فرص نجاحها المرتبطة بعوامل سياسية واقتصادية وثقافية - تعتبر فاعلا مستقلا ضمن النظام الإعلامي العربي، لكنها تحتاج إلى المزيد من الحربات والإمكانيات، تحتاج إلى تغيير في ثقافة المجتمع لمزيد من تفعيل أدوار هذه المؤسسات.

النظام الإعلامي العربي في ظل العولمة :

مفهوم عولمة الإعلام: على كثرة الحديث عن الإعلام والعولمة ، ودور الصور والمضامين والرموز العابرة للقوميات عبر وسائل الإعلام والمعلومات في الترويج للعولمة ، وتوحيد العالم ، فإنه لم تظهر سوى محاولات قليلة لتحديد مفهسوم عولمة الإعلام ، والمتسابع لهنذه المحساولات يلاحسط أنها السسمت

 ⁽۱) مصطفى المصمودى : الإصلام الجمعياتى فى المجتمع المدنى ، التطورات فى نظام الاتصال واتعكاساتها على المنظمات الأهلية ، ورقة عمسل مقدمة إلى المؤتمر الثقافى للمنظمات الأهلية المربية (القاهرة ، ۱۷ – ۱۹ مايو ۱۹۹۷) ص ۲۲.

بالاستقطاب الحادبين تيارين: (۱) الأول : يؤيسد بحياس ودون تحفيظ عولمة الإعلام ويبرز إيجابياتها باعتبارها تدعم من التدفق الحر للمعلومات ، وحق الاتصال ، وتوفر للجمهور فرصا غير محدودة لحريسة الاختيسار بسين وسسائل الإعلام والمعلومات .

وفي هذا السياق ناقش " جيدنز" عولمة وسائل الإعلام " Globalization " على أنها ضغط للزمان والمكان، وهي سمة رئيسية في العالم المعاصر، وأشار إلى أن عولمة الإعلام هي الامتداد أو التوسيع في مناطق جغرافية مع تقدم مضمون متشابه، وذلك كمقلمة لنوع من التوسيع الثقافية مع تقدم مضمون متشابه، وذلك كمقلمة لنوع من التوسيع الثقافية وأكد "جيدنز" على أن وسائل الاتسمال التكنولوجية الحديثة جعلت من المكن فصل المكان عن الهوية والقفز فوق الحدود الثقافية والسياسية، والتقليل من مشاعر الانتساب أو الانتهاء إلى مكان عدد وشدد "جيدنز" على أهمية دور الإعلام في خلق وتضخيم الحقائق اعتهادا على الصور والرموز" أما التيار الثاني: فيعارض بشدة عولمة الإعلام، ويسرفض ما يقال عن إيجابياتها، وينظر فيعارض بشدة عولمة الإعلام، ويسرفض ما يقال عن إيجابياتها، وينظر واليها باعتبارها نفيا للتعددية الثقافية وتسبيداً لقيم الربح والخسارة، واكيات السوق في بحال الإعلام والانصال والمعلومات، علاوة عسلى

 ⁽١) لمزيد من التفاصيل حول : تحديد مفهوم " عولمة الإعلام " انظر :
 محمد شومان : عولمة الإعلام والنظام الإعلامي العربي ، مرجع سابق ص ١٥٩ ،
 وما بعدها .

⁽²⁾ A. Giddens, Modality & Self identity: self and society in the late modern age, Stamford, C.A Stamford University, press. 1991. PP21-28

الاعتسداء عسلى حريسة وسسائل الإعسلام والحسق في الاتسصال ، وتقسويض سلطة الدولة لصالح الشركات الاحتكارية متعددة الجنسيات .

ولعل أشهر أصحاب هذا التيار " هربرت شيللر" الذي يعرف عولمة الإعلام بأنها تركيز وسائل الإعلام في عدد من التكتلات الرأسهالية (عابرة الجنسيات) التي تستخدم وسائل الإعلام كحافز للاستهلاك على النطاق العالمي .

ويؤكد " شيللر" على أن أسلوب الإعلان الغربى ومنضمون الإعلام يدفع إلى التوسع العالمي لثقافة الاستهلاك عبر إدخال قيم أجنبية تطمس أو تزيل الهويات القومية أو الوطنية "

وفى الإطار نفسه يسرى "تشومسكى" أن عولمة الإعلام هي الزيادة الفسخمة فى الإعلان ، خاصة الإعلان عن السلع الأجنبية وبالتالى انخفاض التنوع والمعلومات مقابل الزيادة فى التوجه للمعلن، ويؤكد "تشومسكى" على أن العولمة هى التوسع فى التعدى على القوميات من خلال شبكة عملاقة شاملة يحركها الاهتهام بالربح ، وتشكيل الجمهور وفق نمط خاص ، حبث يدمن الجمهور أسلوب حياة قائها على حاجات مصطنعة مع تجزئة الجمهور، وفصل كل فرد عن الآخر حتى لا يدخل الجمهور الساحة السياسية ، ويزعج أو يهدد نظام القوى أو السيطرة فى المجتمع "

Silvia washboard, when the cartof media is before the horse of identity, A critique of technology. Centred, views on globalization, communication research, Vol. 25, No. 4 August 1998. pp377-396.

⁽²⁾ www. Third word network.

إن عولمة الإعلام هي تحديد للدور المستقبلي الدي يمكن أن تلعبه وسائل الإعبلام في رسم ملامح مستقبل الشعوب من خيلال التبداخل العميق بين هذه الوسائل، ومجلات الحياة المختلفة.

إنها عملية تهدف إلى التعظيم المتسارع والمتسمر في قدرات وسائل الإعلام والمعلومات على تجاوز الحدود السياسية والثقافية بين المجتمعات بفيضل ما توفره التكنولوجيا الحديشة ، والتكامل والاندماج بين وسائل الإعلام ، والاتصالات والمعلومات ، وذلك لدعم عملية توحيد العالم ودمج أسواقه ، وتحقيق مكاسب لشركات الإعلام والاتصالات والمعلومات العملاقة متعددة الجنسيات على حساب تقليص سلطة ودور الدولة في المجالين الإعلامي والثقافي من ناحية أخرى "

 ⁽۲) محمد شومان : عولمة الإصلام ومستقبل النظام الإعلامي العربي ، مرجع سابق ،
 ص۱۲۱

حقائق وأبعاد حول عولم الإعلام:

إذا كانت عولمة الإعلام قد أصبحت الآن واقعا تعيشه الشعوب، فإن هذا الواقع قد فرض مجموعة من الأبعاد والحقائق في مقدمتها: التكامل بل والاندماج بين وسائل الإعلام الجهاهيري والطفرة التي يعيشها الانتصال بها يصاحب ذلك من تدفق غير مسبوق للمعلومات.

وإذا كانت وسائل الاتصال والمعلومات تتشابه مع وسائل الإعلام الجماهيرية التقليدية إلا أنها تتميز بالتفاعلية واللاجماهيرية واللاتزامنية ، وقابلية التحرك أو الحركية ، وقابلية التمويل والتوصيل، والشيوع ، والكونية ثوبصفة عامة فإن تكامل واندماج وسائل الإعلام ، وتكنولوجيا الاتصال والمعلومات يحدث تحولات هيكلية في بنية العمليات الاتصالية ، ويتبح للمتلقين إمكانيات غير عدودة للاختيار والتفاعل الحر مع القائمين بالاتصال ، وتبادل الأدوار الاتصالية ، وكسر مركزية الاتصال فيضلا عن تعظيم استخدامات وسائل الإعلام ، والاتصال في التسويق والمترويج والتجارة على الصعدين المحلى والدولى ، ومجمل هذه التحولات تبلور وبوتيرة متسارعة ما اصطلح على تسمية بمجتمع المعلومات المعامدة على تسمية بمجتمع المعلومات المحلومات المعامدة التحولات تبلور وبوتيرة متسارعة ما اصطلح على تسمية بمجتمع المعلومات المحامدة المحدولات المحدولات تبلور وبوتيرة متسارعة ما

إن تكنولوجيا الاتصال التي تفتح آفاقا جديدة أمام الإعلام وتحمله في الوقت نفسه مجموعة من الوظائف التي لم يعرفها من قبل، إن هذه التكنولوجيا ستفرض علينا إصادة النظر في تعريف الإعلام أو الاتصال

 ⁽۱) محمسود على السدين: شورة المعلومات ووسسائل الاتسصال ، التسأثيرات السياسية لتكنولوجيها الاتسصال ، مجلة السياسة الدولية ، العدد (۱۲۳) بنساير ۱۹۹۹) ص
 ۱۱۲-۱۰۲ .

⁽²⁾ Framx Webster, edited theories of the information society. Pp 2-16.

الجماهيرى كما أنها سوف تقود المجتمعات إلى نمط اتصالى جديد يتسع لكل أنهاط الاتصال، هو الاتصال التفاعلى القائم على التفاعل الحر والمساشر بين المرسل والمستقبل، وتبادل أدوار الاتصال بين الطرفين، علاوة على اتساع، وتنوع حرية المتلقى في الاختيار وفي هذا الإطار يمكن القول: إن العديد من المسلمات والفرضيات الأساسية التي تقوم عليها تعريفات الإعلام والاتصالات الجهاهيرى، ونظرياته قد تحطمت أو في طريقها للزوال فقد أصبح من العسير التسليم بالتعريف البسيط القائل: " إن الإعلام أو الاتصال الجهاهيرى هو مجرد توصيل رسائل نمطية إلى جماهير غير متجانسة يصعب التعرف على ردود أفعالما تجاه هذه الرسائل أو إجراء حوار معها " وبالتالى فإن العلاقة الاتصالية التي كانت تميل ناحية المصدر (المؤسسة الإعلامية) وتسير في اتجاه واحد من المصدر إلى الجمهور" مرشحة حاليا وفي المستقبل للتعديل والتغيير، ربها لمصالح الجمهور، وذلك رغم صعوبة توقع السلوكيات المستقبلية للجمهور"

إعلام العولمة وثقافة الصورة ..

إن الحديث عن العلاقة بين العولمة والمأثور الشعبى لا يمكن أن يتم بعيدا عن إعلام العولمة بكل ما يعنيه من قدرة على إحداث تغييرات في أتماط وسلوك المجتمع ، وما يمكن أن بلعبه من أدوار في نشر المادة الشعبية ، والدفاع عن قضاياها على اعتبار أن هذه المادة تمثل جزءا من الإنسان لا ينفصل عنه ، ولا

 ⁽١) محمد شومان : عولمة الإعلام ومستقبل النظام الإعلامي العربي ، مرجع سابق ، ص ١٦٢.

⁽²⁾ D. Mcluall Communication, Longman New York 1980. pp 164-160.

 ⁽٣) سيرج برو وفيليب بروتون : ثورة الاتصالات أيديولوجية جديدة ترجمة : هالـة
 عبد الرؤوف مراد (القاهرة، دار المستقبل العربي، ١٩٩٣) ص٢٥٦.

يمكن فهم الإنسان بعيدا عن فهم ثقافته خاصة الشعبية وفى ظل تعاظم إعلام العولمة - المرثى منه على وجه الخصوص - يؤكد بعض الباحثين على أن الصورة سوف تلعب دورا كبيرا فى تصحيح الوعى وجعله يرتبط بها يعرض من صور ومشاهدات ذات طابع إعلامى ، مثير للإدراك مستفز للانفعال ، حاجب للعقل.

وبالسيطرة على الإدراك يتم " إخضاع النفوس" أعنى تعطيل فاعلية العقل، وتغييب المنطق والنشويش على نظام القيم، وتوجيه الخيال، وتنميط الذوق وقولبة السلوك، والهدف تكريس نوع معين من الاستهلاك لنوع معين من المعارف والسلع والبضائع: معارف إشهارية تشكل في مجموعها ما يمكن أن نطلق عليه " ثقافة الاختراق " "

إن الصورة هي اليوم المفتاح السحرى للنظام الثقافي الجديد: نظام إنتاج وعي الإنسان بالعالم إنها المادة الثقافية الأساسية التي يجرى تسويقها على أوسع نطاق جاهيرى، وهي تلعب - في إطار العولمة الثقافية - الدور نفسه المذى لعبته الكلمة في سائر التواريخ الثقافية التي سلفت، لا تحتاج الصورة دائها إلى المصاحبة اللغوية كي تنفذ إلى إدراك المتلقى فهي - بحد ذاتها - خطاب ناجز مكتمل، يمتلك سائر مقومات التأثير الفعال في مستقبله أو قل هي نفسها لغة تستكفى بذاتها فستغنى عن الحاجة إلى غيرها "

إن صسيرورة السصورة مسسلطة رمزيسة قسادرة عسنى تسصعيد الإدراك الثقافى العام بما يعنى أن النظسام السسمعى والبسصرى (نظسام ثقافسة العولمسة)

 ⁽۱) محمد عابد الجمابرى : العرب والعولمة (بيروت ، يحموث ومناقشات الندوة الفكريسة
 التى نظمها مركز دراسات الوحدة العربية ، ط ۲ ، ۲۰۰۰) ص ۲۹۸

⁽٢) عبد اللاه بلقزيز : العرب والعولمة ، المرجع السابق ، ص ٢١٤ .

أصبح المصدر الجديد الأقوى في مجال إنتاج القيم والرموز وصناعتها وتشكيل الوعى والوجدان والذوق"

ومن هذا المنطلق ينبغى أن تحدد أنظمة الإعلام الفضائى العربى مفهوما للثقافة أو بمعنى أدق للبرنامج الثقافى في ظلل الوظيفة أو الهدف التي تعمل من أجله ، لابد أن تميل المعالجات الثقافية في هذه البرامج إلى العمق والتنوع ، إلى الاتساع والتبسيط ، والاهتهام بالشكل الفنى الذي يملك الجاذبية والإقناع في نفس الوقت . وهنا يؤكد الباحث على ضرورة دعم ومساندة الثقافة الشعبية في هذه الأنظمة بها يضمن تعميق الهوية والانتهاء .

عوبلة الإعلام .. بدائل وخيارات ..

لا شك أن تكنولوجيا الاتصال قد وفرت عددا غير محدود من الفرص أمام الجمهور للانتقاء من بين وسائل الإعلام التقليدية والحديثة . على أن هذه التعددية والخيارات المفتوحة لا تعنى التدفق الحر للمعلومات، وحرية التلقى ، فهناك فرق بين الحق في الاتصال ، والقدرة على عمارسة هذا الحق من النواحي الاقتصادية والثقافية "والإشكالية أن تعددية وسائل الاتصال والمعلومات على أرضية الانقسام الاجتماعي والثقافي من المكن أن تعمق من هذا الانقسام لصالح الطبقات والفئات المهيمنة "

⁽١) المرجع السابق نفسه ، ص ٣١٥

⁽٣) المرجع السابق نفسه ١٨

وعلى مستوى آخر يدور جدل ونقاش حول حقيقة توسيع الخيارات المتاحة للجمهور، وآثار عولمة الإعلام حيث يرى فريق من الباحثين أن التعددية والوفرة فى وسائل الاتصال خاصة قنوات التليفزيون، وما تقدمه من برامج ومضامين لا تقدم تنوعا حقيقيا، وأشار هؤلاء إلى أن آلية التركيز والتكامل الرأسى ستجعل هناك أقلية تسيطر على إنتاج المضامين والصور محا سيقلص فرص التنوع الحقيقي نفيف إلى ذلك أن وجود متلقى قادر على الاختيار الواعى من بين ما يقدم له عملية أصبحت فى الندرة.

وفى المقابل يرى فريق من الباحثين أن عولمة الإعلام تحمل إمكانيات ورهانات متعددة بشأن المستقبل وأن مثل هذه الإمكانيات تتوقف على متلق واع بأخذ من العولمة ما يضمن له الحفاظ على ثقافته وذاتيته وهويته.

وهناك فريق ثالث من الباحثين يراهن على تطور تكنولوجيا الاتصال والمعلومات ، وانخفاض تكلفة امتلاكها واستخدامها بها يسمح بدعم حقوق الاتصال للجهاعات الصغيرة وللأقليات داخل المجتمعات من خلال إيجاد إعسلام مواز أو مقاوم لإعلام الحكومات ولإعلام الشركات الإعلامية العملاقة متعددة الجنسيات ولا شك أن مثل هذا الرهان مرتبط أساساً بمدى تطور المجتمع المدنى والإقرار بوجوده ، ودوره كطرف فاعل فى بنية النظام وتحديد مسار تطوره"

وهكذا نرى أن الجدل والنقاش المصاحب لعولمة الإعلام جدل نظرى يفتقر إلى البحوث والدراسات الميدانية ، وهذا يعنى أن الاقتراب مـن عولمـة

 ⁽١) عمد شومان : حولمة الإعلام ومستقبل النظام الإعلامي العربي ، مرجع سابق ، ص
 ١٧١.

⁽٢) المرجع السابق نفسه، ص ١٧٢ .

الإعلام ينبغي أن يتجرد من المواقف والتوجهات المسبقة ، ينبغي أن يبتعد عن التعصب والانفعال أن ينطلق من الموضوعية.

إن عولمة الإعلام هي مجموعة من الفرص رغم كل ما يقال عن تحدياتها . الإعلام العربي .. المشهد الراهن ..

عند الاقتراب من دوائر الإعلام العربي يمكن ملاحظة ما يلي:

أولا: هناك قصور واضح في تحقيق - أو حتى إمكانية تحقيق - تكتل إعلامي عربي يربط بين الغايات والإمكانيات، وبين الشعارات والمارسات، وأعتقد أن مثل هذا الفشل هو نتيجة منطقية لتبعية الإعلام للسياسية، وكلنا نعرف أن المناخ السياسي العربي يموج بالاختلافات التي تصل في بعض الأحيان إلى حد الانقسام.

إن الاستخدام المتزايد لوسائل الإعلام من قبل القوى السياسية قد يعنى بالنسبة للإعلام العربي الكثير من القيود ، سيحول بينه وبين دوره الأساسى في دفع المجتمعات العربية خطوات على طريق المعرفة .

ثانيا: على الرغم من إدراكنا لأهمية الإعلام ودوره في الحفاظ على هويتنا العربية إلا أن هناك قصور أو بمعنى أدق غياب تنظيرى للقضايا التي يطرحها إعلام عصر المعلومات ، وانعكاساته على واقعنا العربي . ولاشك أن هساك قصور في البحوث النظرية في مجال الإعلام العربي فضلا عها تدين به العديد من أكاديميات الإعلام العربية لتبعينه المدارس الغربية (١)

 ⁽١) لمزيد من التفاصيل راجع كلمة د. فتحى سرور رئيس مجلس الشعب في افتتاح المؤتمر
 العاشر لكلية الإصلام " الإصلام المساصر والهوية العربية ، أبحاث المؤتمر ، ج١ (
 القاهرة ، كلية الإعلام ، الثلاثاء ٤ مايو ٢٠٠٤) ص ١-١٦ .

ثالثا: يشكو إعلامنا من تناقض جوهرى ، يعد أن تخلى عن مهمته التنموية الأساسية ليسوده ، طابع الترفيه على حساب المهام الأخرى ، ويقصد بها مهام التعليم ، والتوعية الثقافية ، وإعادة إحياء الإرادة الجماعية للمشاركة في العمل الاجتماعي ومن قبيل الإنصاف، فإن إعلامنا شأنه في ذلك شأن معظم نظم الإعلام في دول العالم الثالث ، يعمل تحت ضغوط سياسية واقتصادية تنأى به عن غاياته التنموية البعيدة المدى (١)

رابعا: نصوص دستوربة تؤكد على مبدأ حرية التعبير وتفرغ من مضمونها بعبارات ناسفة تذيلها من قبيل: " بها لا يتعارض مع المصلحة العامة " و " بمقتضى القانون " (^{۲)}

خامسا: تأتى ظاهرة تسرب نسبة هائلة من المواطنين العرب إلى منافقة الإعلام الأجنبية في مقدمة الاتهامات المقدمة إلى الساحة الإعلامية العربية فهؤلاء - ومعهم كل الحق - قد فقدوا الثقة في إعلامهم العربي نتيجة عدم مصداقية الطرح ، ومحاولة فرض نوع من التعتيم على الإحداث ، خاصة فيها يتعلق بالأحداث السياسية وقضايا الفساد.

سادسا: تدفق إعلامي غائب أو شبه غائب ما بين المدول العربية، فقد ظلت حركة الإعلام العربي المشترك ضعيفة في بلوغ الأهداف القومية، وسيطرت المصالح القطرية على تحديد مجال حركة الإعلام العربي المشترك(٣)

سسايعا: اهتهام محدد للغاية من قبل الإعلاميين العرب بها يمكن أن يضيفه الإعلام إلى دوائر التنمية المختلفة ، فقد خاب عن هؤلاء هذا الدور الإعلامى الحام .

⁽١) نبيل على : الثقافة العربية وعصر المعلومات ، مرجع سابق ، ص ٣٤٧

⁽٢) المرجع المسابق نفسه ، ص ٣٥٩.

⁽٣) كلمة فتحي سرور في افتتاح المؤتمر العاشر لكلية الإعلام مرجع سابق ، ص ٩.

ثامنا: أما القطاع الفضائي العربي فهو الحاضر الغائب - لم يضف كثيرا إلى إعلامنا التقليدي - معظمه مهاجر في غير موطنه يستورد أكثر موارده من الغير ، وهذا يعني غياب الرؤى المستقبلية التي تنظر إلى القطاع الفضائي باعتباره إضافة إلى واقع المجتمعات العربية .

إن إعلامنا العربي كما تؤكد المؤشرات بأتى في ذيل قوائم الإحساءات الإعلامية الصادرة عن مؤسسات وهيئات دولية .. إنه لم يرتفع بعد إلى مستوى الرسالة التي يحملها تجاه مجتمعاته. إنه يواجه مأزقاً رباعي الجوانب "

مازقا سياسيا : في كيف يوفق بين عولمة الإعلام ، وسيطرة الدولمة ورغبات جماهير

مأزقا اقتصاديا : في كيف يتنافس في عصر الإعلام المضخم ، وارتضاع كلفة بناه التحتية .

مأزقا ثقافيا : في كيف يصبح درعا ضد ما يهدد هويتنا وقيمتنا وتراثنا .

مأزقا تنظيما : في كيف تكسب مؤسساتنا الإعلامية المرونة التنظيمية والكفاءة الإدارية والفنية تلبية لمطالب إعلام عنصر المعلومات ودينامياته الهادرة.

لقد دخلت وسائل الاتصال كل بيت ، وأخذت تلعب دورا هاما قى وعى المتلقى ، والتأثير فى مفاهيمه وقيمه وعاداته وتقاليده وطغنت على مكونات الوعى الأخرى كالأسرة والمدرسة والمجتمع ، وغدت الوسيلة الأهم فى تكوين الفرد ومزاج المجتمع ، والمشارك الرئيسى فى تحديد ملامح سلوك الناس وحياتهم الميومية ، ولعل هذا الطغيان الاتصالى لم يكن بمثل هذا الاتساع والشمول وقدرة التأثير والمشاركة فى أى مرحلة من مراحل التاريخ

⁽١) نبيل على : الثقافة العربية وعصر المعلومات ، مرجع سابق ، ص٣٦٠

الإنساني كما هو اليوم ، والمحصلة أصبحت وسائل الاتصال ورسائلها جزء من نسيج المجتمع وحياته في كل مكان من عالمنا ''

وأمام هذا الواقع توجهت مجموعة من المؤسسات الإعلامية إلى البث الفضائي وتأسيس قنوات خاصة جديدة لمحاولة تلبية رغبات الجمهور العربي من جهة ولتبليغ الخطاب العربي إلى الجمهور العالمي.

 ⁽١) حسين العودات: السياسات الإعلامية العربية ، الواقع والآفاق (دمشق، العهد
العربي للدراسات الإستراتيجية ، أكتوبر ١٩٩٦) ص ٣٧



الفصل الثانى

القطاع الفضائي العربي .. وتحديات الألفية الثالثة

مقسدمت:

يعيش العالم الآن مرحلة جليدة من التطور التقنى، حيث امتزجت نتائج وخلاصة ثلاث ثورات هى: ثورة المعلومات وثورة وسائل الاتصال المتمثلة في تقنيات الاتصال الحديثة، وأخيرا ثورة الحاسبات الإلكترونية التي امتزجت بكل وسائل الاتصال واندمجت معها " وقد أدت الثورة التكنولوجية الهائلة في مجال المعلومات والاتصال إلى تعدد وسائل الإعلام، وتزايد قدرتها على محمع المعلومات وتوزيعها، ولم يعد دورها يقتصر على نقل المعلومات فقط، بل أصبحت تلعب دورا في رسم الصور للشعوب والدول والمنظات على حد سواء "

وكان من الطبيعى أن تبادر المنطقة العربية إلى التعامل مع المتحدثات الاتصالية ، وبمقتضى الاتفاقية التى تم التوقيع عليها فى ١٤ أبريسل (نيسان) عام ١٩٧٦ قامت المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية .. كمنظمة ذات شخصية قانونية مستقلة فى إطار جامعة الدول العربية ، وحددت الاتفاقية أهداف المؤسسة بأنها توفر وتشغل قطاع فضائى عربى للخدمات العامة

 ⁽١) سعيد محمد النجار: "أثر التكنولوجيا في تطوير فن المصورة الصحفية"،
 رسالة ماجستير فير منشورة (القاهرة، كلية الإعلام جامعة القاهرة، ١٩٩٨)
 ص. ٣٥.

⁽²⁾ Riffinand. Micochel (1995). Picturing the Gulf war constructing on image of wan in time & "News week" journalism and mass communication Quarterly, Vol. 7, No, 4. pp.813.

والمتخصصة فى مجال الاتصال لجميع الدول العربية الأعضاء فى الجامعة ، ومقر المؤسسة هو مدنية الرياض .

وقد أطلقت هذه المؤسسة أول أقارها من الجيل الأول لعربسات في عام ١٩٨٥، وتوالى بعد ذلك إطلاق الأقيار الصناعية من الجيل الأول، والشانى والثالث .. وازداد نطاق تعامل القنوات العربية مع الأقيار الصناعية العربية، خاصة بعد أن أطلقت الشركة المصرية للأقيار الصناعية أول أقيارها المخصصة للاتصالات القضائية " نايل سات ١٠١-" في الثامن والعشرين من شهر أبريل من عام ١٩٩٨، وأعقب ذلك إطلاق عدد كبير من القنوات القضائية العربية التي يزداد عددها يوما بعد يوم.

وإذا كان القرار الخاص بإطلاق قمر صناعي عربي قد انطلق في البداية من قاعدة سياسية تفتقر إلى الدراسات الكافية ، إلى ما يمكن أن يحققه التواجد العربي في الفضاء العالمي من نقلة حضارية، وسياسية تدعم خطط التنمية المختلفة في البلدان العربية ، وتشكل أحد الهياكيل الأساسية لبناء الوحدة العربية هذا إلى جانب الحد من التقوذ الغربي وسيطرته على قنوات الاتصال .

إلا أن هذا المشروع هو أول نجربة عملية من نوعها على المستوى العربى تهدف إلى دعم الثقافة العربية المشتركة ، وهذا ما عبر عنه د. سعيد بلبشير وزير الثقافة السابق في المغرب بقوله: "إن مشروع القمر الصناعي العربي هو أخطر المشروعات القومية المشتركة التي قامت بين الدول العربية ولا تكمن أهمية هذا المشروع في جوانبه التكنولوجية ، أو في الاستثهارات التي وضعت فيه ، وإنها ترجع أساسا لكونه قناة ثقافية تصل فيها بين بلدان المنطقة العربية "

 ⁽١) اتحاد إذاعات الدول العربية: " تقارير بعثمات الخبراء الخاصمة بالشبكة الفيضائية العربية" (تونس ، ١٩٨٤) ص ٢٠.

وتعد الفضائيات العربية تجسيدا للتواجد العربى في عسر السموات المفتوحة الذي أصبح فيه الفضاء مفتوحا لإطلاق قنوات فضائية جديدة كل يوم، ومسرحا لمنافسة إعلامية ضارية بين تلك القنوات، التي هي في الواقع بين دول لإثبات وجودها على الساحة الدولية، وفي الفضاء الخارجي.

الفضائيات العربية .. النشأة والتطور :

القناة الفضائية هي : مد الحدود الاتصالية إلى ما وراء الحدود الجغرافية والسياسية ، بصرف النظر عن الظروف المكانية ، والعوائق الطبيعية وبعد المسافات **

وقد أثرت بعض الأحداث السياسية التي شهدتها المنطقة العربية في مسار الإعلام العربي، وعلى سبيل المثال كانت حرب بالخليج خطوة هامة وفاعلة على طريق العلاقة بين الإعلام العربي وسياسته والمتغيرات المتلاحقة التي عرفت طريقها إلى الإعلام العالمي، في ظلل سقوط الحواجز الاقتصادية والمثقافية والتجارية.

فقد أدت هذه الحرب إلى إحداث تحولات كبيرة في الاتجاه نحو البث التليفزيوني في المنطقة العربية ، وأجبرت أولى الأسر على إعادة التفكير في استخدام القمر الصناعي العربي "عرب سات" حيث أدت التغطية الوحيدة والفورية والمفصلة لشبكة الكوابل الإخبارية الأمريكية (CNN) لأهم الأحداث المثيرة التي حدثت أثناء تلك الأزمة إلى تدفق مرتبي غير مسبوق للمعلومات ، بدأ من الصعوبة بمكان مقاومته ، سواء من جانب صناع السياسة ، أما بالنسبة لكثير من المواطنين المنبهرين بهذه التغطية الفريدة في كثير

 ⁽١) انشراح الشال : قنوات للتلفزيون فضائية في عالم ثالث (القاهرة ، دار الفكر العربي ،
 ١٩٩٣) ص١٧.

من هذه الأقطار لقد أيقظت شبكة (CNN) ملايين من الناس في المنطقة المعربية على حقيقة مؤداها: إتاحة بث فضائي قيم Worthy مختلف عن التدفق الممل لتليفزيون الدولة الرسمى Tull out Pouring of state .T.V ويلاحظ أن إنشاء القنوات التلفزيونية الفضائية العربية قيد جاء سريعا ويكتفيه الكثير من الحياس المشوب بضبابية الرؤى ". كها أنه تقليدا أو محاكاة لما يجرى في العالم، ولما هو سائد فيه، أو اندهاشا بثورة الاتصالات، أو سعيا وراء دعاية للنظام السياسي أو للبلد العربي المعنى وفي كل الأحوال فقد جاء بمثابة رد فعل متسرع للتواجد المكثف لـ " القنوات التليفزيونية الأجنبية " فلم تأخذ الكثير من تلك القنوات حظها من الدراسة لمدى جدواها، وطبيعة أهدافها وحاجات جهورها المستهدف"

لقد سلك الوطن العربي مسلك الدول الأخرى في العالم ، وأقام قنوات فضائية موجهة لجمهور معين على اعتبار أن التليفزيون قناة ثقافية هامة ٠٠٠

Mohammed I.A Yish, Ali Qassim; Direct Satellite broadcasting in the Arab Gulf Region: Trends and Policies (Gazetle Vo156, 1995) P.23

⁽٢) عمد إبراهيم هايش: التأثيرات المحتملة للبث التليفزيوني المباشر صلى نظمم التلفزيون الوطنية في المنطقة العربية ، بحث مقدم إلى ندوة: " تأثير البث المباشر في منطقة الخليج العربي (العين ، جامعة الإمارات ، قسم الإصلام ١٩٩٤) نقبلا عن:

عِلَّة تليفزيون الخليج ، العدد (٢) ١٩٩٤) ص ٤٢.

 ⁽٣) سأمى الشريف : القنوات الفضائية العربية ، والحفاظ على الهوية ، بحث مقدم إلى
تدوة : " الإعلام الدولى وقضايا العالم الإسلامى (القاهرة ، مركز صالح كامل ،
رابطة الجامعات الإسلامية ، ١٩٩٨) ص ٢٠.

 ⁽٤) جيهان رشتى : النظم الإذاعية في المجتمعات العربية (القاهرة ، دار الفكر العربى ،
 ١٩٧٧) ص ٧ .

وذلك منذ عام ١٩٨٥ ، إذ أنشأ لهذا الغرض مؤسسة للاتبصالات الفيضائية التي قامت ببإطلاق القمر البصناعي العربي مصحوبا بقمرين صناعيين احتياطيين في الفضاء ، وكان هناك قمر ثالث احتياطي موجود على الأرض ، لتفادى أي خلل قد يحدث ، وخلال عام ١٩٩٢ كان العمر الافتراضي قيد انتهى لاثنين من هذه الأقهار حيث دخل القمر الثالث مجال التشغيل في الفضاء عام ١٩٩٣ ولهذا القمر عمر افتراضي مدته عشر سنوات "

لقد ساهم القمر الصناعى العربى فى الدفع بالدول العربية لتأسيس المزيد من القنوات الفضائية ، والملاحظ أن عمليات تأسيس الفضائيات العربية صاحبه اتساع لأنشطة وفعائيات المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية (عربسات) إذ أصبحت تمتلك قمرين فضائيين الأول يتسع ٢٨ قناة تستخدم للبث الإذاعى والتلفزى وخدمات الهاتف، والثانى مهمته قاصرة على البث التيفزيونى .

وازداد نطاق تعامل القنوات العربية مع الأقهار الصناعية العربية ، خاصة بعد أن أطلقت الشركة المصرية للأقهار الصناعية أول أقهارها المخصصة للاتصالات الفضائية "نايل سات ١٠١ " في الثامن والعشرين من شهر أبريل من عام ١٩٩٨ ، وأعقب ذلك إطلاق عدد كبير من القنوات الفضائية العربية التي يزداد عددها يوما بعد يوم.

 ⁽١) لمزيد من التفاصيل حول: الأفكار المطروحة للتنسيق والتعاون العربي في عمال استخدام القنوات الفضائية يمكن الرجوع إلى:

اتحادات إذاعات الدول العربية : تدوة " التعاون والتنسيق العربى فى بجسال اسستخدام القنوات الفضائية "(البحرين ٤٠ - ٥ أبريل ١٩٩٥) فى : سلسة بحسوث ودراسسات إذاعية (تونس ، اتحادات إذاعات الدول العربية ، العدد (٢) ، ١٩٩٥) ص ٤١

وقد بدأت مصر بإطلاق قناة تليفزيونية فيضائية باستخدام الحزمة "
إس" غزيرة الإشعاع على أقهار "عربسات" في ديسمبر ١٩٩٠، ثم توالى
بعد ذلك إطلاق القنوات الفضائية العربية الأخرى حتى أصبح لكل دولة
عربية قناة فضائية أو أكثر تابعة للهيئة التليفزيونية الرسمية أو لوزارة الإعلام
مباشرة، كما انطلقت قنوات أخرى من جانب مؤسسات عربية غير رسمية
من مراكز بث خارج المنطقة العربية، ولو أن مجال بثها يشمل المنطقة العربية
أساسا، وتخصصت بعض هذه القنوات في نوعيات معينة من البرامج كما
تجمع بعضها في شكل "حزم" ضمن قنوات غير عربية

ويرجع تاريخ الفضائيات العربية إلى أواخر عام ١٩٩٠ المدى شهد انطلاق أول قناة فضائية عربية حكومية وهي القناة الفضائية المصرية (الأولى) التي كانت البداية نحو انطلاق قنوات فضائية عربية عديدة ومتنوعة، سواء كانت قنوات حكومية، أم قنوات خاصة ، بل إن الملفت للنظر هو تزايد عدد القنوات الفضائية العربية بوضوح في السنوات الأخيرة، فبعد أن كان عددها يقدر بعشرين قناة في منتصف التسعينات تجاوز عددها الآن المائية بكثير الأمر المدى أدى إلى زيادة حدة المنافسة بين الفضائيات العربية.

ولاشك أن خارطة القنوات الفضائية العربية " فسيفسساء" ذات ألسوان مختلفة حيث يمكن تصنيفها إلى عدة نقسيهات مختلفة على النحو التالى "

 ⁽١) لمزيد من التفاصيل: التقرير السنوى حول وضع البث الفضائي العربي في المنطقة
العربية وخارجها (القاهرة) جامعة الدول العربية، الإدارة العامة لـشئون الأعـلام)
اللجنة الدائمة للإعلام، الدورة (٦١)، من ٧٧ – ٢٩ ديسمبر ١٩٩٧) ص ٤١ – ٦٣

أولا: من حيث الملكية تنقسم إلى :

- أ- قنوات فضائية عربية "حكومية".
 - ب- قنوات فضائية عربية "خاصة".

ثانيا: من حيث " نوع البرامج" تنقسم إلى:

- أ- قنوات فضائية عربية "عامة "
- ب- قنوات فضائية عربية "متخصصة"

ثالثًا: من حيث "نوع البث" تنقسم إلى :

- أ- قنوات عربية فضائية ذات بث مفتوح.
- ب- قنوات عربية فضائية ذات بث مشفر.

رابعا: من حيث " لغة البث " تنقسم إلى :

- أ- قنوات عربية تبث باللغة العربية إلى جانب بعض لغات أخرى
 أجنبية .
 - ب- قنوات عربية تبث باللغات الأجنبية فقط.
 - خامسا : من حيث نطاق " التغطية الجغرافية " تنقسم إلى:
- أ- قنوات فضائية عربية تغطى المنطقة العربية ويمتد إرسالها إلى
 مناطق خارج المنطقة العربية .
 - ب- قنوات فضائية عربية تغطى المنطقة العربية فقط.

ويوضح الجدول التالى أهم القنوات الفضائية العربيـة " العامـة" التـى تتتمى إليها قناتا اللراسة :

جدول رقم (۱) أهم القنوات الفضائية - العامة - ^(*)

قناة البحرين الفضائية	القناة الفضائية المصرية
القناة الفضائية العمانية	قناة النيل الدولية المصرية
التليفزيون الموريتانى	قناة المحور المصرية
القناة الفضائية القطرية	قناة دريم المصرية الأولى
قناة جيبوتي الفضائية	قناة دريم المصرية الثانية
قناة العراق الفضائية ***	القناة المغربية
القناة العامة لراديو وتليفزيون العرب	القناة الفضائية الليبية
مركز تليفزيون الشرق الأوسط MBC	القناة الفضائية السودانية

^(*) الفنوات " العامة " هي تلك التي تقدم مضموناً متنوعاً للمشاهد، حيث تنوع المواد الإعلامية المقدمة ما بين: الأخيار، المدراما، المواد الثقافية الدينية الترفيهية، المنوعات. وتنتمي معظم الفضائيات العربية إلى هذا النوع. في حين أن القنوات " الخاصة " هي التي تهدف إلى مخاطبة جمهور معين، بتقديم مواد إعلامية بعينها، وتنقسم هذه الفنوات إلى:

قتوات متخصصة من حيث المضمون .

قنوات متخصصة من حيث الجمهور المتلقى للخدمة .

^(**) يلاحظ أن الفضائية العراقية توقفت عن البث أثناء الاحتلال الأمريكي ثم عادت بعد ذلك ومعها مجموعة أخرى من الفضائيات العربية.

تليفزيون المستقبل Future	القناة الفضائية الجزائرية
القناة الفضائية الكويتية	تليفزيون المملكة العربية السعودية .ق١
قناة دبى الفضائية	تليفزيون المملكة العربية السعودية ق٢
قناة أبو ظبى الفضائية	قناة الأندلس والمسعودية
قناة الشارقة الفضائية	قناة فلسطين الفضائية
قناة عجهان الفضائية	قناة المنار اللبنانية
قناة الإمارات الفضائية	قناة LBC اللبنانية
القناة السابعة التونسية	تليفزيون لبنان الجديد
القناة الأردنية الفضائية	القناة الفضائية السورية
قناة أوربت الثانية	القناة القضائية اليمنية

أما فيها يتعلق بالقنوات الفضائية " الحكومية " أو الرسمية كسما يطلق عليها ، لكونها تعبر عن الموقف الإعلامى الرسمى للدول التى تنتمى إليها ، ومعظمها قنوات تفتقر إلى أهم معايير الإعلام المعاصر المتمثلة فى : تقنية الاتصال والكوادر الإعلامية المؤهلة وهامش الحرية والجدول التسائى يرصد أهم هذه القنوات " :

(*) وتجمع هذه القنوات مجموعة من السيات المشتركة يتمثل أبرزها في : =

⁻ معظمها موجود على القمر الصناعي العربي "عربسات" ، يغطبي بثها الوطن العربي ، ويتسع إلى المنطقة الموسعة التي بشملها هذا القمر ، في حين يمتد البث إلى " قارة أوروبا " بالنسبة للقنوات التي تستخدم أقيار أخرى ، مثل " يوتلسات " ، " انتلسات " . "

⁻ جميع هذه القنوات تستهدف المشاهد العربي أينها كان ، وتستخدم اللغة العربية لبث برامجها - عدا قناة النيل الدولية ، والقناة السعودية الثانية - مع تخصيص بعضها لفسترات برامجية للبث باللغات الأجنبية : الفرنسية ، الإنجليزية ، الإسبانية ، الألمانية .

تعتمد معظم حدّه القنوات على إعبادة بسث البرامج الموجهة إلى المساهد
 المحمل، باسستثناء بعيضها ومنها: مسصر والأردن ودبس التبي تعتمد على "
خريطة براجية متفصلة "، وخصصة للبث التليفزيوني الفضائي.

نحتل البرامج المستوردة نسبة كبيرة فيها تبثه معظم هذه القنوات، فتسصل مسئلا إلى "٨٨٪" في كلاً مسن: القنساة الفسضائية السمودية ، القنساة الفسضائية الكويشية ، و"٥١٪" في المقناة الفضائية الأردنية.

تتصدر الأقلام والمسلسلات غالبية نسبة البث في معظم هذه القنوات ، وأصلى نسبة من ذلك تبثها القناة الفضائية المصرية ، "١٣.٤٪" في حين تنفرد قناة أبو ظبى الفيضائية في بعث أصلى نسبة من البرامج الثقافية والوثائقية ، وصلت "٦٦٪" من إجمالي البث البرامجي . وقد استحوذت القناة الفضائية المصرية صلى بث أعلى نسبة من البرامج الترفيهية ، شكلت " ١٨.٣٩٪ " من إجمالي البث البرامج الترفيهية ، شكلت " ١٨.٣٩٪ " من إجمالي البث البرامجي . لمزيد من التفاصيل بمكن الرجوع إلى :

جدول رقم (٢) أهم القنوات الفضائية · الحكومية · أو الرسمية كما يطلق عليها

قناة عجهان الفضائية	القناة القضائية المصرية
قناة دبى الفضائية	قناة النيل الدولية المصرية
قناة الشارقة الفضائية	مجموعة قنوات النيل المتخصصة المصرية
قناة أبو ظبى الفضائية	القناة المغربية
القناة الفضائية القطرية	القناة الفضائية الليبية
القناة الفضائية اليمنية	القناة الفضائية السورية
القناة الفضائية الأردنية	القناة الفضائية الجزائرية
القناة الفضائية الفلسطينية	القناة السابعة التونسية
القناة الفضائية العراقية	القناة السعودية الثانية
قناة جيبوتي الفضائية	القناة الفضائية السودانية
التليفزيون الموريتاني	القناة السعودية الأولى
قناة الإمارات الفضائية	القناة الفضائية الكويتية
القناة الفضائية العيانية	قناة البحرية الفضائية

عبد الرحمن الشامى: استخدامات القنوات النليفزيونية المحلية والدولية، رسالة دكتوراه غير منشورة (القاهرة جامعة الأزهر كلية اللغة العربية، قسم المصحافة والإعلام، ٢٠٠٠) ص ١١٥.

سامى الشريف: القنوات الفضائية العربية والحفاظ على الهويسة، بحسث مقسدم إلى ندوة " الإعلام الدولى وقضايا العالم الإسلامى " (القاهرة مركز حسالح كامسل ، رابطة الجامعات الإسلامية ، ١٩٩٨) ص ص ١٨ – ١٩ .

ولا شك أن معظم القنوات الفضائية خرجت لمجرد التواجد على المساحة الفضائية ليس إلا فالمتابع لهذه القنوات - على اختلاف توجهانها - لا يجد فا أهدافا استراتيجية تسعى لتحقيقها، بل إن بعيضا منها لا يقوى على ملع ساعات إرسالها إلا بإنتاج مستورد لا يعبر عن هويتها، ولا يعكس ثقافة المجتمعات التى تملكها "، فالإنتاج المستورد هو غالبا غير منتج لنا بالمذات، أو موجه لنا خصيصا، بل لنا ولغيرنا لأنه يحمل طابع الكونية المتلقى العربي، يعرض قضايا قد لا تمت إليه مباشرة، وتتجاهل الزمان المتلقى العربي، يعرض قضايا قد لا تمت إليه مباشرة، وتتجاهل الزمان والمكان والظروف، كما أن هذا المنتج يمكن أن يكون هشا أمام الإنتاج المحلى المتوازن الذي يتناول هموم الناس، ويحدثهم بلغتهم، ويحترم أذهانهم، ويفهم المتوازن الذي يتناول هموم الناس، ويحدثهم بلغتهم، ويحترم أذهانهم، ويفهم موروث غنى وعميق الجذور، يمكنه أن يشكل أرضا صلبة تقف عليها فرويؤدي إلى التبعية الموارث التدفق الخارجي، وما يحمله من فرويؤدي إلى التبعية "

إن هناك غيابا واضحا للفلسفة التي تكمن وراء البث الفضائي العربي في معظمه .. كيف يمكن أن يوظف هذا البث في خدمة الثقافة العربية ؟ وماذا عن الأهداف التي تسمى إلها مثل هذه الفضائيات ؟ إن تحديد الهدف ينضبط

 ⁽١) سامى الشريف: القنوات التليفزيونية المتخصصة، رؤية نقدية، المجلة المصرية
لبحوث الإعلام (القاهرة، كلية الإعلام، العدد (٥) يناير / أبريل ١٩٩٩) ص
١٨٧.

 ⁽۲) لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى:

حسين العودات: كيف نجعمل القنوات الفيضائية أداة للتعريب بالثقافة العربية والإسلامية (تونس، المنظمة العربية الثقافة والعلوم إدارة برامج الثقافة والاتصال، ١٩٩٨) ص ٢٦-٤٨.

إيقاع العمل ومنهجيته ، وشروطه ، كها يؤدى إلى احتهال نجاحه ، وهــذا مــا نريده للفضائيات العربية ، حتى تكون وسيلة تطوير وبناء.

إن هذه القنوات ينبغى أن تلعب دورا فى خدمة الثقافة العربية بكل ما يعنى ذلك من حماية لتراث الأمة وجدورها .. ينبغى أن تساعد هذه الفضائيات كل ما هو عربى .

وقد أصبحت لهذه القضائيات العربية بنية أساسية معقدة في ملاعها ومتنوعة في خصائصها، ومتزايدة في نموها من الناحية الكمية على الأقل الأمر الذي أدى إلى ازدحام خريطة البث التليفزيوني بكم هائل من القنوات الفضائية العربية التي تتعدد برامجها وساعات إرسالها، ونوعية الجمهور الذي يشاهدها فقدت شهدت المنطقة العربية انطلاق " ٥٥ " محطة فضائية عربية بشاهدها فقدت شهدت المنانية عشرة الماضية ليصل العدد الإجمالي إلى " ١٥٥ " محطة في متناول الجميع، وذلك بحسب دراسة أجربها مجلة "الاستشاريين العرب" وقد أضافت الدراسة إلا أن الدلائل تشير إلى أن هذا المعدد الكبير من المحطات الفضائية لم يسفر عن أي تغيير في مستوى معايير البث التليفزيوني العربي، على العكس تماما فمن خلال تسليط الدراسة الضوء على العليد من مكامن النمييز أشارت إلى أنه لا تيزال هناك فجوات متعلقة بالمحتوى الذي تقدمه هذه القنوات "

⁽۱) الفضائيات العربية ، غيباب الرؤية (مجلتى الإلكترونية) بتباريخ ۹ / ۸ / ۲۰۰۵ في موقع: موقع: www.bab.com. Sa/ news-comments/full_news.

وفي هذا الصدد أكدد. عاطف العبد أن عدد الفضائيات العربية قد وصل إلى " ٢٢٢ " قناة من بينها " ٢٣ " قناة غنائية تعرض من المنوعات ما قد يتعارض والقيم السائدة في المجتمعات العربية "

وعلى الرغم من تزايد المحطات الفضائية العربية على نحو لافت للنظر لم نفكر حتى الآن بتأسيس اتحاد عربي للفيضائيات العربية أو فيضائية عربية واحدة على أقل تقيدير لمخاطبة العقيل الغربي والمستهلك العيالي للهادة الإعلامية ، بحيث تعكس وجهات نظرنها في الأحيداث لكبي نعرف العيالم بثقافتنا ، وحقيقة العقل العربي : تراثه ، وآفاقه ، وهواجسه "

إن الحاجة اليوم ماسة إلى فضائية عربية منفلتة من تحمليات المحلية ومستقلة بنفسها عن التبعية للفضائيات الغربية .. فضائية تمثلك من الشجاعة والثقة بالنفس ما يكفى لاعتباد اللغات الأجنبية بها كى نتمكن من إيصال صوتنا إلى العالم ، ونقنع الجمهور أينها كان بحقيقة مواقفنا ومنظوراتنا وفهمنا لما يجرى حولنا .. علينا أن نمنع عملية تمثيلنا من قبل الآخرين عن طريق تمثلينا لأنفسنا ، وهذا الأمل مناط بهيئة عربية مقبولة من جميع الأطراف ، يمكن أن تجذب وتستثمر أذكى وأكفأ العقول المدربة تدريبا أكاديميا رفيعا يمكن أن تجذب وتستثمر أذكى وأكفأ العقول المدربة تدريبا أكاديميا رفيعا يمكن أن تجذب وتستثمر أذكى وأكفأ العقول المدربة تدريبا أكاديميا رفيعا

 ^(*) د. عاطف العبد: مدير مركز الرأى العام كلية الإعلام جامعة القاهرة في حلقة من
برنسامج حالة حسوار السذى بقدمه د. عمسرو عبسد السسميع، حلقة الأربعاء
 ١١/ ٥/ ٢٠٠٦ ، القناة الأولى .

⁽۱) عمرو محمد سامى عبد الكويم: الإعلان التجماري في الفيضائيات العربية ، أبحماث الموقة والمعلمي الأول للأكاديمية الدولية لعلموم الإعمام" الفيضائيات العربية ومتغيرات العصر" (القاهرة ، الدار المصرية اللبنائية ، ٢٠٠٤) ص ١٦٩

وأخيرا إن الفضائيات العربية أصبحت واقعا ملموسا لا يمكن القفر عليه وغدا لها من التأثير على المدى القريب والبعيد ما لا يمكن تجاوزه فهى بغض النظر عن الخلاف الثائر حولها ، والمآخذ عليها ، قد سدت فراغا كبيرا في حياة المتلقى العربي ، إذا لمولاها لغدا هذا المتلقى نهباً لقنوات أجنبية تبث له ما تربد ، وتشكل اتجاهاته بالكيفية التى تحقق مصالحها ."

القطاع الفضائي العربي .. التحديات الراهني :

منذ مطلع حقبة التسعينات من القرن الماضى شهدت المنطقة العربية تطورات هائلة على صعيد التليفزيون كنتيجة للتطور التقنى الذى عرف طريقه إلى وسائل الاتصال الحديثة، وهنا نؤكد على أن التعددية الإعلامية التى تعيشها المنطقة العربية تعتبر ظاهرة إيجابية حيث تتيح للمشاهد العربى التعرف على الثقافة العربية من خلال المادة الإعلامية التي تعرضها الفضائيات.

ومع انتشار الفضائيات في عالمنا العربي ، توقع الكثير أن تسهم هذه الفضائيات في دعم الوحدة العربية ، ورفع سقف الحرية ، ونشر الثقافة العربية ، وتقديم الأخبار الأكثر صدقا ، واحتراما لعقل المشاهد ، بسل والانطلاق من أسر المحليات إلى فضاء العالميات والدوليات ، فلا يصبح المشاهد أسيراً لأخباره القطرية المصاغة بأحكام من القائمين عليها ، بل يصبح له مطلق الحرية في انتقاء القناة التي تزوده بالخبر الصحيح أو الأكثر إقناعا على الأقل .

 ⁽۱) محمد أحمد هاشم الشريف: البرامج الدينية في القنوات الفيضائية العربية ، رسيالة ماجستير غير منشورة (القاهرة ، كلية اللغة العربية جامعة الأزهير ، قسيم المصحافة والإعلام ، ٢٠٠٣) ص ١٢.

أمر آخر توقعنا أن تسهم قيه الفضائيات العربية وهو: كسر قاعدة أحادية المعلومات، والأخبار التي تتدفق في كل لحظة من دول العالم الصناعي إلى دول العالم الثالث، لكن شيئا لم يحدث على أرض الواقع، ويعزو هذا الفشل من قبل الفضائيات العربية في أداء دورها إلى أن الغرب المصناعي ما زال يحتكر الوكالات الأخبارية الأربعة الكبرى لبث الأخبار.

وهنا نؤكد على أن التنافس الشرس في مبدان امتلاك تقنية الأقهار الصناعية واستخدامها في البث التليفزيوني المباشر لا يأتي من فراغ ، وإنها يستند إلى قناعات عميقة لدى الحكومات ، والشركات العالمية الخاصة العاملة في مجال الإعلام بأهمية هذه التقنية وإمكانية استخدامها في سرعة انطلاقها عالميا ، خاصة والعالم يعيش فترة يسودها التحرر الاقتصادي ، والتجاري المطردان ، فترة تتقلص فيها المسافات وتختفي الحدود .

وتنظر الدول الكبرى إلى البث الفضائى كأحد الإنجازات الكبرى التى تحقق استراتيجيتها السياسية والثقافية ، وتدعم أفكارها الاقتصادية فهو إنجاز تحقق بجهد علمائها ، ومن ثم يجب حمايته هذا البث ودعمه بكل الطرق حتى ولو كان هذا على حساب دول وشعوب العالم الثالث ومن هذا المنطلق فقد أصبح البث الفضائى بمفهوم الغرب أحد عناصر التسلط الفكرى والثقافى الذى يمكن أن يؤثر – على المدى البعيد – في هوية وثقافات دول العالم الثالث.

إن المحاولات المستمرة من قبل الدول المتقدمة للوصول إلى المجتمعات النامية عن طريق الفضائيات، وعلى حساب تخلف دور وسائل الإصلام والثقافة التقليدية يؤدى إلى انعكاسات سلبية على القيم الثقافية والتربوية للدول النامية، بالإضافة إلى ذلك يحدث نوع من خضوع تلك الدول لمزيد من

سيطرة الدول المصدرة للتكنولوجيا وأعتقد أن هذا تحد كبير يواجه الإعلام الفضائي العربي .

وفى ظل المنافسة العالمية على عقول وثقافيات البشر يسصبح السعى إلى امتلاك الوسائل التي تحمى الخصوصية أمرا حتميا فقد ألغى البث الفيضائي الحواجز الجغرافية ، وصار الإعلام - خاصة المرئبي - أداة أساسية في يناء وتكوين الرأى العام العالمي .

وفى أكثر من مؤتمر دولى تعالت أصوات دول العالم النامى منادية بمزيد من الحماية تجاه سياسة تصدير الثقافة الاستهلاكية التى تتدفق من المدول المتقدمة من خلال بثها الفضائي ، وهذا يحدث في غياب تام ، وعدم مراعاة للمنطلقات التنموية والثقافية التى تحتاج إليها مجتمعات العالم الثالث .

إن الفضائيات العربية في عصر تكنولوجيا الاتصال تواجه تحديات كثيرة وعليها أن تعى تماما الدور الذي ينبغى أن تلعبه خلال هذه المرحلة لابد من إحداث تطوير في مضمون وشكل البرامج التي تبثها حتى تستطيع الاحتفاظ بجمهورها ، وإشباع احتياجاته المتنوعة الأمر الذي قد يغنيه عن متابعة الفضائيات الغربية .

لابد من توفير الإمكانيات اللازمة لرفع كفاءة القطاع الفضائي العربي حتى يستطيع تغطية كافة الأحداث السريعة والمتلاحقة التي يشهدها العالم ويحرص المشاهد العربي على متابعتها. وهنا يجب الاعتراف بأن البث الفضائي الوافد استطاع أن يصل إلى كثير من العقول العربية بمختلف مستوياتها الثقافية ويرجع ذلك إلى التقنيات المبهرة التي تقف وراء هذا البث .

والتحمدي الأكبر المدى يواجمه الفيضائيات العربية يكمن في هدا التساؤل .. إلى أي ممدى سوف تمنجح هده القنوات في مخاطبة المرأى العام الغربي الذي يحتفظ بصورة نمطية سلبية عن العرب ؟

وإذا كنا بصدد تبادل الأفكار حول دور الفسضائيات العربية في ظل المتغيرات الراهنة ، والمتوقعة فإن هذا يتطلب توجيه اهتهام خاص لبعض القضايا التي تحتاج إلى المزيد من الدراسة وتبادل الخبرات، ومنها على سبيل المثال ٠٠٠

أولا: استلهام الوسائل التي تساعد على زيادة قدرة إعلامنا العربي على تحسين الصورة العربية في المجتمعات الأجنبية في ظل بيئة إعلامية يسودها التنافس على سرعة الوصول إلى الجاهير، وكثافة هذا الوصول.

ثانيا : محاولة التمرف على صيغ مبتكرة للتوفيق بين الوظيفة الإعلامية بوصفها رسالة ، والمنتج الإعلامي بوصفه سلعة ، في ظل بيئة إعلامية عالمية تشهد ضنخ أموال هائلة للاستثار في الأنشطة الإعلامية والمعلوماتية.

ثالثا: البحث عن سبل تعميق التفاهم والحوار بين الثقافات العربية والتقريب بينها من ناحية ، واحترام ذاتية كل مجتمع عربى وخصوصياته من ناحية أخرى .

ومثل هذه الأفكار يمكن أن تكون خطوات على طريق التحدى الذى يواجه الفضائيات العربية . إلا أن الخطوة الأكثر أهمية على هذا الطريق تكمن في نجاح هذه الفيضائيات في مخاطبة الرأى العام الغربي بلغة يفهمها

⁽١) كلمة "حسن عياد مكاوى" في افتتاحية المؤتمر العلمي الأول للأكاديمية الدولية لعلوم الإعلام "أبحاث المؤتمر" ، مرجع سابق، ص ٢٥.

وبموضوعية تتناسب وطبيعة العصر حتى يمكن محو أو على الأقبل تحسين الصورة الموجودة في أجندة الغرب عن العرب.

واخيرا .. لقد أصبح الحديث عن الفضائيات العربية يفرض نفسه حتى على غير المتخصصين فالأمر في غاية الخطورة لما تتسم به تكنولوجيا الفيضاء من تأثيرات قد يكون لها على المدى البعيد نتائج غير موغوبة فيها من قبل الشعوب.

إن ما تشهده الساحة الإعلامية عالميا يعد تحد صارخ لكل أنواع القيم، تحد فرضته سياسة الواقع المتمثلة في فرض هيمنة إعلامية وسنهج حنضارى على كل ما يدب في هذه المعمورة من بني البشر.

القنوات الفضائية العربية.. مالها وما عليها:

تثير الفضائيات العربية - أكثر من أى وقت معنى - جدلا على خلفية ما تشهده المنطقة من تحولات ، وأحداث وضغوط خارجية ، ومن حيث قدرتها على الوصول إلى خطاب عربى قادر على التواجد فى الساحة الدولية . وينبغى التأكيد فى البداية على أن " التعددية الإعلامية" التى تشهدها المنطقة تعتبر ظاهرة إيجابية ، تتح للمشاهد العربى التعرف على فروع الثقافة العربية من خلال ما تعرضه القنوات الفضائية من برامج "

ومهها قبل عن بدايات القطاع الفيضائي العربي – خاصة الحكومي – وكيف أن هذه البدايات قد اكتنفها الكثير من الحماس الذي يفتقر إلى رؤية موضوعية ، أو أنها بدايات كانت أقرب إلى محاكساة لمسا يجرى في العسالم ، أو

 ⁽١) اتحادات إذاعات الدول العربية: ندوة "التعاون والتنسيق العربى في مجال استخدام
 القنوات الفضائية العربية"، مرجع سابق، ص٠٥.

اندهاشا بثورة الاتصالات ، أو أنها جاءت حاملة معها دعاية لنظام سياسي معين .. مهما قيل عن التواجد العربي على الساحة الفضائية الذي لم يخرج عن كونه مجرد تواجد غير مؤسس لا يستند إلى إستراتيجية تحمل أهدافا تسعى إلى تحقيقها.. مهما قيل فإن الفضائيات العربية شهدت في العقدين الآخرين على وجه التحديد طفرة هائلة في مدى اعتياد المتلقى العربي عليها كمصدر رتيسي لمعلوماته ، واتجاهاته السياسية والفكرية المختلفة ، بـل وحسارت مخرجـات الفضائيات العربية مفردات أساسية في تكوين مدخلات أجندة وسائل الإعلام الغربية وأيضا صانعي القرارات على المقاربات الوطنيسة والإقليميسة والدولية المختلفة ، وارتبط ذلك مع تسامي ما يسمى بظاهرة الانفجار، والانفتاح الفضائي Media Explosion الذي تجسد في إطلاق ما يقرب من مائتي قناة فيضائية عربية ما بين الحكومي، والملكية الخاصة، العامة والمتخصصة، أحدثت في أقل من عشر سينوات تغييراً في المجتمع العربي عجزت عن تحقيقه وسائل الإعلام المكتوبة ، والتليفزيونات العربية مجتمعة خلال العقود الماضية. "لقد أصبحت الفضائيات العربية - رغم ما يؤخمذ عليها - قوة إعلامية لا يستهان بها في تشكيل الرأى العام ، ولها الفيضل في تصعيد وجهات النظير حول الأحداث الجارية ، وتفسيرها نما يؤسس لاتجاهات الأفكار الـسياسية والاجتهاعيـة والثقافيـة ، حتى الأيديولوجيـة، لدرجة أن أصبح عديد من أصحاب القرار الدولي يثقون يقدرتها المسيطرة على عقول الجماهير'''

 ⁽١) حتان يوسف : الفضائيات العربية وإدارة الأزمات ، المؤثمر العلمى الأول للأكاديمية لعلوم الإعلام ، مرجع سابق ، ص ٣٨٧

 ⁽٢) مصطفى عبد ألله : علاقة الفضائيات العربية بالصحف المصرية ، المؤتمر العلمى الأول للأكاديمية الدولية لعلوم الإعلام ، مرجع سابق، ص ٢١٤.

وإذا كانت الفضائيات العربية قد أصبحت واقعا ملموسا لا يمكن القفز عليه ، تأثيرها لا يمكن تجاوزه ، ويكفى أنها سدت فراغا كبيرا في حياة المشاهد العربى الذى كاد أن يصبح أسبرا لقنوات أجنبية تبث له ما تريد وتشكل اتجاهاته بالكيفية التى تحقق مصالحها. لكن ليس معنى هذا أن قنواتنا الفضائية قد وصلت إلى مرحلة من النضج فالطريق ما زال طويلا وشاقا والتحديات تزداد يوما بعد يوم في ظل التنافس المربر على امتلاك عقول البشر .

إن هذه القنوات أقيمت من أجل خدمة الثقافة العربية بكل ما يعنى ذلك من حماية لتراث الأمة وجذورها ولغتها، وهنا كان ينبغى أن تشجع هذه القنوات كل ما هو عربى ، ولكن الواضح حتى الآن أن هذه القنوات تفتح أبوابها للثقافات الأخرى أكثر ما تتيح الفرص للثقافة العربية ، فنسبة إذاعة الدراما الأجنبية على سبيل المثال أضعاف ما يذاع من الدراما العربية بدخل فى ذلك أيضا ما تذبعه هذه القنوات من برامج الأطفال ، والبرامج الخفيفة حيث يغلب عليها الإنتاج الأجنبى بها يحمله من أفكار وسلوكيات مما يجعلنا نروج لسلع الآخرين في قنوات أنشأها في الأساس لتخدم قضايانا وترسخ قيمنا "

حتى المضامين المحلية التى تبثها الفضائيات العربية تحاكى فى كثير من الأحيان، - وربعا عن دون وعى - المضامين الأجنبية وهذا يعنى المزيد من التأثيرات السلبية على المجتمعات العربية خاصة وأن هذه المضامين تقدم باللغة العربية عما يجعل وصول الأفكار والقيم إلى المجمهور العربي أسهل، وهنا تكمن الخطورة، هنا تتحول بعض المفضائيات العربية إلى أداة ضد الواقع العربي.

 ⁽١) فاروق جويدة : القضائيات العربية والمستولية ، مقال نشر في جريدة الأهرام القاهرية بتاريخ ١٩/٨/ ٢٠٠١ ، ص ٣٦.

وتحت إلحاح ضرورة التواجد الإعلامي على الساحة العربية فيضائيا عمدت الدول العربية إلى بث برامج قنواتها المحلية عبر الأقهار الصناعية ، عدا قليل منها خصصت خدمة بذاتها كقنوات تلفزيونية فضائية وبتعبير أخر: إنها توجه نفس " الخريطة البرامجية " إلى الجمهور المحلى والجمهور العربي دون الأخذ في الاعتبار تفاوت التلقى ، وخصوصيات المشاهدة التي يبني عليها بشكل أساسي طبيعة ، الإنتاج التليفزيوني "

والسؤال الذي يمكن أن نطرحه هنا ما هي مبررات أن تعرض فضائياتنا الحكومية تحديدا قضايا مغرقة في المحلية لا تحظى باهتهام المشاهد العربى أو الغربي في الوقت الذي توجد فيه قنوات أرضية هي المعينة بمذلك. إن هذا الفكر سيؤدى بلا شك إلى ابتعاد الفضائيات العربية عن ساحة التنافس وينتقص من دورها في حماية الهوية العربية ، والأهم هو ترك الساحة للفضائيات الخاصة بغض النظر عها تقدمه .

إن صناعة "التلفزيون العربى" تواجه مأزقا حقيقيا مع تزايد الاحتياجيات البرامجية بسشكل هائيل في ظيل قاعدة إنتاجية ضعيفة القدرات عبل المصعيدين الوطنى والقومى "وعبلى سبيل المثال: فإن مجمل الإنتاج اللوامى العربى في السنة يبلغ ألفين وخمسهائة ساعة ، قد

⁽١) لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى :

أحمد العاقد: من نسق الانغلاق إلى نسق الانفتاح ، حن التواصسل آلئتساق في القنوات الفضائية العربية في القنوات الفسضائية العربيسة في خدمة الثقافية العربيسة الإسسلامية (تونس ، المنظمة العربية للتربيسة والثقافية والعلسوم إدارة بسرامج الثقافية والاتبصال، ١٩٩٨) ص٧٧.

 ⁽۲) حسن حمدى: الإعلام العربي، الفرص والتحديات في النظام العالمي الجديد، بحث
مقدم إلى مؤتمر : الوطن العربي وتحديات العولمة (القباهرة، جامعة المدول العربية
معهد البحوث والدراسات العربية، أبريل ١٩٩٩) ص. ص١١٠١ .

تزيد أو تنقص عن ذلك بقليل، ولكنه لا يفي بالاحتياجات السنوية لقناتين عربيتين فقط · · ·

ولا تنحصر القضية في العجز الكمى من المنتج التليفزيوني فحسب بل تنجاوزه إلى الصعيد " الكيفي " إذا ما استثنينا بعض الأعمال المميزة التي تظهر على فترات متباعدة، هذا إلى جانب إعطاء بعيض الفيضائيات العربية الأولوية للانتشار الجغرافي على حساب المضمون ، والتركيز على المواد الجاذبة ، مثل برامج المنوعات والأغاني التي تغرق المشاهد في حالة من السعادة الوهمية التي تبعده عن شعوره بالمستولية تجاه مشكلات وطنه، وهذا ما يعرف بتغييب الوعي أي أن هذه القنوات سوف تناقض الهدف الأساسي التي وجدت من أجله وهو: تنمية وعي الشعوب العربية بقضايا أمتها .

وعندما نقترب من اللغة المستخدمة في فضائياتنا العربية نجد أن كشيرا منها استبدلت العربية بلهجات عملية ، على الرغم من أن استخدام الفضائيات لمستوى معين من الفصحى قد يعنى الكثير بالنسبة فلاه اللغة التي كادت أن تلفظ أنفاسها الأخيرة ، وأعتقد أن المحافظة على اللغة العربية يأتي كأحد أهم الأهداف المنوط بالفضائيات العربية أن تسعى إليها كها أن مجاراة الأسلوب والنموذج الغربي فيها تقدمه بعض القنوات العربية من مواد وبرامج سواء : في عتوى تلك البرامج ، أو مسمياتها ، أو طرق تقديمها ، يدفعنا إلى القول بأن هده القنوات العربية — قد يسهم بعضها — في مزيد من التشويه للثقافة العربية ، ومنزيد من التباعد بين الجهاهير العربية "

 ⁽١) محمد عبد الكافى: القنوات الفضائية العربية وإمكانية الاستفادة منها في نشر الثقافة العربية الإسلامية (تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ن إدارة بسرامج الثقافة والاتصال ، ١٩٩٨) ص ١٨٤.

 ⁽۲) محمد أحمد هاشم الشريف: البرامج الدينة في القنوات الفضائية العربية ، مرجع سابق ، ص ١١٦

إن الانحدار الذي تسير إليه القنوات الفضائية العربية مذهل ومخيف ولا يؤدى إلا إلى الهاوية التي لا تحمد عقباها ، إن التردى السحيق الذي وصلت إليه فضائباتنا وهي تتسابق نحو التقليد ينعكس بصورة جلية في الأداء الذي يتراجع يوما بعد يوما ، وفي الوجوه التي تقدمها الفضائيات على أنها كوادر إعلامية ، لكن الكثير منها لا يعرف عن الإعلام إلا اسمه ، ولم يصدق أنه سيقف في مواجهة جمهور في يوم من الأيام ، إلا أن المعايير المختلفة التي تتبعها بعض الفضائيات جعلت الكثير من المذيعات من بيئة لا علاقة لها بالإعلام .

تـرى هـل صـدق عـلى مشـل هـذه الفـضائيات القـول بـأن الطريـق إلى الفضائيات بمر عبر صالات عرض الأزياء **

وبموضوعية شديدة فإن القنائين عينة الدراسة تكاد تخلو من هذه النوعية من مقدمي البرامج إلا أن المستوى الثقافي للبرامجيين (معدين، مسليعين، محسرجين)، مسازال يحتساج إلى الكشير وهدذا يعنسي المزيسد مسن السدورات التدريبية الحقيقة، وليكن تدرج هؤلاء في السلم الوظيفي مرتبط بمدى ارتقائهم بالمستوى الثقافي والمهنى.

إننا في حاجة إلى برامجيين تؤمن بالإعلام كرسالة ، وتنطلق من خبرة واعية واحترام لأمانة الكلمة ، وشرف المهنة حتى نرتقى بذوق المشاهد ويكون هؤلاء أكثر تأثيرا فيها يقولونه .

وعندما نسأل عن مدى خدمة هـذه القنـوات لانتهائهـا ، أو بمعنـي أدق مدى تلبيتها لحاجاتنا الثقافية ، وهو ما يجيب عنه د. على القيم الذي ينعى حال الثقافة العربية والإسلامية في هذه القنوات حيث لا يرى من خلالها بزوغ أي

⁽٢) الفضائيات وغياب المصداقية " على موقع : www.al_izgerh.com

فجر ينبئ عن تقديم مضامين ذات قيمة للمشاهد العربى تغنيه عن ثقافة الكتاب الذى أضحى في حال يرثى لها في عالمنا العربى وفي رأى .د القيم أن ما يقدم حاليا عبر قنواتنا الفضائية ليس على مستوى الطموح ولا يعبر عن ثقافتنا ، ولا يزال حيز البرامج الثقافية ضئيلا مقارنة بها يقدم من برامج الفن والرياضة والمنوعات ، فعندما تصور أغنية جديدة (فيديو كليب) لمطرب من الدرجة الثالثة تبثها الفضائيات العربية عشرات المرات يومياً في حين أن إتاحة مثل هذه الفرصة لكتاب جديد أو لمفكر يتحدث عن إنتاجه عبر الشاشة أمر قد يكون صعبا .

ويضيف د. القيم أنه في مؤتمر لوزراء الثقافة العرب الذي عقد قبل عدة سنوات كان هناك إصرار من قبل الوزراء على إنشاء قناة ثقافية عربية الحدف منها نشر الثقافة العربية والتعرف بها ()

والباحث مع هذا الإصرار لان ثقافتنها تواجه الآن بسيل جهارف مسن التدفق الإعلامي والمعلوماتي الأمر الذي يتطلب المزيد من الحياية والسدعم، ولا أعتقد أن هناك أفضل من قناة عربية خاصة تقوم بذلك بعيدا عسن الفكر القطرى الضيق.

وبعيدا عن السلبيات المصاحبة لأداء القطاع الفضائي العربى من نجد الكثير الذي يحسب لهذا القطاع فقد استفاد المواطن العربى من قنوات هذا القطاع سواء على مستوى الوعى أو مستوى القضايا فلا يستطيع أحد أن ينكر أن هذه القنوات شاركت بدور كبير في الوعى السياسي لدى الجاهير العربية ، من خيلال التحامها بالأحسداث

⁽١) لمزيد من التفاصيل: برامج الفضائيات هل تلبي حاجاتنا الثقافية على موقع .www. Bab.com. Sa/articles/ full_article

الجاريـة العالميـة ومتابعـة مـا يجـري ومـا يـدور حولمـا "فقنـاة مثـل "قنـاة الجزيسرة" عملى سمبيل المشال ، أيماً كمان المرأى فيهما ، والتنمامي المتزايمة لمشاعر السلك والريسة تجاه كمل ما يتصدر منها وعنها من مواقف وتوجهسات ، فسالأمر المؤكسد أنهسا نجحست في تجساوز "بيروقراطيسة" و ضيق أفيق المنظومات الإعلامية العربية ، كسرت احتكار أمريكا لـ " الميديا" الإعلامية بما دفع أباطرة الإعلام في العالم إلى تـدارس التجربـة ، ومراجعة أحكمامهم ، وإسمتراتيجياتهم المسابقة أمملا في الحمد من تمأثير الجزيرة ، وتحجيم قدرتها على التغلغيل ، ليس في الأوسياط العربية فقد وإنها في الأوساط الغربية والعالمية ، وخاصة بعد أحداث الحسادي عسشر من سبتمبر من عسام ٢٠٠١ باعتبارها السبكة التليفزيونية الوحيدة التي لم تغلسق مكاتبها في أفغانسستان ، الأمسر السذي دعسا المحلسل الأمريكسي "نيوتون ميناد " في صحيفة " شيكا غوترميون " أن يعلق على ذلك بقوله " لقد علمتنا قناة الجزيرة درسيا مهها ، وهو أن السوق العالمية للأخبار والإعلام لم تعد تهيمن عليه الولايات المتحدة لان حكومتنا – حسب وصفه - لا تملك منفذا خاصة بها في المنطقة لمذلك فيإن عددا كبيرا من الأمسريكيين لديهم الآن اتسصالا مساشرا مع بث الجزيرة من خالال خدمة القمر البصناعي "ايكوستار" " وإلى جانب هذا فقد أتاحت الفضائيات العربية فرصا متنوعة للاختيار أمام المشاهد العربي وهذا لم يكن متاح من قبسل وكمذلك جعلته يتسابع أهمم الأحمداث العالميمة

⁽١) فاروق جويدة : الفضائيات العربية الدور والمسئولية ، مرجع سابق ، ص ٣٦.

⁽۲) مجدى الطيب : أسرار تشفير الجزيرة ، مقال نشر في مجلة روز اليوسف العدد ٣٨٦٢ في ١٥/٦/١/ ، ص٨٠.

، وفي مختلف المجسالات. أبسواب جديسدة للمعرفية فتحهسا القطساع الفضائي أمام مجتمعاته.

وقد حركت القنوات الفضائية العربية المياه الراكدة في ميدان العمل التليفزيوني الحكومي في الدول العربية ، التي استشعرت خطر انصراف الجماهير العربية عنها فراحت تخفف من سيطرتها الرقابية على البرامج وتسمح بهامش من حرية التعبير ، رغبة في الحفاظ على مشاهديها"

ومن جانب آخر فإن هذه القنوات الفضائية العربية قد فتحت أبوابا كثيرة للحوار الذي كشف أمامنا جوانب كثيرة من سلبيات المجتمعات العربية على المستوى السياسي والاجتاعي والأخلاقي، كما أن هذا الحوار فتح عيوننا على كثير من جوانب العجز والسلبية.

ولا شك أن هذه القنوات شاركت بدور كبير في حركة الانتعاش الاقتصادى في مجالات الاستثبار والتجارة ، وإذا توقفنا أمام تجربة فريدة في "دبى" الآن سوف نكتشف إلى أي مدى استطاعت هذه المدينة الصغيرة أن تقلب الموازين التجارية في منطقة الخليج كلها وذلك بفضل الدور الإعلامي"

كما أن بعضا من القنوات الفضائية الخاصة تبنت مواقف سياسية ، وإنسانية من منظور قومى ففى عام ١٩٩٣ تبنى " تليقزيون الشرق الأوسط" MBC برنامجا متكاملا لصالح البوسنة والهرسك ، وقد بلغ ما تسم جمعه من خلال هذا البرنامج سبعة عشر ملبون دولارا، كما أن التقنية المالية التى تمتلكها بعض القنوات الفضائية العربية الخاصة وتحررها من السيطرة

١) سامى الشريف : القنوات الفضائية العربية ، والحفاظ على الحويسة مرجبع سسابق ، ص
 ٢٤

⁽٢) فاروق جويدة : الفضائيات العربية ، الدور والمستولية ، مرجع سابق ، ص٣٦

الحكومية أتاح لها معالجة العديد من الموضوعات والقضايا بعيدا عن المواقف المتحفظة للحكومات العربية °°

وبغض النظر عن سلبيات أو إيجابيات أداء الفيضائيات العربية المذى تناولته بحوث ميدانية عديدة اهتمت بآراء ، وانطباعات الجمهور عها تقدمه الفضائيات العربية ، ومعدل مشاهدة هذه القنوات إلى أخره، فالمهم هو أن تحقق هذه الفضائيات الأهداف المرجوة في حماية الهوية العربية والحفاظ على القيم والأخلاقيات فيها تبثه من برامج ، ومواد متنوعة ، وأن تكون بحق: البديل العربي في الفضاء، لمواجهة خاطر ما تبثه الفضائيات الأجنبية من مضامين وأفكار مغايرة للقيم والأخلاقيات المعربية ولا تخدم مصالح الشعوب العربية ، لا أن تكون محاكة للمضامين الأجنبية بمضامين عربية "

 ⁽١) سامى الشريف : القنوات الفضائية العربية ، والحفاظ على الهويسة مرجع سسابق ، ص
 ٢٥ .

 ⁽۲) إبراهيم العقباوي : أخلاقيات الإعلام والفضائيات العربية ، ورقة عمل مقدمة إلى "
 المؤتمر العلمي الأول للأكاديمية الدولية لعلوم الإعلام ، مرجع سابق ، ص ٦٣٨ .

الخيلاصة ..

لاشك أن العقد الأخير من القرن العشرين قد شهد تحولات هائلة في تكنولوجيا الاتصال، وقد تأثرت شعوب العالم بتلك التحولات بحيث أصبح الإعلام بوسائله المختلفة قادرا على أن يسصنع الحكومات والرؤساء والقادة، أو على الأقل أن يساهم في صنع هؤلاء، وأن يغير مسار الخيارات الاقتصادية والسياسية والاجتهاعية بل والثقافية بحيث فرض نوعا من الهيمنة على المجتمع والفرد، بل وصار للإعلام دور هام في التنمية الشاملة، ومساعدة الأمة في الحفاظ على القيم، والذاتية الثقافية، وحماية الثقافة الوطنية وتعزيزها ومساندتها، والخيلولة دون الغزو الثقافي، أو ينبغي أن يلعب الإعلام هذا الدور.

وقد أصبحت الدول العربية - وهي قليلية الإمكانيات خالية تقريبا أو تكاد تخلو من الصناعات الانصالية - هدفا للتدفق الإعلامي من أوروبا بصفة عامة وأمريكا على وجه الخصوص، ولم تلحظ الأنظمة السياسية العربية مبكرا هذا التدفق وما قد يصاحبه من خطورة على منظومة القيم الاجتهاعية والثقافية بكل ما تحمله من ملامح عربية أصلية، ربا لأن وضع هذه الأنظمة السياسي والاقتصادي والاجتهاعي ، وموقفها من الحريات والديمقراطية ، وطبيعة ملكية وسائل إعلامها ، وتوجهات هذه الوسائل وسياساتها وضالة الإعلامية والثقافية ، كل هذا جعلها بعيدة عن أي عصور موضوعي للمشهد الإعلامي الراهن .

إن المنطقة العربية لم تكن معزولة عما يجرى في العمالم من تحديث في الاستخدام الإعلامي لتكنولوجيا الاتصال ، لكن مما حدث كمان مفاجشا ،

وبخطى أسرع من كل التوقعات ، وطبيعى ألا تفليح قيود السلطة أو تشريعاتها في منع الشعوب من التعامل مع القنوات الأجنبية ، ساعد على ذلك التطور الهائل الذي عرف طريقه إلى هوائيات الاستقبال.

وأمام هذا الواقع توجهت مجموعة من المؤسسات الإعلامية إلى منظومة البث الفضائي، وتأسيس قنوات خاصة جبنا إلى جنب مع هذا التواجد المكثف للقنوات الفضائية الأجنبية في المشهد الإعلامي العربي كمحاولة لتلبية رغبات الجمهور العربي من جهة ولتوصيل الفكر العربي إلى المجتمعات الغربية من جهة أخرى

ويعود الفضل إلى "تونس" التى شهدت ميلاد فكرة إنشاء مؤسسة عربية فضائية عندما طرح وزراء الإعلام والثقافة العرب في اجتهاعهم في "بنزرت" عام ١٩٦٧ فكرة قيام الدول العربية بإنشاء وامتلاك شبكة فضائية عربية خاصة بهم ، وكان ذلك لإدراك الدول العربية أهمية تسوفير وسائل اتصالات متطورة تخدم الأهداف الإعلامية والثقافية والتنموية .

وبعسد جهسود ومسشاورات أنسشت المؤسسة باتفاقيسة وقعست في ١٤ أبريل ١٩٧٦م وتكمن أهم أهداف هذه المؤسسة ونشاطها في :

أولا: تهدف المؤسسة إلى توفير واستثبار قطاع فضائى عربى للخسدمات العامة والمتخصصة في مجال الاتصالات السلكية واللاسسلكية لجميسع السدول الأعضاء في جامعة الدول العربية وفقا للمعايير الفنية والاقتصادية المعمول بها عربيا ودوليا .

ثانيا: بالإضافة إلى تحقيق هـذا الهـدف، للمؤسسة أن تقـوم بمختلـف الأنشطة التالية :(١)

- أ- مساعدة الدول العربية فنيا أو ماديا في تنصميم وتنفيذ المحطات
 الأرضية.
 - ب- إجراء البحوث والنراسات الخاصة بعلوم تكنولوجيا الفضاء.
- ج- التشجيع على إنشاء السمناعات اللازمة لتجهيسزات القطاع الفسضائي
 والمحطات الأرضية في الدول العربية .
- د- القيام بعمل النقل التليفزيوني والإذاعي بين الإدارات والهيئات المختصة في البلاد العربية عن طريق الشبكة الفيضائية العربية، وكذلك وضع قواعد استكمال القنوات المخصصة للتليفزيون والإذاعة بما يحقق المطالب المحلية والجماعية العربية.

وقد اتخسنت المؤسسة مسن المملكة العربيسة السسعودية مقسرا لهسا ، كسها أنشئ مركز تبادل تابع لاتحاد الإذاعات العربية فى تونس .

غير أن الإشكالية المطروحة وبسدة في هذا السأن لا تكمن في إنشاء محطات إعلامية ، وقنوات تليفزيونية ، بل في كيفية استغلالها، واستثيارها لبلورة مضمون ثقافي وحضارى عربي قادر على التعايش مع باقى المضامين الدولية ، ومؤهل لتطوير ذاته.

 ⁽١) لمزيد من التفاصيل ومتابعة بنود الاتفاقية انظير ملحق (١) جامعية الدول العربية ،
 اتفاقية المؤسسة المصرية للاتصالات الفضائية في :

حمدى قنديل: عربسات، السبكة الفيضائية العربية، وقبضايا الاتبصال في البوطن العربي (القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب ،١٩٨٩) ص ٢٦٤.

إن تعدد الأقنية الفضائية العربية وزيادة عددها لا يعنى أن مثل هذه القنوات سوف تستطيع مواجهة مشاكل الأمة العربية وهمومها ، وتسهم فى تحقيق رسالتها الحضارية ، إن لم يصاحب التعدد برامج تؤدى هذه الأضراض والواقع أن الزيادة الملحوظة فى عدد الفضائيات العربية يؤكد الحاجة أكثر فأكثر إلى إنتاج المزيد من البرامج وخاصة البرامج الثقافية المحدودة جدا وحتى الآن – على الخرائط البرامجية للفضائيات العربية ، كما نؤكد ضرورة زيادة مساحة هذه البرامج وساعات البث المخصصة لها ، بهدف تعميق الثقافة القومية ، ودفع المجتمعات العربية خطوات على طريق التنمية.

إن نجاح القنوات الفضائية العربية مرتبط بفهم مهام الإعلام السوطني في ظل معطيات النظام الإعلامي العسالمي السراهن ، وعلاقة الإعسلام بالتنمية المشاملة وبمسارات الحرية والديمقراطية ، وبحق الاتصال والتعبير وتعددية الآراء .

ولاشك أن الإحاطة بالمضمون الثقافي والإعلامي لكل الفضائيات العربية أمر خارج السيطرة ضمن حدود هذه الدراسة ، ذلك لآن هذه القنوات بدأت تتزايد بصورة ملفتة للنظر ، حتى أن بعض الأقطار العربية تمتلك أو توجه بشكل مباشر أو غير مباشر أكثر من عدة قنوات ، إلا أنه من خلال تحليل المشهد الإعلامي العربي الراهن فيها يتعلق بالقنوات الفضائية يمكن ملاحظة التالى :

أولا: إن الإنتاج التليفزيوني العربي لا يكفى لـشغل مشات الآلاف من ساعات بث القنوات الفضائية العربية سنويا ، لـذلك تـضطر بعـض هـذه القنوات إلى بث الإنتاج القديم الذي أنتج لقنوات أرضية مع العلم أن هناك فرق كبير بين ما ينتج للقنوات الأرضية ومثيله الذي ينتج للقطاع الفـضائي ،

أو تضطر هذه القنوات إلى إنتاج برامج متسرعة سسطحية أو الركسون إلى بسث المباريات الرياضية ويزيد الأمر سوءا ضعف التبسادل البرامجى والتسدنق بسين الدول العربية.

ثانيا: من المفترض أن أحد أهم مهام القطاع الفضائى العربى العمل على تعميق أواصر اللحمة القومية العربية ، وخدمة الثقافة العربية وتنشيط الحوار والتفاعل بين المجتمعات العربية، ومواجهة الاختراق الثقافى الأجنبى ، والسؤال الذى نظرحه هنا.. هل هذا هو الهدف المذى دفع الدول العربية لاستئجار قنوات فضائية للبث التليفزيونى ؟

ويميل الباحث إلى الاتجاه الذي يؤكد صلى أن استتجار بعض العرب للأقنية الفضائية كان إما تقليدا لما يجرى في العالم ، أو اندهاشا بشورة الاتصالات أو سعيا لدعم النظم السياسية ، وعلى هذا الأساس يمكن القول إن هناك غياب أو على الأقل عدم وضوح لأهداف عديدة من أهداف القطاع الفضائي العربي.

وفى ظل عدم وضوح الهدف ، وقلة الإنتاج فبإن هناك استحالة لوضع خطط برامجية شاملة ومتوازنة وفيها يتعلق بالشئون المحلية فإن هذا جزء من مهام القنوات الفضائية لكن الأمر يقتضى إعادة النظر فى المواد المحلية بتنقيتها لتناسب المتلقى خارج الحدود.

ثالثا: من الملاحظ أن بعض الفضائيات العربية لا تعطى أى مساحة لحق الاتصال وحريته مما يـؤدى إلى ضيق هـامش الحربات ، وتوجيه الـبرامج ، وإعدادها بمعزل عن الاهتمام برأى المتلقى ،وهذا يتنافى تماما مع طبيعة المرحلة التى يعيشها العالم .

رابعا: ينبغى على الأنظمة الإعلامية العربية أن تتخلص من الانبهار بقدرة القنوات الفضائية، وأن تعمل هذه الأنظمة على ملىء ساعات بث هذه القنوات بنوعية من البرامج التي تخدم ، وتعمل على تحقيق أهداف الأمة العربية ، وحماية المجتمعات العربية من الهيمنة والتدفق والغزو الضار بتقديم برامج تزيد اللحمة بين أبناء الأمة ، وتساعدهم على تحقيق التنمية الشاملة والتطور المتعدد الجوانب ، والمساهمة في بناء الحضارة الإنسانية .

إن القطاع الفضائي العربي ينبغي أن يؤكد على الثوابت العربية المستمدة من القيم الدينية والأخلاقية ، وعليه أن يعمل على تأهيل المواطن العربي أينها كان موقعه داخل الوطن أو خارجه للتصدي لكل المحاولات التي تستهدف النيل من الهوية العربية ، وتشويه التاريخ العربي ، والتشكيك في قدرتنا على مواصلة دورنا والإسهام من جديد في البناء الحضاري على الأصعدة الإقليمية والعالمية .

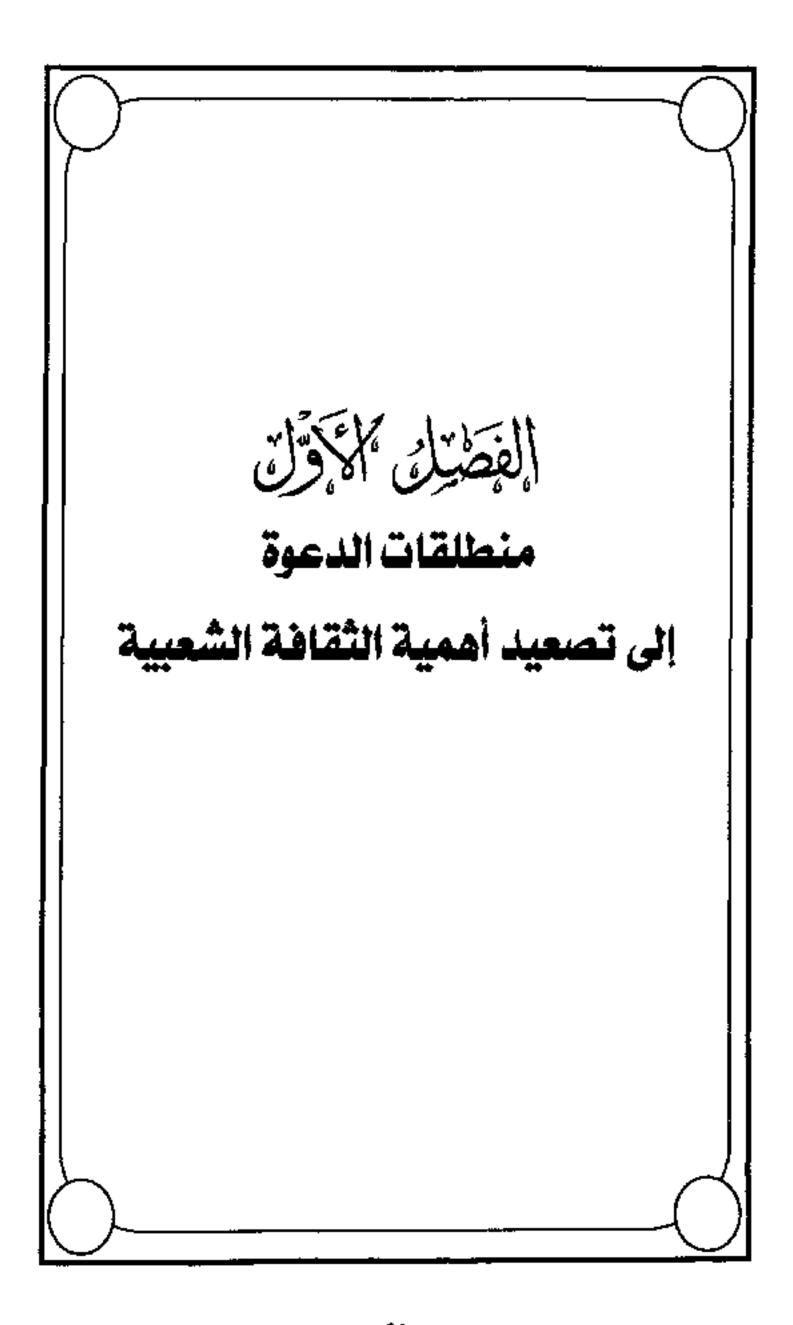
البّائِ الثّانِيّ

الفضائيات العربية والثقافة الشعبية

الفصل الأول: منطلقات الدعوة إلى تتصعيد أهميت

الثقافة الشعبية

الفصل الثاني: آليات هذا التصعيد.



الفصل الأول

منطلقات الدعوة إلى تصعيد أهمية الثقافة الشعبية

مقدمت:

لاشك أن هناك شبه اتفاق بين الباحثين وخبراء الاتسمال ، والإعلام ، حول المكان المتميزة التي تحظى بها وسائل الإعلام في المجتمع المعاصر ، وخاصة بعد ثورة الاتصالات التي يعيشها العالم في الوقت الراهن ، كذلك فإن هناك شبه إجماع على الدور الذي يمكن أن تؤديه هذه الوسائل في مختلف مجالات الحياة المعاشة .

إن وسائل الإعلام تحتل الآن أهمية كبيرة في المجتمعات الحديثة ، وتنبع هذه الأهمية من مسئولية هذه الوسائل تجاه المجتمع الذي تعمل فيه ، وخاصة في ظل السيطرة الاتصالية للدول المتقدمة تكنولوجيا التي تحاول استغلال نفوذها لتحقيق مصالحها الخاصة ، وفرض أيديولوجياتها ، وثقافاتها عما قد يعرض الدول الأقل تقدما لخطر جسيم يتمثل في فقدانها لهويتها القومية ، ويشكل نوعا من التبعية الثقافية ."

ومن المفترض أن تكون ومسائل الإعلام جزءا هاما من النسيج الاجتهاعى حيث تكوّن هذه الوسائل نظاما ثقافيا متهاسكا ، يعبر عن الاتجاهات السائدة ، ويعمل على تنمية المفاهيم ، وتدعيم المعتقدات والقيم وأنهاط السلوك الموجودة بالفعل ، كها أنها تمرر القيم والتقاليد من الأجيال السابقة إلى الأجيال

 ⁽١) غازى زين عوض الله: " الإعلام .. الواقع والمستقبل" (المسعودية، مجلمة المنهس،
 العدد (٥٧٧)، المجلد (٦٣)، ديسمبر ٢٠٠١) ص ٨.

التالية ، وهذا هو الدور الذي يمكن أن يلعبه الإعلام في التنشئة الاجتباعيـة ، ونقل الميراث الثقافي وهي وظيفة أساسية للإعلام .

وإذا كانت الوسائط الجهاهيرية - مقروءة ومسموعة ومرئية - تعد الآن بمثابة قوة اجتهاعية ظهرت في حياة الناس، وتؤثر بشكل واضح في ثقافتهم ونمط حياتهم، فإن هناك من يسرى في تلك الوسائط خطرا يهدد المأثور الشعبي.

وبعيدا عن مثل هذه الآراء لا يمكن إنكار الدور الإيجابي الذي تلعبه وسائل الاتصال الجهاهيري في الحفاظ على أنهاط وصيغ المأثور الشعبي، وترويجها مع الوضع في الاعتبار أن هناك بعض الآثار السلبية التي تصاحب وجود المادة الشعبية في هذه الوسائل، خاصة فيها يتعلق باستغلال هذه المادة لأغراض تجارية أو للدعاية السياسية أو على الأقل أن تتواجد هذه المفردات التقليدية بشكل غير لائق بعيدا عن قيمها ودلالاتها الاجتهاعية.

والعلاقة بين التطور التكنولوجي والإبداع الشعبي غالبا ما تثير الجدل إلا أن الشواهد تؤكد على إمكانية أن تلعب تكنولوجيا الاتحال دورا في نشر وترويج وتقريب عناصر الثقافة الشعبية إلى أذهان أجيال جديدة ، فهي أقصد وسائل الاتصال ليست قنوات صاء، وإنها هي أقرب إلى أدوات فاعلة تساعد في "عصرنة" الإبداع الشعبي، وعرضه في حلة جديدة تتلاءم وروح العصر.

إن الوسائط الجهاهيرية قد أثرت كثيرا في صياغة نمط حياة الإنسان في المجتمع المعاصر ، وظهر هذا التأثير واضحا في طبيعة صياغة مأثوراته الشعبية ولا يفوتنا في هذا الصدد أن نؤكد على أن من السهات الأساسية للفولكلور المرونة والقدرة على التكيف مع ظروف الحياة الجديدة ، فالمأثور السميى في المفهوم الحديث للفولكلور ليس فقط تراكها لخبرات فكرية تشكلت عبر

أجيال عديدة ، ولكنه أيضا حركة دينامية وعملية تغير لمواكبة تطور الحياة الإنسانية، ومن هذا المنطلق نستطيع أن نتبع أثر الوسائط الجهاهيرية في تغيير أساليب حياة الناس الذي أدى بالمقابل إلى أحداث تغير ملحوظ في تراثهم الشعبي . "

إن مأثوراتنا الشعبية فيها كها في غيرها من مأثورات الشعوب قيم ومشل وسلوكيات جليلة وفيها أيضا أمور تافهة وسقيمة ، وعلى الإعلام أن يلقى الضوء على كل نهاذج مأثوراتنا الشعبية الناجحة عما يفيدنا ، وما نقدمه لغيرنا من الأمم والشعوب .

ولعل مثل هذه المأثورات بشىء من الرعاية والاهتهام بعناصرها المادية والمعنوية ، وبوظائفها التى تستهدف المنفعة والجهال ، وبقيمها المتوارثة عبر الأجيال قادرة عبلى التعاميل مبع مضردات القرن الجديد، القرن الحادى والعشرين بكل تحدياته .

إن هذه المقدمة الموجزة تحدد بصورة مختزلة دقيقة الأسباب التي جعلت من العلاقة بين الإعلام ، والثقافة الشعبية هدفا لمزيد من تصعيد أهمية المأثور الشعبي في وسائل الإعلام المختلفة ، خاصة في هذه الفترة التي تتعرض فيها ثقافات دول العالم الثالث لمزيد من الغزو والتهميش. وتتمثل منطلقات الدعوة إلى تصعيد أهمية الثقافة الشعبية إعلامياً في مجموعة محاور أهمها :

⁽١) حصة زيد الرقاعى: الفولكلور في الوسائط الجياهيرية ، مظاهر التأثير والتأثر بين فـن الإعلام والثقافة الشعبية (الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، عـالم الفكر ، المجلد (٢٤) ، العددان الأول والثاني ، ديسمبر ، ١٩٩٥) ص ١٧٣.

أولا: الماثور المشعبي والحف اظعلس الخصوصية الثقافية في ظل موجات العولمة..

إن المأثور الشعبى بكل ما يعنيه من الأصالة قادر على أن يدعم هذا الاتجاه بالإضافة إلى ما يمكن أن تضيفه عناصر الثقافة الشعبية من أبعاد جديدة على طريق فهم واستيعاب الثقافة القومية.

إن المأثور الشعبى يحمل من عناصر الثقافة الأصلية ما يجعله أمينا على القيم الإنسانية والمثل الأخلاقية والخبصائص القومية ، هو أقرب إلى نهر روافله الثقافة الرفيعية والشعبية ، وكذلك الحبرات والمعارف والتقاليد المتراكمة عبر الزمان .

ثانيا: الفولكلور واقع متجدد قادر على الإسهام في البناء الحضاري:

إن حيوية وقدرة عناصر المأثور الشعبى على التفاعل مع متغيرات العصر تجعلها دائها قادرة على الإسهام من جديد فى البناء الحضارى للإنسان والدليل على قدرة المأثور الشعبى فى الاستمرارية يكمن فى أن الكثير من العادات الشعبية لدى كافة المجتمعات تستجيب لما يطرأ عليها من متغيرات العصر توفق عناصرها بناءً على تلك المعطيات فى صياغة متفاعلة معها ، ومؤكدة على حيوية تلك العناصر وديناميتها (١)

ثالثاً: المأثور الشعبي مصدر استلهام للفنون المعاصرة:

خاصة وأن مثل هذه العناصر فيها من الجهال والطرافة والغرابة ما تجعلها مؤهلة لإضافة أبعاد جمالية على الإنتاج الفنى المعاصر .

⁽١) لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى :

سميح عبد الغفار : تطور المعلاقة بين أنواع الخبز المتزلية ، وخبز السوق (المنبصورة ، المركز الحضارى لعلوم الإنسان ، والتراث الشعبى ، دورية الثقافة المشعبية العسد الأول ، أكتوبر ١٩٩٨) ص ٥٦٣ .

إن الإعلام حين يقترب من دوائر المأثور الشعبى مستلها منها ما قد يعين الناس على التصدى لمشكلاتهم الحياتية، فإنه بذلك قد يعيد الحياة مرة أخرى إلى قيم إنسانية عليا.. قيم كادت أن تلفظ أنفاسها الأخيرة خلف هذا التراكم العلمى المذهل. والإعلام بفعله هذا لا شك أنه سيضيف حداثة على القديم كا أنه سيعطى الأصالة لإبداعه الفنى.

رابعا: المأثور الشعبي والتنمين:

حيث أكد بعض الباحثين الذين يشتغلون في قضايا التنمية على أن إخفاق الكثير من مشاريع التنمية عائد إلى تجاهل المخططين لثقافة المجتمعات المستهدفة فها يصلح لمجتمع قد لا يصلح لمجتمع آخر .

إن تنفيذ البرامج التنموية ليس مرهونا بالمعلومات الإدارية والتكنولوجية والتنظيمية وحدها بل لابد من مشاركة الواقع الاجتباعي والثقال من خلال الاطلاع ومعرفة واستثهار العادات والمعتقدات والأدوات التقليدية وأنهاط وأساليب العلاقات الاجتباعية ، أي أنه لا مناص من الوقوف على المخرون التراثي واستغلاله لفتح الطريق أمام تنفيذ برامج التنمية ، وأي إغضال لهذا الجانب يعنى مزيدا من هدر الطاقات البشرية ".

أولا: المأثور المشعبي والحف اطعلى الخمصوصية الثقافية في ظل موجات العولمة:

مع تعقيد حياة المجتمعات البشرية الأولى أخدات تتولد من الحياة الاجتماعية المشتركة فئات ظلت تنمو حتى انتظمت في شكل طبقة سائدة يقابلها طبقة مسودة ولكل منها ثقافته الخاصة المتهايزة: ثقافة الطبقة السائلة،

⁽١) التراث الشعبي (دبي، جامعة الامارات العربية المتحدة ، ١٩٩٦) ص ١٤٤

وفى قمتها ثقافة الخاصة أو الصفوة، وثقافة الطبقة المسودة، وهذا أمر طبيعى لأن ثقافة أى جماعة هى تعبير عن وجود تلك الجاعة، وصياغة لمه، وتبدو صور هذا التعبير فى الدين، والاتجاهات العقائدية المتصلة به، وفى القيم، والمثل، وأنهاط السلوك العملية، وفى النظرة الفلسفية إلى الكون، وغالبا ما تصاغ هذه الصور فى أشكال فنية ذات قوالب ومضامين تشف عن أحوال تلك الجهاعة وفكرها . والحد الفاصل بين الثقافتين - الخاصة والعامة - لا يعنى عدم التقائها، فالتفاعل بين الثقافات - حتى فى المجتمع الواحد - أمر منطقى تؤيده الشواهد وتبرهن عليه خصائص الثقافة من حيث قدرتها على الانتشار والتفاعل مع غيرها فى منظومة تلقائية.

وإذا كانت ثقافة الصفوة قد حظيت باهتمام كبسير من قبسل رواد العلوم الإنسانية على مر التاريخ فإن ثقافة العامة الطبقة المسودة ظلت ولفترات طويلة بعيدة عن ميدان البحث والدراسة والاهتمام.

وعندما بدأت هذه الثقافة التلقائية - بكل ما فيها من إسداعات - تلفت نظر مجموعة من علياء الاجتباع والأنثروبولوجيين كان هذا يعتبى بداية مرحلة هامة لماثورات المشعوب. ولعل الالتقات إلى القولكلور قد جاء في الفترة التي أخذ الدارسون يواجهون الحياة الواقعية باعتبارها المصدر الأول لإدراك الإنسان لذاتسه ولمجتمعه ولمساره المثقافي والحيفاري. "كها أن الاهتبام بسالفولكلور يكمن في

 ⁽١) يورى سوكولوف : القولكلور قضاياه وتاريخه ، ترجمة : حلمى شعراوى وآخرون (
 القاهرة ، الهيئة العامة لقمصور الثقافة ، مكتبة الدراسات الشعبية، العدد (٥١) ،
 ١١٠٠) ص ١١

⁽١) عبد الحميد يونس: الفولكلور الأمريكي بين الهجرة والاستقرار (القباهرة، مجلة الفنون الشعبية، العدد (٢٠)، ١٩٨٧)ص ١٠٤

الإيهان بمأن المأثورات المشعبية في جوهرها انعكاس لطريقة شاملة في الحياة بمعنى أنها تعبر بصدق صن هوية أصحابها، وذاتيتهم الثقافية، ورؤيتهم للحياة والكون سواء على المصعيد المادى أو المعنوى، وهي بهذا المعنى تكاد تشكل الجانب الأكبر في ثقافة أي مجتمع ."

إن الاهتهام بالفولكلور لا يمكن أن يكون وليد الصدفة ، ولا هو ثمرة اجتهاد شخصى لباحث فرد ، مهما بلغ علو هامته في البحث، وحماسه للمدفاع عن هذا الفرع الجديد من فروع العلم ، وذلك أن العلوم لا تنشأ ولا تحون في بيئة معينة نتيجة حماس أو تهاون نفر من الناس أيا كان وضعهم على المسرح الثقافي لابد إذن أن يكون هذا الاهتهام استجابة طبيعية سوية لحاجة علمية لها وجودها الملموس على المستوى الاجتهاعي والقومي ، حاجة يمكن أن تبرر هذا التشجيع من جانب أجهزة الدولة ، وهذا الاجتهاد ، وهذه النوايا المخلصة من جانب بعض الباحثين الأفراد . "

ورغم ذلك يبقى المأثور الشعبي حتى الآن بعيدا إلى حد كبير عن الدراسة التي تستوعب شموله خاصة فيها يتعلق بأطره النظرية أو المنهجية أو التاريخية.

ولعل أحد أهم العوامل التي تنضاعف من الحاجمة إلى دراسة المأثور الشعبي هو برز ظاهرة العولمة في السنوات الأخيرة .. العولمة بكل ما تعنيه من زوال للحدود والحواجز بين الثقافات، أيضا بكل ما يصاحبها من تخوفات تأتى حاملة معها ثقافة الغني مع محو تدريجي لثقافة الفقير ، واستبدالها بها لا يتناسب مع مكونات وأصول الثقافة والحضارة .

 ⁽٢) أحمد على مرسى : الفولكلور وثقافة المستقبل ،قضية المصطلح (القاهرة، مجلسة الفنسون
 الشعبية ، العدد (٤٦) ، ١٩٩٥) ص ١٠

⁽١) أحمد أبو زيد: وآخرون، دراسات في القولكلور (القاهرة، دار الثقافة للطياعة والنشر، ١٩٧٢) ص

إن الحديث عن الدور والوظيفة التي يقوم بها المأثور الشعبي بوصفه أحد أهم وسائل الدفاع عن ذاتية وخصوصية الشعوب أمر مرتبط إلى حد كبير بحاضر هذا المأثور ومستقبله في إطار الثقافة التي ينتمي إليها. والمستقبل كما نتوقعه حافل بالمتغيرات ، خطوات متلاحقة على طريق التقدم المصناعي، وتعميق الاستخدام التكنولوجي، ومن هنا نتوقع صراعا بين الولاء للقيم القديمة ، والحاجة إلى تبنى قيم جديدة تتناسب والتغيرات الحادثة، الأمر الذي يدفعنا إلى التفكير في الهوية الإقليمية للمجتمعات . وفي ظل هذه المتغيرات ترى .. هل ستلحق الثقافة الكونية المتوقعة موادا فولكلورية جديدة ، أم أنها ستعدل من طبيعة المواد القديمة ؟ .. هل ستظل لهذه المواد سواء القديمة أو المتوقعة الوظائف نفسها ، أم أنها ستختلف إضافة أو تعديلاً أو حذفاً ...

أن البحث عن وظيفة العناصر الفولكلورية شاق وعسير ، ويتطلب دراسة المجتمع بكل مكوناته أو على الأصح فإنه يقتضى من ناحية ضرورة التعرف على مدى تعبير هذه العناصر الفولكلورية على العلاقات والقيم السائدة في المجتمع ، ومن ناحية أخرى دراسة العناصر الفولكلورية الني تدخل في كل نسق من الأنساق الاجتماعية التي تؤلف البناء الاجتماعي ، عما يعنى فهم المجتمع ككل من زاوية فولكلورية بحتة ".

إن دور المائور السعبى في تحقيق التميز والتضرد القومى ، وبالتسالى تنمية الإحساس بالمذات والهوية أمر لا خلاف عليه فهو أى المائور أقرب إلى مستودع فيه نبحث عن الجذور والأصالة . والفولكلور بما يتمتع به من قدرة هائلة على البقاء متنقلا من جبل لآخر ومن عصر إلى

⁽١) أحمد على مرسى: الفولكلور وثقافة المستقبل، مرجع سابق، ص ١٢.

⁽٢) أحمد أبو زيد وآخرون : دراسات في الفولكلور ، مرجع سابق ، ص ١٧ .

عصر ، قادر على إشباع الحاجات النفسية والوجدانية للناس، يبدأ مع هؤلاء بنقل التجارب الحياتية ، وينتهى بالتسلية والترفية ، وبين البداية والنهاية مساحة كبيرة لفهم نسيج المجتمع ، والوقوف على ثقافته العامة التي لا يمكن أن تختزل في أنساق ثقافة الصفوة .

إنه يحدد لنا الإطار الفكرى للمجتمع البشرى إذ أن أبناء المجتمع يودعون فنونهم الشعبية بمختلف أناطها توصياتهم الفكرية وآراءهم عن الحياة والموت، والكون، ومظاهر الطبيعة، والدين والخرافات، والأساطير ورؤيتهم لمضاهيم الحق والباطل، وقيم الشرف والنبل، ومقاييسهم في الجهال، وتصورهم للعالم الخارجي وعلاقتهم بالبيئة . "

إن هذا المأثور يحمل من عناصر الثقافة والأصالة ما يجعله أمينا على القيم الإنسانية ، والمثل الأخلاقية ، والخيصائص القومية ليمثل في النهاية إرثا حضاريا لا يستهان به باعتباره محمصلة الثقافة الرفيعة والمشعبية والخبرات والمعارف والعادات والتقاليد المتراكمة عبر الزمن ...

والانتفاع بالعناصر الفولكلورية بها تحويه من كنوز المعرفة والحكمة أصر يجب الالتفات إليه ، فهذه العناصر فضلا عن كونها وثائق تاريخية تنضم بين جواتبها ما بعين على التصدى لبعض المشكلات التي تواجه الإنسان في المجتمع .

⁽١) قاسم عبده قاسم : الأدب الشعبى ، وسيلة للتعرف على الحياة الفكرية (القاهرة ، مجلة الفنون الشعبية ، العدد (٢٤) ، ١٩٩٨) ص ص ١٩ ٢٠،

 ⁽۲) عبد الحميد يونس: الفولكلور بين العلم والتكنولوجيا (القاهرة ، مجلمة الفنون
 الشعبية ، العدد (٦) ، ١٩٨٦) ص

إن الدنين يبحثون عن أزمة الشباب المعاصر أستطيع أن أوجه أنظارهم إلى واحد من أهم أسبابها هو حرمان أطفال الأجيال الحديثة من هذا الزاد الوجداني التربوي منذ أن انقطعت المرأة عن أطفالها، وانشغلت عن بيتها دون أن تقدم لهم البديل المناسب، ففقد الأطفال متعة الأدب الشعبي، وفقد الأدب الشعبي أرضا كان مسيطرا عليها، أما الدول المتقدمة فحين حدث هذا سارعت إلى إعداد البديل في شكل مطبوعات الأطفال التي تقدم الأدب الشعبي في صورة جديدة معاصرة مستفيدة من التقدم العلمي المذهل.

ويخطئ من يتصور أن الفنون الشعبية تستهدف التسلية والترويح عن النفوس المكدودة .. إن التسلية والترويح وظيفة ثانوية ، أما الوظيفة المحورية فقومية على الدوام ، تطلب المحافظة على تراث الفرد العزيز في أمته ، وتطلب المحافظة على تراث الفرد العزيز في أمته ، وتطلب المحافظة على المحافظة على الجماعة كلها في آن واحد . "

وإلى جانب هذا ينبغى أن توظف العناصر الفولكلورية في التصدى لمواجهة المؤامرات الاستعارية خاصة في ظل دوائر العولمة التي تتسم الآن حاملة معها خطر تهميش الثقافات الإقليمية، هذا من منطلق أن الفولكلور قادر على إشباع الاحتياجات الوجدانية والمادية للشعوب، هو المحدد لملامح الهوية الثقافية، هو القادر على أحداث نوع من الاتزان النفسى، والاجتهاعى،

 ⁽١) محمد ذهنى: بين الأدب الشعبى، وأدب الطفل (القاهرة ، مجلة الفنون الشعبية ،
 العدد (٢١) ، ١٩٨٧) ص ٢٧

 ⁽۲) فسوزى العربى : المسألورات السشميية ، يسين النظريسة والتطبيسة (المنسصورة ، المركسز
 الحضارى لعلوم الإنسان والتراث الشعبى ، دوريسة الثقافة المسمبية ، العسدد الأول ،
 (۱۹۹۸) ص ع ع المسان والتراث الشعبى ، دوريسة الثقافة المسمبية ، العسدد الأول ،

إنه تسرات يملسك الكشير مسن القسدرة عسلى زرع وترسسيخ الإيسان داخسل المجتمعات. الإيبان بالنفس والوطن.

إنه يمنح الوجود الإنساني عمقه التاريخي وقد استخدم كثير من الدارسين مواد المأثور الشعبي والحياة الشعبية في إعادة بناء الفترات الزمنية المغابرة التي لا يوجد عنها إلا شواهد ضنيلة متفرقة ، وهو ما يعرف باسم منهج إعادة البناء التاريخي، فالفولكلور يضطلع في هذه الحالة بدوره التقليدي كعلم تاريخي يكمل المعرفة التاريخية ، ويعمقها ، يوسعها ."

وقد يساهم القولكلور علاوة على ذلك في رسم ملامح الثقافات الحالية ، والأبنية الاجتباعية القائمة كما أنه يلعب دورا كبيرا في تحليل علاقات التفاعل والتأثير المتبادل بين الثقافات المختلفة . "وفي هـذا المجال تقدم الدراسات الفولكلورية خدمة مباشرة فيها يتعلىق بعمليات التغير الثقافي: عواملها ، وسرعتها ، واتجاهاتها ، ونتائجها.

وقد ظلت المأثورات الشعبية تحتفظ لنفسها بقيمة كبرى باعتبارها تراشا يغلفه الخيال ، ويتزامن مع موروث واقعى هو حوادث التاريخ المجردة ، ومن المعروف أن الإطار الفكرى العام لأى مجتمع بشرى يتكون من تراكم الخبرات التاريخية والتقنين والتوصيف الأخلاقي والفكرى الذي يضعه هذا المجتمع لنفسه نتيجة لما اكتسبه من خبرات. وإذا كان التاريخ يحمل لنا الواقع أو جزءا من هذا الواقع فإن المأثور الشعبي يحمل لنا الجانب غير المادى من هذا الواقع وهو جانب الانفعالات النفسية والرؤى العاطفية . "

⁽۱) محمد الجوهري : علم القولكلور ، الأسس النظرية والمنهجية (القاهرة ، دار المسارف ، الطبعة الرابعة ، ۱۹۸۱) ص

⁽٢) المرجع السابق نفسه ،ص

 ⁽٣) قاسم عبده قاسم : الأدب الشعبي وسيلة للتصرف عبل الحياة الفكرية للشعوب ،
 مرجع سابق ، ص ٢٠ .

ويعكس المأثور الشعبى ما يمكن تسميته تجاوزا التاريخ الوجدانى حيث التفاعل بين الأحداث التاريخية المجردة ، والمشاعر الإنسانية التى تعيش هذه الأحداث ، وخالبا ما يصب هذا التفاعل في قوالب فنية شعبية تمثل في النهاية رؤية شعبية للتاريخ .

ولأن المجتمع البشرى في حاجة دائمة إلى معرفة تاريخه لكى يظل على اتصاله بهاضيه رغبة في فهم الحاضر، واستشراق آفاق المستقبل، فإنه ينقل هذه المعرفة شفويا من جيل إلى جيل يليه وقد غلفها الكثير من الخيال والمشاعر والعاطفة . "

أن دراسة الثقافة الشعبية ، وحمايتها - جمعا وحفظ ا وتوثيق - مسن قبل وسائل الإعلام ينبغى أن تنطلق من كون هذه الثقافة ليست تراثا منسوبا إلى الماضى أو جزءا مته ، إنها باعتبارها المدخل العلمى والمنطقى لدراسة وقهم الثقافة الرسمية ذاتها ، وعندئذ تتكامل الرؤى العلمية للثقافة القومية .

إننا في حاجة إلى تفعيل دور عناصر المأثور الشعبى لما لها من دور فعال في توحيد الأمة والتأكيد على خصوصيتها الثقافية فكرا ووجدانا . والعبودة إلى عالم المأثور الشعبى لا تعنى في معناها عملية تكرار أو اجترار الماضى ، بل هى عملية ينبغى أن تعى تماما إمكانيات هذه العناصر وقدرتها على دفعنا خطوات على طريق المستقبل باستنفار العناصر المضيئة الفاعلة في الماضى ، وليقاف العناصر المحبطة والضعيفة ، فالمأثور الحي يتصل بالحاضر ويضيف إليه الكثير من الطاقات المبدعة بحيث يمكن توظيفها في إطار مستقبل الهوية الحضارية لحذه الأمة .

⁽١) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٠

إن الحديث عن المستقبل وثقافته يقتضى منا أن نقترب من دواتر الماثور السعبى - الذى يمثل جزءا هاما من ثقافة المسعوب - لا ننظر إليه بحسلر وريبة عما يجعلنا لا نثق في قدرته على الدفاع عن الهوية والخصوصية الثقافية ، ولا نقف موقفا متعصبا يتمثل في الدفاع المطلق عن الثقافسات التقليدية ، والسعى وراء أطر قديمة تستوعب الجديد من عناصر التراث .

إن تطور المأثور الشعبى أمر طبيعى من ناحية ، وضرورى من ناحية ثانية ومعبرا من ناحية ثالثة عن التطور الذى لا يمكن إيقافه أو تعطيله أو منعه ولعل الجدل الذى يدور حاليا حول دور المأثور الشعبى وأهميته في حماية الحوية الثقافية للشعوب ، بل على إمكانية استمرارية عناصر هذا المأثور يأتى من موقف الذين ينظرون إليه ، فالمسرفون في التقدم كادوا أن يتنكروا لمأثوراتهم ، والمحافظون الذين هم أقرب ما يكونون إلى مأثوراتهم يقدرونها بدرجة تقترب من التقديس .

والموقف العلمي في هذا الحلاف هو أن نحتكم للحياة نفسها هي التي تقوم باختيار عناصر هذا التراث تبقى منه ما يـصلح ، وتحور ما يـستحق التحوير ليبقى المأثور الشعبى في النهاية درعا واقياً لهوية الأمم .

ثانيا : الفولكلور واقع متجدد قادر على الإسهام في البناء الحضاري :

لاشك أن القوى الخلاقة للشعوب بكل ما لديها من مرونة في استيعاب تراث الآخرين قادرة على مواصلة خلق موروثات جديدة تمثل في النهاية نتاج لعمليات انصهار وتفاعل بين تراث الغير والتراث الخياص. وهذا يعنى أن الفولكلور ليس معطى جاهزا ، إنها هو واقع متجدد ينتخب من قبل الشعوب ليلبى احتياجاتها ، هو أبعد ما يكون عن الجمود والبدعة، حركته المستمرة تجعله قادرا على التكيف قادرا على التفاعل . ولا يمكن أن تكون مفردات هذا

المأثور مجرد مجموعة من العناصر المتباعدة ، أو الجزئيات المتفرقة ، وكيف وهي انعكاس صادق لتفاعل الإنسان مع بيئته عبر فترة زمنية طويلة .

إن عناصر الفولكلور متكاملة ومتصلة ، كا أنها متداخلة ومتفاعلة مع بعضها ، وهذا التكامل والتداخل لا يقتصر على جوانبها الشكلية فحسب بل يتجاوز ذلك إلى المضامين المعرفية أيضا، كما أنها في الوقت ذاته تعبيرا إنساني عن الاتصال والتواصل البشرى ، تنافها ، وتصارعا، ثباتنا وتغيرا، ومن هنا ينبغى أن ننتبه إلى ما يمكن أن يظل مستمرا منها ، وما يمكن أن يتبدل أو يتغير ".

والمادة الفولكلورية قد لا تحفيل كثيرا ببقائها حيث تلقى بنفسها في أحضان الشعوب بشكلها كل منهم طبقا لاحتياجاته، ويدخل عليها من التغيير والتعديل والتبديل، وبالإضافة والحدف ما يلائم ظروف بيئته، ومتطلبات حياته ومقتضيات عصره لهذا كلها امتد الزمن بالأدب الشعبى واتسعت رقعة متلقية، كلها وجدنا له أكثر من صورة، وأكثر من شكل.

وهذه الظاهرة لا تنضير الأدب الشعبى أو تسئ إليه ، وإنها العكس هو السمحيح إذ أنها تعطيه القدرة على البقاء ، وتجدد شبابه بحيث يستطيع مسايرة الزمن ، وخدمة الأجيال المتعاقبة . "

وهذا التراث يتعرض ضمن جوانب الحياة التقليدية لوطأة التبديلات والتعديلات الناتجة عن تبنى أساليب الحياة الحديثة ، والناشئة عن التوسع في الاستخدامات التكنولوجية الحديثة ، والمتأثرة أعظم التأثير بتغير البنية

 ⁽١) أحمد على مرسى: الفولكلور وثقافة المستقبل، قضية المصطلح، مرجع سابق، ص
 ١٢

⁽١) محمود ذهني: بين الأدب الشعبي وأدب الطفل ، مرجم سابق ، ص ٢٩

الاقتصادية والاجتهاعية والثقافية وفقا لضرورات التحضر والتحديث ". والمأثور الشعبى لا يناقض العلم، ولا يقف في وجه التقدم التكنولوجي ، فلم يعد الفولكلور من خلفات الماضي السحيق ، التي لا يمكن تحديد تاريخها على التحقيق أو الترجيح ، ولم تعد المأثورات من الجمود بحيث لا تقبل التطور أو التغير ، لم يعد الفولكلور مجرد رواسب متحجرة تخلفت من الماضي ان الفولكلور ليس شارة على الزمن القديم الموغل في القدم ، وليس زائرا وافدا من بيئة أخرى . إنه جزء لا يتجزأ من المجتمع الذي يعيش فيه ، يتفاعل معه ، ويفيد منه ، إنه متجرد أبدا مها قبل عن عراقة بعض حلقاته ، وفيه القدرة على تعديل شكله ومضمونة بتعديل وظيفته . "

لقد تبددت النظرة القديمة التي أوحت بها الرومانسية وهي أن الفولكلور يعين على القرار من الواقع بالوهم أو بالحلم .. لقد أصبح تأثير الأفكار العسصرية على نشأة مأثورات شعبية جديدة من أهم فروع الدراسة الفولكلورية اليوم .

وتكمن داخل الفولكلور خاصية التوقيق حيث بمكنه أن يدخل في علاقة تفاعل مع الفنون الأخرى ، ولكن ليس معنى هذا التفاعل أن ينتخلى الفولكلور عن هويته وحقه في الوجود المستقل.

وبهذه الكيفية لا يمكن أن تكون المأثورات الشعبية وحدات مغلقة على ذاتها ، أنها فيض من الرموز والقيم والعلاقات التي ترصد حياة الناس

 ⁽١) رشدي صالح: الفولكلور والتنمية (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم الفكر، المجلد السادس، العدد الرابع، ١٩٧٦) ص ١٣.

 ⁽۲) عبد الحميد يونس: دفاع عن الفولكلور (القاهرة ، الهيئة العامة للكتباب ، ١٩٧٣)
 ص ١٨ .

وتتعرض هذه الرموز وتلك العلاقات عبر تناقلها لعمليات تأويل وتبديل بالحذف والإضافة بعضها يستقر في وجدان الشعوب كمأثور، وبعضها يتوارى ربها إلى زوال في حبن تتشكل مأثورات جديدة، بعد أن تتوفر لها مقومات وخصائص، وبعد أن تكتسب عنصر الزمن في صالحها، وهذا أسر يحدث بالتدرج بين مد وجذر.

إن الحياة نفسها هي التي تقوم باختيار وتقييم عناصر المأثور الشعبي ، تبقى من هذه العناصر ما يصلح وتحور ما تراه ملائها للتحوير ، وتخلق باستمرار عناصر جديدة . وما دامت عناصر المأثور الشعبي متجددة ، قادرة على المضي خطوات على طريق النطور حاملة الكثير من أشكال وملامح التحديث ، مادامت كذلك قإن الإعلام بوسائله المختلفة عليه أن يقف طويلا أمام هذه العناصر ، عليه أن ينتقى منها ما يصلح لتقديمه وإبرازه ، وهو مطالب في عملية التقديم هذه أن يحافظ على المثل والقيم التي تمثل روح هذه المأثورات عليه أن يتطرق لدلالات هذه المأثورات في سياقها التاريخي .

ويعتقد الباحث أن هذا قلما بجدت في تناول الإعلام للمادة التراثية ، فكل ما يسمى إليه الإعلام في هذا الاتجاه هو طرافة وغرابة المضامين والأشكال التي تميز الثقافة الشعبية .

ثالثا : المأثور الشعبي مصدر استلهام للفنون المعاصرة :

الماثور السعبى بكل ما يعنيه من قيم وتقاليد وتجارب، من إسداعات وفنون هنو جيزء هنام من حيناة السعوب، وقند تعالمت الأصوات منادية بمزيد من الحماية لعناصر هذا المأثور، إحيناء ما منات منه، وتسجيل ما يخشى عليه من المضياع حتى يظل تاريخاً حياً يمكن الاعتباد عليه عند المضى خطوات على طريق المستقبل.

وقى هذا السعدد لابد أن نعترف بأن مفردات المأثور الشعبى لا يمكن أن تكون كلها خيرا لأن ذلك يتنافى وطبيعة الأشياء ، فالزمن قد فرض على هذه المفردات معان لم تعد صالحة للشداول فى عصر فا الحال وفي هذه الحالية يصبح التمسك بها نوعا من التعصب غير المجدى الذى قد يقود إلى الجمود والتخلف ، ومع ذلك لا يمكن أن ينكر أحد أن من بين تجارب السابقين ما يصلح للوقوف أمامه ، والأخذ منه يساعد على ذلك أن الوجدان الجمعى لا يحتفظ بأثر ما من موروشه الشعبى إلا بها يشبع حاجاته الروحية والنفسية والاجتماعية والجمالية ، ولا يخترن منه إلا مسا ظل وفيا لهذه القيم والحاجات، واستجابة للدوافع والحوافز والوظائف التى أبدعته أول مرة فى مناخ نفسى عاثل."

والإبداع الشعبى بطبيعته ، ليس إبداعا تلقائيا ، بل هو إبداع له قواصده وأساليبه التى تحدد طرازه المتميز بين أشكال الإبداع الفنى، وإبداع كل مجتمع يتشكل تبعا لتلك القواعد الفنية والرؤية الجهالية ، وتكمن التلقائية في التناقل، حيث تتناقل تلك الخبرة الفنية في إدراك الجهال والتعبير عنه ، تناقلا تلقائيا بين الأجيال . "

(١) محمد رجب التجار: الثقافة القومية المشتركة في الستراث السميى العربي (المنسصورة ،
المركز الحضاري لعلوم الإنسان والتراث الشعبي ، دورية " الثقافة السميية ، العدد

الثاني ۲۰۰۰) ص ۸

 ⁽۲) صفوت كمال: المأثورات الشعبية (الفولكلور) والإبساع الفنى الجمالي (الكويست،
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم الفكر، المجلسد (۲۶)، العددان
الأول والثاني، وديسمبر ١٩٩٥) ص ص ٣٤٨، ٢٤٧.

وعملية الإبداع الشعبي في حد ذائها كإبداع ، لابد أن تخفي لقواعد الإبداع الفني ، من حيث مراعاة القيم الجهالية (كفن) في هذا الإبداع فليس كل عمل شعبي فنا .

إن الإبداع الشعبى المجهول المؤلف هو في واقعه التساريخي والإبداعي إبداع فرد تناقله أبناء المجتمع ، ويمكن أن يكونوا قد أدخلوا عليه بعض التعديلات أو التبديلات أو التغييرات مما يتوافق مع هواهم ، وذوقهم ، حتى وإن كان الفنان الأصلى الذي ابتدعه قد أراده على نمط معين يتوافق مع ذوق وفكر الجهاعة التي أبدع هذا الفن من أجلهم، معبراً به - على اختلاف وتنوع وسائل أشكال التعبير الفني - عن احتياجاتهم الفنية أكثر من كونه تعبيرا عن ذاتبته ورؤيته الجهالية للحياة .

المأثور الشعبى والمعاصرة ..

لاشك أن توظيف عناصر من الفن الشعبى، سواء أكان هذا التوظيف اقتباس من مضمون العمل الشعبى، أو استخداما لبعض أشكاله في عمليات إبداع فنى جديد، سوف يحقق التواصل الثقافي بين ما كان وما هو كائن، من أجل كشف جديد ورؤية حديثة واستشراف واع للمستقبل، دون تقوقع في التراث، أو تحيز إقليمى ضبق، أو دون الخروج من عالم الرومانسية الحالمة إلى واقع الرؤية الموضوعية النقدية الأشكال ومواضيع الإبداع الشعبى.

إن من الأهمية بمكان أن ينتبه المجتمع إلى عملية التكامل بين ما هو ذاتسى وفردى في الإبداع الفنى، وما هو شعبى وجماعى وهي عملية هامة في إضفاء الأصالة على كل ما هو حديث ، وإضفاء البهاء الفنى على كل ما هو تقليدى وشعبى فعمليات الإبداع الفنى والجهالي في المجتمع ، لابد وأن تتكامل معا

باعتبار أنها فردية ، أو جماعية تعبير عن الواقع الاجتماعي الواحد الذي يعايشه الفرد أو تحياه الجماعة . "

يتضمن بين جوانبه قيها جمالية سوف يغلف بالأصالة كل ما هو حديث ، وسيعمل على المزيد من عمليات التكامل في الإبداع الفني ، الفردي والجهاعي.

والإبداع سواء أكان فرديا متميزا أم جماعيا شعبيا وموروثا ثقافيا حيا، هو شكل من أشكال السلوك الاجتهاعي لبناء المجتمع، يخضع في محارسته لمجموعة من القيم الإنسانية المتوحدة في فكر الإنسان وتكوينه الثقاف مع مراعاة أن " الخبرة الجهالية تختلف عن سائر خبراتنا في الحياة ، حتى وإن لم نتفق على طبيعة هذا الاختلاف .

إن الإبداع المعاصر الذي يضع أمامه نهاذج المأثور الشعبي بها فيها من قيم فنية رائعة سواء بالمحاكاة أو الاستلهام، أو توظيف بعض عناصرها هي عملية حيوية ومطلوبة، وينبغي أن يلعب الإعلام دورا في تفعيلها، واضعا في اعتباره ما يصاحب هذه العملية من سلبيات قد تسئ إلى مكانة المأثور وقيمته.

إن عملية استخدام أو استلهام عناصر من مأثورات الشعوب في أعهال فنية معاصرة لا يمكن أن تندرج تحت لفظ شائع خطأ في حياتنا الفنية ، وهو "تطوير" فالفنون الشعبية تتطور بتطور المجتمع ، وتنحدر بانحدار هذا المجتمع ، لأنها تعبير مباشر صادق أمين عن واقع المجتمع بكل ما فيه من قدرات إبداعية ".

إن العمل الفنى المعاصر الذي يسعى وراء مادة فولكلورية - مستلها منها - ينبغي أن ينظر إلى هذه المادة باعتبارها من مظاهر الإبداع الفكري فرديا

⁽١) المرجع السابق نفسه ، ص ٧٤٥ .

⁽٢) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٤٦

أو جماعيا تستحق أن تنعم بحماية مستوحاة من الحماية الممنوحة لنتاج الفكر فى الثقافة الراقية وفى ظل الحماية سوف تستمر عناصر هذا المأثور ، وربها تنطلق إلى آفاق أوسع حاملة قيها إنسانية من المكن أن تساهم فى التصدى لمشكلات وقضايا الواقع .

أما فيها يتعلق بحق الفنون الإعلامية المعاصرة في أن تتدخل بالتعديل والتبديل في صياغة ما اقتبسته من المادة الفولكلورية فهذا أمر مطلوب فتلك المادة في حاجة مستمرة إلى صياغات جديدة ، نوع من التعديل يعطى لعناصر ومفردات المأثور الشعبي القدرة على مواصلة الحياة بشرط أن يمتلك الإعلام الخبرة الفئية التي تؤهله لذلك وأن يكون مدركا تماما لطبيعة وتاريخ المادة التي يستخدمها .

إن الإعلام والتعريف بمظاهر المأثور الشعبى، وقيم النفع المتعددة التى تتضمنها عناصر هذا المأثور يحتاج إلى عمل مدروس، وجهد شاق لفريق عمل متكامل من الإعلاميين المتخصصين في الحقل والميدان الفولكلورى.

وإذا كان المأثور الشعبى قد تسلل إلى قنوات الاتصال الجهاهيرية — المرثى منها على وجه الخصوص — عبر تاريخ هذه القنوات واستطاع أن يجد لنفسه مكانا في هذه الوسائل إما بصورته الأصلية أو من خلال فكر معدى المادة الإعلامية فإنه ينبغى أن تشير إلى أن هذه القنوات قد وجدت في المأثور الشعبى منهلا ثريا للكثير من أعهالها ، وهذا مما لا شك فيه سوف يدفع هذه الأعسال خطوات على طريق الأصالة القومية .

والتفاعل بين المأثور الشعبى والإعلام مجال محفوف بالمحاذير، الأمر الذى يتطلب مقدرة خاصة من قبل الإعلاميين على فهم دلالات المأثور المشعبى وأبعاده الاجتماعية وسياقه التاريخي، هذا إلى جانب القدرة على التمييسز بين

الإبداع الشعبى الحقيقى ، والمادة الزائفة المدسوسة على المأثور وهذه دون شك مهمة عسيرة تواجه أغلب القاتمين على برامج ومواد الثقافة الشعبية في وسائل الاتصال. ومن هنا فإن التأهيل العلمى ، وامتلاك الأدوات بالنسبة لهؤلاء أمر حتمى .

ويؤكد الباحث على ضرورة أن يكون من بين العاملين في وسائل الإعلام متخصصون في الفولكلور حتى يستم تقديمه في إطار دلالاته الاجتماعية وسياقه التاريخي .

ويتفاعل المأثور الشعبى كذلك مع فنون الأدب الحديثة كالشعر والرواية وغير ذلك من أنهاط الإبداع الأدبى المعاصر ويستكل دورا فاعلا في صياغة تلك الفنون باتجاه العديد من الفنانين تحو استلهام المأثور الشعبى من حكايات وأساطير وأغانى وعادات وتقاليد، ومظاهر الحياة الشعبية المختلفة.

ويستوحى عدد من مؤلفى الفنون التعبيرية - من رقصات ومسرحيات وفنون موسيقية - العديد من إبداعاتهم الفنية من مصادر شعبية سواء فى الأفكار أو أساليب العرض والأداء. ويجد الفنانون التشكيليون فى منابع التراث منهلا ثربا للكثير من أعالهم الإبداعية عما يضفى على تلك الأعمال طابعا بيئيا وأصالة قومية تكسبها شهرة علية وعالمية ."

وفى هذا الانجاه ينبغى أن يلعب الإعلام بوسسائله المختلفة دورا متزايدا حيث يدعو مبدعيه لمزيد من التفاعل مع عناصر الثقافة الشعبية بإقامة المهرجانات ورصد الجوائز لأفضل الأعمال التي اقتربت من هذه الثقافة ويعتقد الباحث أن دور الإعلام هذا سوف يتجاوز الثمار القريبة المتمثلة في

 ⁽١) حصة زيد الرفاعى : الفولكلور والقنون المعاصرة ، الفولكلور في الوسائط الجهاهيرية
 مظاهر التأثيرات والتأثر بين فن الإعلام والثقافة الشعبية ، مرجع سابق ، ص١٦٧

إضافة المزيد من إبهار الشكل وغرابة المضمون إلى واقع المواد الإعلامية إلى ما هو أعمق من ذلك حيث التعبير عن هوية المجتمع .

وإذا كانت وسائل الترفيه التقليدية (الشعبية) قد تراجعت لدرجة يمكن القول معها إنها الآن تقترب من نهاية طريق اللاعودة . أين رواة الحكايات ؟ أين الفرق الجوالة والمغنيون الشعبيون ؟ أين الأمثال الشعبية في حياة الناس ؟ أين هذا الإبداع التلقائي ؟ إنه يتوارى . وهنا بأتى دور الإعلام ، وتحديدا التليفزيون .

لم يعد الأمر يقبل أن تقتصر عناصر المأثور الشعبى في وسائل الإعلام على مجرد كونها خلفية للأحداث والموضوعات أو بمثابة اسقاطات على الفكر السائد أو محاولة التظاهر بمد الجسور إلى الماضي .

وأخيرا ينبغى التأكيد على عدة حقائق هامة فيها يتعلق بـدور وسسائل الاتصال في الدعوة إلى العودة للمأثورات الشعبية والاستلهام منها، وفي مقدمة هذه الحقائق. **

أولا: إن عناصر المأثور الشعبى فيها من المرونة والحيوية ما يجعلها مصدرا حيا ومتجددا للاستلهام الفنى بالقدر الذي يقبل التطور والنمو مع تطور الحضارة الإنسانية ، ونموها منذ فجر التاريخ وحتى اليوم .

ثانيا: إن هذا المأثور يستوعب عناصر متنوعة تتحقق بوسسائل مختلفة ، فيها المادى وفيها المعنوى ، فيها ما يستهدف المنفعة، وما يستهدف الجهال، بل وفيها ما يستهدف الجهال والمنفعة معا ، نما يؤكد حيويته وتفاعله وتجدده .

 ⁽۱) عمود همام : الدور الريادى لوسائل الاتبصال في السلاعوة لاسبتلهام عشاصر الستراث الشعبي في الديكور المعاصر في مصر (المنصورة ، المركز الحسضارى لعلبوم الإنسسان والتراث الشعبي ، دورية " الثقافة السلمبية ، العسلد الأول ۱۹۹۸) ص ص ٢٠٤ ،
 ٤٠٣

ثالثا: إن هذا المأثور يحمل من عناصر الثقافة والأصالة ما يجعله أميناً على القيم الإنسانية والمثل الأخلاقية والخصائص القومية، ليمثل في النهاية إرثا حضاريا لا يستهان به باعتباره محصله الثقافية الرفيعية والشعبية والخبرات والمعارف والعادات والتقاليد المتراكمة عبر العصور.

رابعا: إن المأثور لا يعنى أبدا أنه تراث البسطاء وحدهم ، كما لا يعنى وهم الأمين أو ثقافة الريفيين ، بل هو تراث الشعب بأثره لا يحول دون التقدم العلمي والتكنولوجي ، بل يعين عليهما ، ويحتفظ في نفس الوقت بأصالة الشعب وملاعمه الدينية المقدسة وقسماته الدنيوية الراسخة .

خامسا: إن "العصرية" لا تعنى الانسلاخ عن تراثنا الحضارى المجيد، وإن التطور الحقيقي لا يقوم إلا على واحدة من أعظم الركائز الإنسانية وهي "الأصالة" ويعنى بها الاعتراف الحقيقي بالتراث الشعبي، والعمل على الملاءمة بينه وبين التقدم العلمي والتقنى (١).

سادسا: إن العمل على جمع النراث الشعبى وحفظه وتوثيقه ونشره عن طريق كافة وسائل الاتصال البصرية والسمعية المتاحة لهو واجسب إنسانى أصيل وموقف حضارى نبيل ومهمة وطنية ملحة فى ضوء المتغيرات التى تحيط بالثقافة التقليدية. ذلك لأن استلهام وتوظيف هذا التراث الشعبى، المتمثل فى شتى ألوان الفنون الشعبية والحرف اليدوية التقليدية سيكون لمه أبعاد حضارية وتربوية واقتصادية فى غاية الأهمية فبقدر ما فى ذلك من إثراء للبيئة الثقافية، فإن فى هذا الاستلهام الفنى وتوظيفه فى جانب حيوى هام من حياتنا المعاصرة فيه مضاعفة من قدرتنا على الإبداع الأصيل المتصل بفنون

 ⁽١) عبد الحميد يونس: القولكلور بين العلم والتكنولوجيا ، مجلة الفنون الشعبية ، مرجع سابق ، ص ٤ .

الزمسان (الأدب والسمعر والموسيقي والغناء ومنا إليه) وقنون المكنان (كالتشكيل واللون والإضاءة وما إليها).

وهكذا، فإن النتيجة الحتمية لهذه الدعوة إلى استلهام عناصر التراث الشعبي، والحث على توظيفها عمليا وجماليا هي تحقيق الأصالة الفنية، وتأكيد مشاعر الانتهاء الحضاري والثقافي، والابتعاد عن أثر التيارات الأجنبية الوافدة والدخيلة، والخروج من دائرة النقل والاقتباس والتعريب إلى آفاق الاعتهاد على النفس في الإبداع والوقوف على ما احتفظت به حسضارتنا الإنسانية الرفيعة وثقافتنا الشعبية العريقة من خبرة وحذق ومهارة، وتدل عليها هذه الشواهد الحية المتنوعة من الإبداعات التي صافها الفنان الشعبي، بكل ما تحمله من قيم جمالية متوارثة عبر الأجيال، وبكل ما تنفرد به هذه الفنون الشعبية والحرف التقليدية من خصائص عيزة ومتميزة تؤكد هويتنا المحلية، التي تستحق مكانها ومكانتها العالمية اللائقة بها تحت الشمس.

رابعا : المأثور الشعبي والتنميت..

نبعت فكرة الاهتهام بالثقافة الشعبية في ظل متغيرات تكنولوجية لم يسبق لها مثيل يشهدها عالم اليوم ، ولعل أحد أهم العوامل التي تضاعف من الحاجة إلى دراسة المأثور الشعبي ، وتصعيد أهميته في وسائل الإعلام ما يمكن أن تضيفه عناصر هذه المأثورات إلى واقع التنمية.

إن الماثور السعبي هو أكثر العناصر الإنسانية تعبيرا عن روح الجهاعة ومن هذا المنطلق بمكن توظيف - بل وينبغي توظيف - هذه العناصر لخدمة قضايا التنمية عندما توضع في شكل معلومات أمام صانعي ومتخذي قرارات التنمية.

وإذا كان هدف التنمية الحقيقي هو إحداث تغيير جذري في الواقع الاجتماعي ومنظومة القيم التقليدية عن طريق إدخال المزيد من مفردات التكنولوجيا الحديثة، والأنهاط السلوكية المصاحبة لها فإن هذا قد يعنى احتمالات للمواجهة بين الدول المستهدفة بخطط التنمية ، وما يخطط لها من تغييب لخصوصيتها التاريخية وهويتها الحضارية وهذا يعنى المزيد من الحذر عند التعامل مع وجه التنمية التكنولوجي.

ويعرف محمد الجوهرى التنمية بأنها عملية تغير ثقافي دينامية (أى متصلة وواعية) موجهة ، تتم في إطار اجتهاعي معين بصرف النظر عن حجم هذا المجتمع، وترتبط عملية التنمية بازدياد أعداد المشاركين من أبناء الجهاعة في دفع هذا التغير وتوجيهه، وكذلك الانتفاع بنتائجه وثمراته ".

والتنمية في رأى الجوهرى تشمل المجالات الإنسانية كافة ، ولا يتوقف دور الجهاعة المستهدفة بالتنمية على تنفيذ الأوامر ، والانتضباط تحت مظلة القوانين ، ولكن لابد هنا من مشاركة فاعلة ومؤثرة لتلك الجهاعة فيها يتعلق باتخاذ القرارات الخاصة بأهداف التنمية . وتصل نتائج هذا التعريف إلى أن التنمية لا تتوقف على النمو الاقتصادي وإنها تشتمل على التغيير الثقافي ، والتغيرات المحددة في البناء الاجتهاعي وهذا يتطلب جهود الكل لصالح الكل ".

ويذهب محمد الجوهري إلى أبعد من ذلك حينها يعد مجموع ظواهر التغير الثقافي الدينامي الواعي والموجه لب عملية التنمية ، وحتى تنجح هذه العملية

 ⁽۱) محمد الجوهرى: علم الاجتهاع وقضايا التنمية في العالم الثالث (القاهرة، دار المسارف ، طبعة أولى ، ۱۹۸۵) ص١٤٤.

⁽٢) المرجع السابق نفسه ، ص ١٤٥.

لابد من تنشيط وتعبئة هذه العشاصر وتخفيف وطبأة الأسباليب التقليديسة . وإعادة صياغتها أو حذف بعضها عند الضرورة °°.

وعملية التنمية هذه لا يمكن أن تتم بشكل تجزيشي، ذلك أن التغير التكنولوجي لا يمكن أن تكون له فعالية تذكر إلا في إطار الثقافي الكلية ونظمها الاجتماعية مجتمعة.

وقد استطاع بعض الأنثروبولوجيين بالفعل التوصل إلى وضع بعض الناذج التنموية كتلك التي قدمها "ليدز Leeds" و "أدامز Adams"، وفيها وضعا كما هائلا من المعلومات المفيدة تحت تصرف مخططى مشروعات التنمية ، وكذلك أشارا إلى المناهج الملائمة لبرامج تنمية المجتمعات المحلية شوالثابت أن الصلة وثيقة ببن المأثور الشعبي والتنمية من حيث المفهوم والمضمون والأهداف والبرامج . وبعيدا عن مساحة الالتقاء بين المفهومين المأثور والتنمية، فإن التنمية التي تدور حول الإنسان - الهدف والوسيلة - تدور حول ملوكيات الأفراد وأناط تفكيرهم ، وأعتقد أن هذه السلوكيات وتلك الأنباط هي قوام الثقافة الشعبية .

أما تنفيذ البرامج التنموية فهو ليس مرهوناً بالمعلومات الإدارية والتكنولوجية وحدها بل لابد من مشاركة الواقع الاجتباعي والثقافي من خلال الاطلاع ومعرفة واستثار العادات والمعتقدات والتقاليد والأدوات التقليدية وأنهاط وأساليب العلاقات الاجتباعية ، أي أنه لا مناص من الوقوف على المخزون التراثي واستغلاله لفتح الطريق أمام تنفيذ برامج التنمية ، وأي

⁽¹⁾ المرجع السابق نفسه ، ص ١٤٦.

⁽٢) محمد الجوهري : علم الفولكلور ، الأسس النظرية والمنهجية ، مرجع سابق ، ص.

إغفال لهذا الجانب يعنى مزيدا من هدر الطاقات البشرية ، وبعثرة الموارد المالية على برامج تنموية ينقصها التخطيط الشامل ".

إن سياسات التنمية ينبغى أن تنطلق من قواعد ثقافية حاملة بعض التغيرات الثقافية المدروسة بعناية متجهة نحو تحقيق أهداف معينة وفق مراحل وخطوات محددة.

وفي هذا المجال لو افتراضنا أن جهة حكومية أو خيرية أقامت مستشفى عاما في إطار التخطيط التنموى في منطقة ما وكان من مهام هذا المرفق تقديم الحدمة الطبية المجانية للوسط الاجتهاعي الذي حل فيه فإنه سوف بصطدم بالسقف المعرفي والقيمي لهذا الوسط إذا كان الطب الشعبي ما يسزال يستكل المرجعية الرئيسية له في المجال الطبي وسيكون مصير هذا المستشفى الإخفاق ما لم تجرى دراسات وافية لهذا الشان تضع في الاعتبار تأثيرات المأثور الشعبي على هذا الجانب الحيوى من الحياة ، وقس على ذلك ما يتوقع حصوله للمجالات الأخرى ، وبخاصة في الزراعة والتعليم والمرأة والطفل والمهنة ".

وعلى الجانب الأخر لابد أن نشير إلى أن تجارب بعض المجتمعات تؤكد على أن التنمية كان لها وجهة نظر في غير صالح المأثورات ، بل وصل الأمر في بعض الأحيان إلى أن تضع التنمية نهاية لمجموعة كبيرة من عناصر الثقافة الشعبية .. فالتنمية المصاحبة لاكتشافات النفط في منطقة الخليج مثلا أحدثت تغييرات كبيرة في المجتمع وانعكس هذا بالطبع على العادات والتقاليد والمعتقدات الخاصة بتلك المجتمعات . أبن الغواصون ؟ ولماذا تراجعت

⁽¹⁾ التراث الشعبي ، جامعة الإمارات العربية ، مرجع سابق ، ص 184 .

 ⁽۲) نايف النوايسة: تأثير التراث الشعبى على التنمية (المنصورة ، المركز الحضارى لعلوم الإنسان والتراث الشعبى ، دورية " الثقافة الشعبية " العدد الشانى ۲۰۰۰) ص
 ۲۵۱.

قوارب الصيد؟ .. لقد انجه هؤلاء أو بمعنى أدق معظم هؤلاء إلى شركات البحث والتنقيب وتكريس النفط، ومع هذا الانجاء انحسرت الأغانى والأهازيج والرقصات الشعبية التي كائت ترافق الإنسان في رحلاته مع البحر. وينطبق هذا على كل مجالات الحياة التقليدية.

وعند الحديث عن العلاقة بين التنمية والمأثور المشعبى، وما يمكن أن تضيفه عناصر هذا المأثور إلى واقع التنمية لابد أن يؤكد على أنها علاقة شائكة، فها أكثر ما تضيفه عناصر الثقافة الشعبية إلى التنمية ، ولكنها - أقصد عناصر الثقافة الشعبية - قد تفرض عقبات كثيرة أمام المزيد من الانطلاق على طريق التنمية أى أن للمأثور الشعبى أثار إيجابية وأخرى سلبية على الواقع التنموى. ولعل أبرز هذه الآثار السلبية :

- التقليل من شأن المرأة وإقصاؤها عن مجالات الحياة العامة .
 - التواكل والاستسلام والرضا بالواقع دون الطموح .
 - عدم الالتفات لقيمة الوقت ومحاولة استغلاله .
- الإيقاع البطىء الذى لا يناسب حركة الحياة في الألفية الثالثة. ولعسل أبرز الآثار الإيجابية في هذا الصدد تكمن في :
- ما يتضمنه المأثور الشعبي من فكر عن التدبير والتخطيط والتوفير والتعاون.
 - المحافظة على المنجزات العامة .
 - التركيز على مسائل التربية خلال التنشئة الاجتهاعية وتربية الطفل.

إن الموقف يقتضى منا جميعا التركيز على الجوانب الإيجابية لعناصر ومفردات الثقافة الشعبية، ووضع سياسات اجتهاعية ودراسات علمية تقف على جوهر المعوقات الثقافية التى تلامس أهداف التنمية، وأن يكون هناك

تخطيط مدروس بين الباحثين في المجالات الاجتهاعية والثقافية والاقتىصادية تكون ثمرته دفع عملية التنمية دون الوقوع في بعض مزالق التراث ".

وهنا لابد من ضبط الانتجاه بعلامات واضحمً على النحو التالي (٢):

- تطوير وتنمية الصناعات التقليدية الشعبية دون أن يلحق بأصالتها تشويه.
 - تطوير الفنون الشعبية دون إفسادها بالتدخلات الفنية والإدارية .
 - إجراء مواءمة بين وسائل الإعلام التنموي ومصادر الثقافة الشعبية.
- إجراء مسموحات ميدانية للمأثور الشعبى عبلى مستوى البوطن العربى لتحديد النهاذج والمواد التراثية التي من شأنها المساعدة في دفع عجلة التنمية كالمسرح الشعبي والأغاني الشعبية والصناعات التقليدية .
- إقامة مراكز علمية تعنى بموضوع التراث ، وتكون على صلة بمؤسسات التخطيط للتنمية لتأتى الثمرة نابعة من جهد مشترك .

⁽¹⁾ المرجع السابق نفسه ، ص ٣٦٠.

⁽٢) المرجع السابق نفسه ، ص ص ٣٦٠ ، ٣٦١.

الفَطِيْكُ الثَّانِيَ

استراتيجيات هذا التصعيد

الفصل الثانى استراتيجيات هذا التصعيد

إن الاهتمام المتزايد بالثقافة الشعبية ربما صاحب المتغيرات التكنولوجية الهائلة التي يشهدها عالم اليوم وتؤثر بشكل ملحوظ على ملامح الخصوصية ، وربها تهدد بها هو أكبر من التأثير حيث يتوقع بعض المفكرين أن تختفى هذه الخصوصيات على المدى البعيد لتجد الشعوب نفسها أمام نهاذج ثقافية موحدة تصدرها دول تمتلك أحدث نظم الاتصالات والمعلومات.

وبعيدا عن إمكانية أن يحدث هذا أم لا ، فإن هناك أسباب منطقية جعلت أولى الأمر من المهتمين بقضايا الأصالة والحفاظ على الهوية العربية يتتبهون إلى ضرورة ، بل وحتمية الاهتمام بالثقافة الشعبية ، وإلى الدور الذي يمكن أن يلعبه الإعلام في هذا المجال .

إن الساحة الدولية تشهد في الوقت الراهن مجموعة من المتغيرات التى اللقت بظلافا على الثقافات الإقليمية ، ومن المتوقع أن يكون لشل هذه المتغيرات آثار سلبية على واقع ومستقبل تلك الثقافات ، وتبقى المهمة ثقيلة .. كيف يمكن دعم الثقافات الإقليمية في مواجهة موجات العولمة المتلاحقة ؟ إن الإجابة تكمن في تطوير الخطاب الثقافي ، وتصعيد أهمية الثقافية الشعبية في الإجابة تكمن في تطوير الخطاب الثقافي ، وتصعيد أهمية الثقافية الشعبية في مراعاة المحدم بوسائله المختلفية ، والتأكيد على دور هذه الوسائل في مراعاة الخصوصية الثقافية والقومية ، والعمل من خلافا ، والتصدى لكل حملات تغريب الثقافات الوطنية ، وهذا يقودنا إلى الحديث عن استراتيجية إعلامية تعمل على أو بمعنى أدق تنظلق من تصعيد أهمية الثقافية الشعبية باعتبارها

جوهر الثقافة القومية وروح المجتمع ، وتقوم هذه الاستراتيجية عبلى ثلاثـة محاور رئيسية هي :

أولا: التطوير في مضمون الخطاب الثقافي الذي يحمل بين طياته عناصر ومفردات المأثور الشعبي ، خاصة عندما يكون موجها للغرب .

ثانيا: التطوير في شكل هذا الخطاب من حيث (الوسائل والأساليب) .

ثالثاً : تأهيل وإعداد من يقوم بالخطاب الثقافي ، خاصة هـؤلاء الـذين يسعون إلى عناصر المأثور الشعبي كهادة لبرامجهم .

أولا: التطوير في مضمون الخطاب الثقافي الذي يحمل بين طيات. عناصر ومفردات الثقافة الشعبية..

يتطلب تطوير الخطاب الثقافي الذي يهدف إلى دعم الهوية عن طريق إحياء نهاذج المأثور الشعبى الناجحة ، والوقوف على ما فيها من قيم وسلوكيات التجديد في فكر التعامل مع الإبداع الشعبى باعتباره تعبير عن فكر ووجدان المجتمع كها أنه في الوقت نفسه تقييم لجوانب من حياة المجتمع الذي صنعها بذاته ، ومعرفة أيضا بقيمة الإنسان ، وإدراك لإحساسه وشعوره ، وتفسير لدلالات هذا الإبداع المرتبط أساسا بعملية الوجود الثقافي للإنسان في المجتمع ما بين الوجود الثقافي العالمي للإنسان ككل . "

وعلى هذا الأساس فإن الدور الذي يمكن أن يلعبه الإعلام في التعريف بالمأثور الشعبى ، وتصعيد أهميته ، يمكن النظر إلى هذا الدور على اعتباره نافذة من خلالها نطل على عالم هذا المأثور ، على ماض ينبغي أن يكون قاعدة

 ⁽١) صفوت كيال: استلهام عناصر من القولكلور في الإبداع القنى الحمديث (القاهرة ،
 مجلة الفتون الشعبية ، العدد (١٨) ، ١٩٨٧) ص ١٦

انطلاق نحو مستقبل أفضل وهنا يظهر الأثير الكبير في السدعوة للتمسك بالأصالة الفنية ، والسيات الحضارية المتمثلة في مأثورات الشعوب.

إن تطوير الخطاب الثقافي يكمن في الكشف من جديد عن القيم الإنسائية العليا في الإبداع الشعبي ، والتأكيد على أن ذلك يضفى حداثة على القديم كها أنه يعطى أصالة للإبداع الفنى الحديث ، على أن يتم ذلك في تواصل ثقافي بين ما كان ، وما هو قادم في مستقبل الأبام ".

وكذلك في توعيه المتلقى بأهمية الفولكلور باعتباره عنصرا من عناصر الذاتية، والمساعدة على استحثاث الوعى بقيمة الفولكلور، وضرورة صونه ولا شك أن نشر الإعلام للعناصر المكونة لهذا التراث الثقافي بشكل معاصر، وعلى نطاق واسع يعد من الأمور الجوهرية التي ينبغي أن يعيها القائمون على الإعلام ومنظروه . ولكن من المهم عند الاضطلاع بهذه المهمة تلافي كل تشويه ضهانا لسلامة التقاليد الموروثة .

والنتيجة المباشرة لدور وسائل الإعلام فى تصعيد أهمية وقيمة المأثور الشعبى تكمن فى إيجاد منظومة متكاملة للأخذ بكل أسباب النهضة والتطور والنمو مع الوضع فى الاعتبار القيم المتوارثة، هذا بالإضافة إلى نشر التذوق الفنى ورفع مستوى الحس الجهالى بعد نشر التعريف العلمى والتربوى المدروس بمواطن الجهال الكائن فى إبداعات الفنان الشعبى .

إن تطوير الخطاب الثقافي ، وتصعيد الإعلام لأهمية الثقافة الشعبية يـأتى عن طريق :

⁽١) المرجع السابق نفسه ، ص ١٧ .

- ۱ إعادة النظر بالدراسة والفهم للمفاهيم والقدرات الكامنة والعناصر الخبيئة في المأثور السعبي ، مع اعتهاد العناصر التراثية محورا للهوية الثقافية، فالمأثور الشعبي هو المحدد لملامح هوية الشعوب الثقافية ، وهو القادر على تحقيق الاتزان النفسي والاجتهاعي لهذه الشعوب .
- ٢- التعريف بالمأثور الشعبى الأصيل فى كافة صورة المادية والمعنوية ، وبقيمته
 التاريخية والحضارية عبر العصور .
- ٣- النوسع والإسراع في عمليات جمع وتسجيل مختلف أنهاط وأشكال سواد
 الإبداع الشعبي .
- ٤ طرح موضوعات محددة من الإبداع الشعبى للمناقشة العلمية الدقيقية
 بهدف الكشف عن الخصائص الفنية لعملية الإبداع الشعبى.
- ديادة المساحة الإعلامية لمواد الفنون الشعبية وإحياء النهاذج الناجحة لهذه
 المواد التي تعكس التغيرات الاجتهاعية التي عاشها الإنسان .

وإذا كان الإعلام بمؤسساته المختلفة يلعب الآن دورا كبيرا في رسسم ملامح مستقبل الثقافات ، فأن الأمر يقتضي على تلك المؤسسات الإعلامية بها تملكه من مفردات تكنولوجية حديثة أن تقترب أكثر من دوائر الثقافة الشعبية في محاولة لتفعيل هذه الثقافة ، والتأكيد على دورها في صياغة الواقع الراهن بالكشف من جديد عن القيم الإنسانية العليا في هذا الإبداع الشعبي ، الذي يضفى حداثة على القديم ، كها أنه يعطى أصالة للإبداع الفنى المعاصر .

إن التفاعل بين الإعلام والمأثور الشعبى في عصر العولمة ، أصبح واقعا ينبغى التعامل معه بفكر جديد ، فالمفاهيم الاصطلاحية والكلاسيكية المحدودة التي غلفت علم الفولكلور ولفترات طويلة يجب أن يعاد النظر فيها ، في ظل متغيرات حتمية تفرض نفسها الآن على الواقع المعاش للمجتمعات، وهذا لا يعنى تراجع مثل هذه المأثورات، وإنها هو تعديل وظيفى فرضه المناخ التكنولوجى .. مهام جديدة سوف بحملها المأثور الشعبى في الوقت الذي سيتخلى فيه عن بعض المهام الأخرى، وعلى سبيل المثال فالكلمة المروية التي كانت تتصدر قائمة المفردات الشعبية في المفهوم التقليدي للفولكلور تراجعت حيث تحول الناس عن حلقات القص الشعبى ، بعد أن فقدت هذه الحلقات كونها وسيلة ترفيهية، فالإنسان المعاصر شغلته ظروف الحياة المعقدة فاتجه في وقت فراغه المحدود إلى قراءة الصحف ومتابعة برامج الإذاعة والتليفزيون. وهذا يعنى أن الوسائط الجهاهيرية لم تعد مجرد بديل ترفيهي فقد تجاوزت ذلك لتصبح أداة فعّالة في التأثير على الناس على الرخم من حواجز المكان والزمان التي تفصل هذه الوسائل عن متلقيها .

إن وسائل الإعلام باعتبارها حاملة ، وناقلة للمنتج الفكرى ، وحافظة للقيم الإنسانية ، وآخذة بكل أسباب التطور والنمو ، والتفاعل الحى المتجدد في مسيرة تواصل الأجيال عليها أن تلعب دورا رياديا في التعريف بالثقافة الشعبية من جديد ، وإحياء نهاذجها الناجحة بشكل عقلاتي حيث إن معطيات العصر لم تعد تقبل الاستغراق في ألوان الخطاب التي تعتمد على الخرافة والأسطورة والخيال البعيد عن منجزات العصر ، وبالدعوة إلى استلهام عناصر هذه الثقافة وتوظيفها عمليا وجاليا في كل المجالات . أما فيا يتعلق بالتعريف بالثقافة العربية بصفة عامة فمسئولية ذلك تقع على عاتق المخطط الإعلامي، وصانعي السياسات في الإعلام العربي وفيها يلي بعيض الاقتراحات التي قد تساعد على تحقيق هذا الهدف :

أولا: دعوة الإعلاميين من المهتمين بقضايا الثقافة في شبكات التليفزيون العالمية لحضور المؤتمرات العربية التي تعقد بشأن واقع ومستقبل الفكر الثقافي العربي ليطلع هؤلاء بأنفسهم على مدى تطور وانفتاح المفكرين العرب، وتدخل في هذا النطاق المؤتمرات التي تهدف إلى تناول المأثور الشعبي العربي وقضاياه.

وإلى جانب ذلك بث وقبائع هنذه المؤتمرات عبلى الفنضائيات العربية مصحوبة بالترجمة إلى اللغات الأجنبية حتى يشاهدها العالم .

ثانيا: تكثيف الاتصالات ، وتقوية العلاقات مع صانعي السياسات الإعلامية في الغرب وذلك لحث هؤلاء على إعادة ترتيب أوراقهم فيها يتعلق بالصورة النعطية التي في أذهانهم عن العربي .

ثالثا: توحيد وتنسيق الجهود العربية في مجال الإعلام، مع تستكيل هيئة إعلامية متخصصة تكون مهمتها متابعة أهم الرسائل الإعلامية التي تعتمد في مادتها على عناصر ثقافية بحيث يمكن وضع بعض المعايير التي من شسأنها تقديم المادة التراثية بشكل يضمن بلورة الركائز الأساسية للشخصية العربقة . ثانيا : التعلويير في شكل هذا الخطاب من حيث (الوسائل والأساليب).

المحور الشانى من محاور استراتيجية تصعيد أهمية الثقافة الشعبية في وسائل الإعلام يكمن في شكل الخطاب الثقافي الذي يجعل من المأثور الشعبي هدفا له، وتطوير هذا المشكل يعنى استخدام الوسائل والأساليب العصرية في نقل وتوصيل عناصر ومفردات المادة الشعبية ، والأساليب العصرية بأفضل الأشكال الإعلامية ، وأكثرها تأثيرا على وكنذلك الاستفانة بأفضل الأشكال الإعلامية ، وأكثرها تأثيرا على المجتمعات ، والاستفادة الكاملة من الشورة التي يشهدها العالم حاليا في مجال الاتصال والمعلومات .

إن وسائل الإعلام تمثل الآن أحد أهم الصور البارزة للتغييرات التكنولوجية التي دخلت حياتنا، وأصبحت المؤثرات الإعلامية قادرة على تشكيل الحياة الاجتهاعية، والثقافية داخل المجتمعات، فمنذ منتصف الثهانينسات، وحتى الآن أصبح الإعلام بمختلف وسائله، أكثر التصاقا ببناء المجتمع المعاصر، والمتأمل لواقع هذا البناء لابد أن يضع في اعتباره الدور الرئيسي للإعسلام والمتمثل في خلق الواقع الاجتهاعي للشعوب.

لقد ساد الإعلام ووسائله الإلكترونية الحديثة ساحة الثقافة حتى جاز لبعض المفكرين أن يطلق عليها ثقافة "الميديا" و" ثقافة التكنولوجيا" و" ثقافة التكنولوجيا المتعددة" ".

وهذا التدخل الصارخ في ثقافات المجتمعات عن طريق وسائل الإعلام، أصبح أمرا واقعيا، وهو لا يقل خطورة عن التدخل في شئونها السياسية والاقتصادية، فالمضمون الإعلامي الوافد من الممكن أن يهدد الذاتية الثقافية للمجتمعات، كما أنه يأتي في مقدمة العوامل التي تساعد على اهتزاز أنباط القيم السائدة في المجتمع، وعلى الجانب الأخر – ولكي تكتمل الصورة – فقد صاحب عمليات التقدم العلمي والتطورات التكنولوجية المعقدة التي مست الحياة اليومية للإنسان مساً مباشراً في عصرنا الحاضر اهتمام كبير بدراسة مأثورات الشعوب، والحفاظ على المقومات الميزة لثقافات المجتمعات بهدف المحافظة على شخصيتها الفنية والفكرية، وإبراز القدرات الإنسانية حتى لا

⁽¹⁾ A. Giddiness, Modernity, Self-identity: self and society in the late modern: age, Stanford. CA Stanford university press. 1999. PP 21. 28

تطغى " الصنعة " على " الإبداع " وتلقى ملكات الإنسان الخلافة خلف الكم الكبير من الإنتاج الآلى .

ولابد أن نقر في البداية أن استخدام المفردات الفولكلورية في وسائل الإعلام حق مشروع ، بل هو أمر مطلوب لمزيد من الحفاظ على هذه المفردات فالعناصر الفولكورية التي تصل إلى وسائل الإعلام لا شك أنها تستجمع قواها مرة أخرى لتواجه بذلك كل محاولات التهميش.

والتساؤلات التي يمكن أن تطرح عند دراسة العلاقة بين الإعلام والمأثور الشعبية ؟ الشعبي .. إلى أي مدى يمكن أن بضيف الإعلام إلى واقع المأثورات الشعبية ؟ .. وما هي طبيعة هذه الإضافة ؟ والمنتج الإعلامي القائم على مادة فولكلورية هل هو مجرد محاكاة وتقليد لأشكال في الإبداع الشعبي دون إدراك لوظيفة هذا الإبداع أو معرفة دلالاته الاجتماعية ، وسياقه التساريخي ؟ .. وعندما يسضع الإعلام المأثور الشعبي هدفا له هل يبحث بذلك عن الأصالة والجذور أم أنه مجرد انبهار بها تحمله المادة الفولكلورية من قوة التعبير وصدقه ؟ .. هل يعمي الإعلام مسئوليته الاجتماعية تجاه هذا المأثور أم أن ما يحدث ما هو إلا تعاطف غير واع مع ذكريات مجتمعيه ، وحنين عاطفي إلى أشسكال من التعبير ذات خصائص قومية ؟ .. هل هو انعطاف في الحركة الفنية والثقافية المعاصرة نحو منابع يفترض فيها السهولة ووضوح المعني؟.

تلك هي الأسئلة والمعايير التي ينبغي أن تطرح عند مناقشة وتقييم ودارسة العلاقة أو بمعنى أدق علاقة التفاعل بين الإعلام والمأثور الشعبي .

والحق الممنوح لوسائل الإعلام في تعاملها مع المأثور الشعبي ليس حقا مطلقا بمعنى أن هذه العملية تحتاج إلى خبرة فنية ، وإدراك تام لطبيعة وتاريخ المادة الفولكلورية المستخدمة، بالإضافة إلى الاحتياجات الثقافية التي تقتضيها الحداثة والتطور .

ولا شك أن المادة الفولكلورية في حاجة مستمرة إلى صياعات جديدة نوع من التعديل يعطى لهذه المادة القدرة على مواصلة الحياة ، وهذا التعديل لابد أن بحمل قيها تربوية وتعليمية تعالج الموضوعات الحياتية التي يفرزها الوقت الراهن .

حماية الموروث الشعبي وصياغته في قوالب عصرية..

واقتراب الإعلام من دوائر المأثور الشعبى أم محفوف بالمخاطر فقد يحمل هذا الاقتراب نوعا من المضاهاة ، أو الاستنساخ دون الوقوف على الطاقات التي تختزنها عناصر هذا المأثور .

كما أن هذا الاقتراب في بعض الأحيان قد يعنى تشويه المأثور وإفراغه من محتواه بدعوى العزف على أوتار الحداثة ، وتقديمه لغير أصحابه بها يتفق مع أذواق هؤلاء .

أما الاقتراب المطلوب وعلى وجه السرعة فينبغى أن تتضافر الجهود لانجاحه بحيث لا يقتصر الأمر على المؤسسات الإعلامية فقط بل هى مشاركة مجتمعية تقودها وسائل الإعلام واضعة في اعتبارها . إن الدول في غياب النموذج الثقافي سواء بالقسر أو بالتقليل من شأته كان حالها يؤول دوما إلى الضعف ، وتميل ثقافتها إلى التبعية الثقافية.

إن العمل الإعلامي الذي يسعى وراء مادة فولكلورية ينبغي أن ينظر إلى هذه المادة باعتبارها من مظاهر الإبداع الفكرى فرديا أو جماعيا تستحق أن تنعم بحماية مستوحاة من الحماية المنوحة لنتاج الفكر في الثقافة الراقية. وفي

ظل هذه الحماية سوف يستمر هذا المأثور، وربها ينطلق إلى آفاق أوسع حساملا معه قيها إنسانية من الممكن أن تساهم في التصدي لمشكلات وقضايا الواقع.

أما فيها يتعلق بحق الإعلام في أن يتدخل بالتعديل والتبديل في صياغة ما اقتبسه من المادة الفولكورية فهذا أمر مطلوب ، فتلك المادة في حاجة مستمرة إلى صياغات جديدة ، نوع من التعديل يعطى غذه المادة القدرة على مواصلة الحياة، بشرط أن يمتلك الإعلام الخبرة الفنية التي تؤهله لـذلك ، وأن يكون مدركا تماما لطبيعة وتاريخ المادة التي يستخدمها .

التليفزيون والمأثور الشعبي ..

لا شك أن التليفزيون بها يملكه من قوة تأثير غير مسبوقة على قطاعات كبيرة من المجتمع عليه الكثير في مجال الحفاظ على الخصائص المميزة في الإبداع الشعبي ووقايته ، وقبل مناقشة هذا الدور المستقبلي للتليفزيون في مجال نشر وهاية المأثور الشعبي يطسرح الباحث بعض التساؤلات : ما هي علاقة البرنامج التليفزيوني على اختلاف أشكاله بالمأثور الشعبي؟.. هل هي علاقة تعي ما في المأثور من قيم إنسانية تراكمت عبر العصور أم أنها علاقة يغلقها نوع من الانبهار بها يحمله هذا المأثور من الطراقة والصدق والبساطة ؟.. ما هي الدوافع وراء هذه العلاقة وهل هو الانتهاء ، ومراعاة الأبعاد والقومية أم أن الأمر لا يخرج عن كونه تعاطف غير مسئول ، وانعطاف تلقائي في الحركة الفنية المعاصرة ؟ وهل هي علاقة تهدف إلى استثبار شعبية المأثور وما يتمتع به من مكانه في القلوب ؟

أسئلة كثيرة ينبغى أن نطرحها عند مناقشة هذا الموضوع الشائك العلاقة بين المأثور الشعبي وأشكال وأساليب البرامج التليفزيونية . على أن تصدى التليفزيون للهادة الفولكلورية لا يمكن تحقيقه إلا من خملال جهود علمية تعتمد على مجموعة متكاملة من الباحثين، تسعى إلى اسستخلاص سواد هـذه المأثورات من بيئتها المختلفة مع الوقوف على الأصول التاريخيسة لمواد هـذه الموروثات بعناصرها المختلفة ".

وهنا ينبغى أن نؤكد على أهمية الدراسة الميدانية لفرق العمل التليفزيونية حتى نصل إلى دلالات هذه العناصر الفنية والاجتباعية والنفسية .

على التليفزيون أن يسرع إلى تسجيل ظواهر ومظاهر الإبداع الشعبى ، والعمل على تصنيف هذه المواد تصنيفا موضوعيا علميا حتى يمكن استيعاب ما هو موجود ، وتتبع ما قد يحدث من تغيير في أشكال هذا الإبداع وموضوعاته .

إن التليفزيون ، ونحن على أعتاب مرحلة قادمة ، مرحلة قد تهمش فيها الثقافات المحلية عليه أن يبحث وبدقة عن الأصول الصافية والمتافع الأصلية للمأثور الشعبى ، والتعرف الصحيح على كنوزه ونفائسه التى تمثل جانبا من حضارة البشرية ، وهو بذلك قد يعيد الحياة إلى قيم إنسانية عليا كامنة في هذا الإبداع الشعبى، وأنه بعمله هذا يضيف على القديم المزيد من الحداثة.

إن المأثور الشعبى مصدر غنى بالنسبة للتليفزيون ، وعلى العاملين في هذا المجال أن يعوا تماما هذه الحقيقية لابد أن يعودوا إلى صفحات هذا الممأثور لاختيار ما يرونه مناسبا لطبيعة الفترة ومقتضياتها ، لابد أن تكون هناك معايير

⁽١) لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى :

[&]quot; نص الاتفاقية الدولية لصون الفولكلورية ف:

عمد الجوهرى : حماية الستراث السنميى دور مستقبل لعلم الفوكلور (المنسسورة ، المركز الحضارى لعلوم الإنسسان والستراث السنعيى دوريسة الثقافية السنعبية ، العسد الأول ، ١٩٩٨) ص ١٠ - ٣٨ .

تضعها الاستراتيجيات الإعلامية ، يشمارك في ذلك بعض المتخصصين في مجال الفولكلور.

وفى محاولة لرصد المادة الشعبية في وسائل إعلام العولمة -المرثى منها على وجه الخصوص - نجد أن استخدام الفولكلور في محتوى المادة الإعلامية لا يخرج عن :

- ١ إحداث أثر ما فى نفس المتلقى بعيدا عن دوائر الفولكلور كخبرات حياة ودلالة اجتماعية وسياق تاريخي.
- ٢- المحاكاة والتقليد حيث يعاد عرض الظاهرة الفولكلورية في صورة قريبة الشبه من الحدث الشعبى الحقيقي على سبيل المحاكاة والتقليد بغرض توظيف واستغلال ما في المادة الشعبية من غرابه تشير فيضول المتلقى بحيث يتوقف عندها وقفة المنبهر بالمحتوى الشكلي .
- ٣- وهناك الفولكلور الذي يستخدم في أغراض تجارية كالإعلان عن السلع
 والمنتجات .

وعند تقييم محاولات الاستفادة من المأثور الشعبي فيها يقدمه التليفزيسون من مادة ثقافية وترفيهية يمكن القول :

اولا: إن عملية اللجوء إلى المأثور الشعبى فى كثير من الأحيان هى أقرب إلى محاولة للهروب من معالجة ما هو معاصر وراهن ، وتصبح المادة التراثية المنتقاة على هذا الأساس مادة ترفيهية تساهم فى إبعاد المشاهد عن واقعه وعن فهم واستبعاب المشكلات التى تواجهه ، وبذلك تصبح مادة تقوم بمهمة التضليل بقصد أو وعى من مرسلها أم بغير قصد.

وتساهم عمليا هذه المادة في تشويه وعى المشاهد، وهذا يسير في اتجاه يخالف المرجو مما ينبغي أن تفعله المفردات الموروثة خاصة وهي قادرة على فهم الواقع والتعامل مع قضاياه. وإلى جانب ذلك فإن هذا التناول للمأثور الشعبي سيساعد على تلاشى ملامحه وتزييفه.

ثانيا: تخضع عملية الانتفاء أو الاختيار إلى معايير ذاتية (وهذا نادرا سا يكون العامل الحاسم في الاختيار) أو إلى معايير خارجية متمثلة في طبيعة الثقافة السائدة المرتبطة عضويا بطبيعة النظام السياسي والاقتصادي السائد (وهذا غالبا ما يكون العامل الحاسم). إنها عملية إخضاع المأثور الشعبي لتوجيهات سياسية ولنظم حاكمة وفق المتطلبات المصلحية فحذه السياسات وتلك النظم.

ثالثا: يؤدى هذا إلى تشويه المأثور وكمذلك تمشويه رؤيمة المشاهد لهذا المتراث الأمر الذى يؤكد أننا فى النهاية أمام عمل "مفبرك" الغرض منه جعل المأثور الشعبى يقول ما تريده الأنظمة السياسية وهذا يؤدى إلى جدار عال يعرف طريقه إلى العلاقة بين الناس وما يقدمه التليفزيون من أشكال للمأثور الشعبى.

رابعا: تؤدى عملية الانتقاء غير الواعى من المأثور الشعبى إلى انتزاع أجزاء (أحداث، مواقف، شخصيات، سياسات) من سياقها العام، بحيث تقدم كجزئيات معزولة عن ارتباطانها وعلاقانها، وبالتالى مجردة من مغزاها ودلالانها، وتتم هذه العملية أما بشكل واع مقصود، أو دون قصد يسبب محدودية القائم على العمل وعجزه عن فهم المغنزى والسياق الاجتهاعى للمأثور الشعبى.

ويعتقد الباحث أن البرامج التسجيلي المذى يرصد عناصر المأثورات الشعبية من بيئتها الطبيعية هو أنسب الأشكال البرامجية الذى تستوعب مشل هذه العناصر وتقدمها في سياقها التاريخي ودلالاتها الاجتماعية مستفيدة مس الزخم الإعلامي في مجال القنوات الفضائية العربية ، فمثل هذه القنوات يمكن أن تكون نافلة نطل من خلالها على عالم المأثورات الشعبية وفي هذا الصدد يمكن بل ويجب ترجمة هذه البرامج إلى أكثر لغات العالم انتشارا حتى نقدم ثقافتنا التقليدية لغير أصحابها بشكل يضمن بلورة الركائز الأساسية للشخصية العربية ، وهذه مسئولية تقع على عاتق القائمين على الاتصال في هذه القنوات الفضائية .

إن تطور المنتج الاتصالى في مجال الثقافة الشعبية شكلا ومضمونا ضرورة تفرضها المتغيرات الثقافية التي تعرف طريقها إلى شعوب العالم.

وانطلاقا من أهمية الفضائيات العربية فيها يتعلق بتطوير الخطاب الثقافى ، وخاصة فى جانبه المرتبط بالمأثورات الشعبية يؤكد الباحث على ضرورة إطلاق قناة فضائية عربية – لتكن تابعة لجامعة الدول العربية – هدفها الاقتراب من المأثور الشعبى للمجتمعات العربية وتقديمه بشكل فيه من الإبهار الكشير ويأكثر من لغة عالمية ، حتى يمكن الدفاع عن هويتنا الثقافية ضد أى محاولة للنيل منها .

إن التليفزيون عليه أن يقوم بدور فعال في نشر الوعى القومى بما أثورات الشعوب، والإشارة إلى ما تتضمنه هذه الما أثورات من قيم جمالية دقيقة لم يلتفت إليها من قبل، عليه الكشف من جديد عن القيم الإنسانية العليا في هذا الإبداع مع التأكيد على مبدأ هام: إن الاكتناز الدلالي للمأثور الشعبي يعطى للجديد أصالة هو في أشد الحاجة إليها كي يكتب له البقاء.

إن بنية التليفزيون التى ترتكز على دعامتين: الصورة الضوئية والمعلوسة السريعة جعلته قادرا على التأثير الأيديولوجي في المتلقى من خيلال التسلية والترقيه وهما شعار الإعلام المرئى الحالى لكل براججه وحتى البرامج الترقيهية هى في الواقع أشكال تربوية تحمل توعية أيديولوجية ". وهذا ما ينبغى أن يفعله التليفزيون.. إعداد برامج - يفضل أن تكون في شكل تسجيلى - تثقيقية للوقوف على المظاهر الفنية بها تعنيه من قيم جمالية تفوح رائحتها من كافة الإبداعات الشعبية ومن ثم إلقاء مزيد من البضوء على ملامح المأثورات والتعريف بالأصول والفروع ، وكذلك الرموز الفنية والقيم الإبداعية والخصائص المحلية المتميزة لما تحتويه البيئة والطبيعة. إن المأثور الشعبي سيبقى دوما مصدرا غنيا لمواد الترقيه التليفزيوني يسعى معدو البرامج إلى تقليب صفحاته للاختيار وفق معايير محددة تنقق ومجموعة القيم الاجتماعية والثقافية والسياسية السائدة في المجتمع وهذا يفسر وجود عناصر المأثور الشعبي في كثير من مواد الترقيه التليفزيوني .

المأثور الشعبي وشبكة الإنترنت...

تعد شبكة "الإنترنت" تقدما تكنولوجيا راقيا في بحال الاتصال الجهاهيرى وأصبح لها تأثير فعّال على كافة المستويات، وأفادت منها العلوم بشقيها الطبيعى والإنساني " وإذا كانت التكنولوجيا تعرف بأنها " تلك الأدوات أو الوسائل التي تستخدم لأغراض تطبيقية يستعين بها الإنسان في

 ⁽١) أديب خيضور: سوسيولوجيا الترفيه في التليفزيـون (الكويـت، المجلـس الـوطنى
للثقافة والفنون والآداب، عالم الفكر، المجلد (٢٨)، العدد الثاني، ١٩٩٩) ص ٢٦٦

⁽٢) شعبان أبو اليزيد شمس: الاحتياجات التدريبية للدعاة في مجال الاتصال ، واتجاهاتهم نحو مستحدثاته (القاهرة ، جامعة الأزهر ، قسم الصحافة والإعلام ، مجلة البحوث الإعلامية ، العدد (١٦) ، أكتوبر ٢٠٠١) ص ٥٨ .

عمله لإكمال قواه وقدرانه ، وتلبية لتلك الحاجات التي تظهر في إطار ظروفه الاجتماعية ومرحلته التاريخية الخاصة "، أي أنها وسائل يستخدمها الإنسان لتكملة ما ينقصه من قدرات، ولسد نقص يشعر به المجتمع في مرحلة معينة من مراحل تطوره ".

والخطاب الإعلامي المعاصر في شقه الثقافي يتطلب تطويرا في الوسائل والأساليب التي تنتقل بها الخصائص والسهات الثقافية بها يتناسب وروح العصر وهنا ينبغي ألا يغفل القائمون على الاتصال أهمية استخدام " الإنترنت " لتطوير الخطاب الثقافي والتعريف بالثقافة الشعبية .

ولا شك أن هذه الشبكة " العنكبونية " للمعلومات لها قدرة فائقة على نشر العناصر الثقافية والترويج لها . إنها تتيح معلومات سهلة وميسرة بالنسبة لرجال الإعلام، ومن ثم يمكن الاستفادة منها في الحصول على أي معلومات عن الموضوعات المختلفة المراد معرفتها، كذلك يمكن أن نفيد من هذه الشبكة في العمل على نشر أنباط وعناصر المأثور الشعبي.

إن الأمر لا يتطلب أكثر من اتخاذ بعض المواقع على "الإنترنت" ، ويث المعلومات الدقيقة عن الثقافة العربية في شقها الشعبي بشرط مراعاة الدقة في انتفاء الموضوعات التي تبث على هذه المواقع.

إن هذا الفكر في فهم واستيعاب التكنولوجية الحديثة ومحاولة الاستفادة منها في نقل الثقافة العربية بسهاتها الحقيقية ، وبلغات أخرى إلى جانب العربية

⁽۱) إبراهيم شوقى عبد الحميد : علم النفس وتكنولوجيها البصناعة (القهاهرة ، دار قبهاء للنشر ، ۱۹۹۸) ص ۲۰ في :

شعبان أبو اليزيد شمس : الاحتياجات التدريبية للدعاة في مجال الانتصال ، مرجع سابق ، ص٥٨ .

سوف يتيح الفرصة لغير الناطقين بالعربية أن يتعرفوا على الخلفية الثقافية للاتجاهات الفكرية المعاصرة في الوطن العربى ، ومن ثم يمكن أن تظهر مساحة التسامح والقيم النبيلة التي تغلف هذه الثقافة وخاصة فيها يتعلق بقبول الأخر.

لقد أضحت أجهزة الاتصال الحديثة - وما أكثرها .. الهواتف والإذاعة والتليفزيونية ، والبريد الإلكتروني ، والفيضائيات - تلعب دورا كبيرا فى الأداء المؤسسي للثقافة العربية ، والتعريف بها على شتى الأصعدة ، و"الإنترنت" هو أحد أدوات التكنولوجيا الحديثة ، لذا يجب تفعيل دورها في عرض صورة ثقافتنا العربية بصورة شمولية متكاملة تلاءم العصر وفيها من الموضوعية والصدق ما يجعلها تعرف طريقها إلى المجتمعات الغربية .

إن العلم الحديث قد أتاح للثقافة ومنها العربية فرصا كثيرة كى تعرف طريقها إلى خارج حدود الوطن حاملة معها أهم القيم والخيصائص الثقافية التى تميز المجتمعات العربية ، بعيدا عن الصور النمطية والمشوهة التى تحاول وسائل الإعلام الغربية إلصاقها بالمجتمعات والشخصية العربية ويؤكد المفكر الإسلامي الشيخ يوسف القرضاوي على أهمية هذه الوسيلة ، وفي ذلك يقول : يجب على الأمة استخدام هذه الأداة الجبارة " الإنترنت" التي تخترق الأسوار، وجي صالحة لأن تهدم أو تبني ، وأن تزرع الخير أو الشر ، فلنستخدمها نحن في سبيل الحق والخير ، لا الباطل والشر ، ولنجعل منها أداة بناءه لا معول هدم ، وإن غيرنا اتخذوها منبرا لنشر والشر ، ولنجعل منها أداة بناءه لا معول هدم ، وإن غيرنا اتخذوها منبرا لنشر

أديانهم الباطلة، وفلسفتهم المدمرة ، كما أن من النساس من اتخذها منبرا للحديث عن الإسلام في أكثر من ألف موقعا ٠٠٠.

إن تصعيد أهمية الثقافة السعبية من خلال تطوير الخطاب الثقافي الإعلامي ينبغي أن يوظف التكنولوجيا الحديثة لهذا الغرض.

وعند استخدام "الإنترنت" كخطوة على طريق تطوير الخطاب الثقافي يجب مراعاة الأتي :

أولا: ضرورة إنشاء مواقع متخصصة يمكن من خلالها التعريف بالمأثورات الشعبية ، والتركيز على دلالاتها الاجتماعية وسياقها التاريخي ، وما فيها من قيم جمالية ونفعية على أن تراعى الدقة والتوثيق فيها يقدم خلال هذه المواقع .

ثانيا: يجب أن تكون هناك وجهة نظر تتبناها وسائل الإعلام العربية للتأكيد على هويتنا الثقافية عبر شبكة "الإنترنت" والتنسيق الكامل بين هذه الوسائل لتصحيح صورة العرب أمام المجتمعات الغربية.

ثالثا: ضرورة تدريب الكوادر الإعلامية على استخدام هذه الوسائل الحديثة مع تبنى مشروعا متكاملا لموقع ثقافى عربى على "الإنترنت" وبأكثر من لغة يحتوى على كل ما يتعلق بسمات وخصائص الثقافة العربية بما فيها الثقافة التعربية بما شها الثقافة التعربية بما شها الشعبية .

إن من لا يملك مدخلا على "الإنترنت" فهو معزول عن العالم غير مؤثر في جريات الأحداث، ومن ثم علينا أن نجيد استخدام هذه الشبكة ، أن نلم بأركانها ومكوناتها حيث إن منظومة الإعلام الجديد هي منظومة رقمية .

 ⁽۱) يوسف القرضاوي: أثر خمصائص العمصر الحمديث عمل الأداء المؤسسي للمدعوة
 (القاهرة، مجلة منار الإسلام، العدد (٦)، مايو/ يونيه ٢٠٠١) ص ٧٠.

ثالثاً : تأهيل وإعداد من يقوم بالخطاب الثقافي ..

إن المحور الثالث من محاور استراتيجية تصعيد الثقافة الشعبية في أجهزة الإعلام يكمن في إعداد وتأهيل العاملين في هذا المجال، فإذا أردنا الحفاظ على مأثوراتنا الشعبية ، وتقديمها بشكل لائق ينضمن بلورة الركائز الأساسية للشخصية العربية فعلينا أن نقترب من الإعلاميين العاملين في هذا المجال تحاول الارتقاء بمستواهم المهني ، واضعين في الاعتبار قيمة وثراء المادة الثقافية التي بتعاملون معها فها أكثر المحاولات الإعلامية التي أضرت بواقع الثقافات التقليدية ، حيث قدمتها بشكل سطحي يحمل الكثير من المبالغات ربها غير المقصودة التي وضعت هذا المأثور في حيز الخرافة والتخلف .

إن وسائل الإعلام - تحديدا المرئية - تفتقر إلى المتخصصين في مجال الفولكلور من معدى ومقدمي البرامج، والغريب أن واضعى السياسات الإعلامية في هذه الوسائل قلما لفت نظرهم خلو أجهزتهم من إعلاميين تعيى وتفهم ماذا يعنى المأثور الشعبى بالنسبة لواقع ثقافات الأمم.

وقد أشارت الاتفاقية الدولية لمصون الفولكلور في الدورة الرابعة والعشرين للمؤتمر العام لليونسكو التي عقدت في شتاء ١٩٨٧، إلى ضرورة توفير تغطية أكبر لعناصر التراث الشعبي في مؤسسات الاتصال الجهاهيري، والمهم أنها اقترحت إنشاء وظائف لأخصائي الفولكلور في تلك المؤسسات، وإنشاء أقسام للفولكلور في إطار هذه الهيئات، بل وذهبت الاتفاقية إلى اقتراح تشجيع المؤسسات المحلية بأنواعها على إنشاء وظائف لأخصائي فولكلور متفرخين، وغير ذلك من إجراءات تشجيع إنتاج أفلام تسجيلية

فولكلورية للأغراض التربوية ، والعناية بالإعلام عن مصادر تـوفر المـادة الفولكلورية .**

إن تفاعل المأثور الشعبى مع الإعلام بأجهزته المختلفة أصر محفوف بالمحاذير، وعلى الإعلاميين السذين يتصدون للمادة السعبية – وهم مهمة ليست بالسهلة – أن يمتلكوا الأدوات التي تساعدهم على نقل ورصد ومتابعة التغيرات التي تطرأ على المادة الشعبية نظرا لمتغيرات العصر، عليهم أن ينتقوا من عناصر هذا المأثور ما يتناسب وطبيعة المرحلة التي تعيشها المجتمعات مؤكدين على ما في هذه العناصر من قيم جمالية ونفعية ، عليهم أن يجعلوا من عناصر المأثور الشعبي قوة انطلاق تجاه مستقبل واع ، وهذا يتطلب منهم:

أولا: معرفة صحيحة بالمصطلحات الفولكلورية التى تعارف عليها علماء المأثورات الشعبية ، مع متابعة مستمرة لتطور هذه المصطلحات لتتلاءم مع تطور الحياة الإنسانية ، فالفولكلور "علم قديم جديد" والباحثون في حقل الدراسات الفولكلورية في سعى دائب نحو تطوير مصطلحاتهم ومفاهيمهم ونظرياتهم ومناهجهم العلمية لتواكب ظروف العصر .

ثانيا : معرفة الخصائص الأساسية التي تميز المأثور الشعبي عن غيره مسن ألوان المعرفة الإنسانية ، وأهم هذه الخصائص (٢):

⁽١) لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى :

محمد الجوهري : حماية التراث الشعبي دور مستقبلي لعلم القولكلور ، مرجع سسابق ، ص ١٠ ، وما بعدها

 ⁽٢) لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى:
 حصة زيد الرفاعي: الفولكلور في الوسائط الجهاهيرية ، مظاهر التأثير والتأثر بين فن الإعلام ، والثقافة الشعبية ، مرجع سابق ، ص ١٦٨ وما بعدها.

- ١ القبول الجمعي ، فالمأثور الشعبي ربها ينشأ إبداعا فرديا ولكنه يكتسب
 صفة الشعبية بانتقاله من وجدان الفرد إلى التعبير عن مشاعر الجهاعة .
- ٢ التناقل الشفهي ، وهي سمة غالبة في أنهاط الإبداع الشعبي على الرغم من
 قيام بعض الفنانين الشعبين بتدوين مأثوراتهم لحفظها من الضياع .
- ٣- قدرة المأثور الشعبى على التكيف مع ظروف الحياة الجديدة، فلم يعد الإبداع الشعبى مجرد شئ قديم وإنها إبداع متجدد قيادر عبلى مواكبة ظروف الحياة الجديدة، فالفولكلور لا يموت، وإنها يجدد خلاياه لتمده بالحيوية والاستمرار.
- 3 وظيفة الفولكلور الاجتماعية ، وهي سبمة أساسية من سيات المأثور الشعبى فمعيار الحكم على أصالة النمط الشعبى ليس بكونه قديها أو مؤلفا بالعامية، أو منسوبا إلى فئة اجتماعية معينة، وإنما بمدى شيوعه بين الناس ، وتعبيره عن وظائف اجتماعية مهمة في حياتهم سواء كانت نفسية أو طقوسية ، أو تعليمية أو ترفيهية . ولا شك أن تلك الوظائف تتغير بتغير حياة الناس .

إن مهمة العاملين والمستغلين بالخطاب الثقافي في وسائل الإعلام المختلفة وتحديدا الخطاب الثقافي الذي يعتمد في مادته على المأثور الشعبي مهمة شاقة وعسيرة فعلى هؤلاء تقع مهمة الحفاظ على الثقافة الشعبية بها فيها ومن فيها، عليهم أن يصححوا الأفكار تجاه المادة الفولكلورية من منطلق أهميتها في الحفاظ على الهوية الثقافية. ولعل مشل هذه المادة في أشد الحاجة الآن إلى الرعاية والحماية، ويكفى ما تواجهه من أخطار في ركاب العولة.

والحديث عن دور الفيضائيات العربية في توفير حماية أكثر لعناصر ومفردات الثقافة الشعبية يمكن أن يدخل في روع البعض أن هناك تراثا واحدا

كرة القدم ولا أعرض لقطات من رياضتنا الشعبية المحببة ، رياضة السيد بالصقور ، أو سباق الخيول العربية الأصلية ؟ لماذا يحق للناس أن يسهروا ليالى على حفلات شعبية من مختلف أصقاع المعمورة ولا يسهروا على رقصات شعبية من واقع هذه البيئة ".

ولا شك أن مثل هذه القناة ستكون البداية الحقيقية على طريق التعامل مع المأثور الشعبى وتفعيله في إطار خطة أو استراتيجية إعلامية عربية للحفاظ على ثقافتنا الشعبية تعتمد على كوادر بشرية معدة ومؤهلة علميا للقيام بهده المهمة الشاقة ، لابد من إكساب هؤلاء مهارات التعامل مع التكنولوجيا الحديثة ، وفي الوقت نفسه إكسابهم خبرة التعامل مع عناصر الثقافة الشعبية .

 ⁽أبو ظبى، عبد الله النويس: الإعلام والتنمية الوطنية في دولة الإسارات العربية (أبو ظبى، مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع ١٩٨٧) ص ص ١٢٦، ١٢٦.

الخلاصة ..

وبعد .. فإن وسائل الإعلام تعتبر اليوم من أكثر القوى الرمزية حضورا وتجليا وتأثيرا على المجتمعات ، وهي تعمل بالجذب لا بالضغط ، وبالترغيب لا بالترهيب ، مستخدمة في ذلك تقنيات تكنولوجية حديثة وبذلك يفوق تأثيرها تأثير المؤسسات التعليمية والدينية التي تعمل معها في نفس المجتمع .

وإذا كانت السيطرة الإعلامية للدول المتقدمة تكنولوجيا قد تعرض المدول الأقل تقدما لخطر جسيم يتمثل في فقدان الهوية ، وإحداث نوع من التبعية الثقافية فإن التغير الحاصل اليوم في النظام الإعلامي الدولي لابد أن يؤثر بعمق على الدول النامية ، وهذا التأثير في رأى المدكتور فاروق أبو زيد سيتخذ مسارين متناقضين : الأول : إعطاء قدر متزايد من الحريات لوسائل الإعلام في الدول النامية حتى تستطيع أن تواتم أوضاعها مع طبيعة النظام الإعلامي الدولي السائد، وهو النظام الغربي الذي يقوم على الليبرالية بها قثله من حرية وتعدد لوسائل الإعلام . أما المسار الثاني : فهو يؤدي إلى مزيد من التبعية الإعلامية " ولعل الاهتهام الزائد بالإعلام ، وعاولة توظيف التكنولوجيا الحديثة لخدمة أغراضه وضع العالم أمام مرحلة غاية في الأهية والخطورة . أفكار وقيم الشعوب -خاصة في الدول الأقل تقلما -هل يمكن أن تعافظ على هويتها وهي تعيش عالما إعلاميا يختلف بل يتناقض مع واقعها الحياتي ؟ إلى أي مدى سوف تستغل الدول المتقدمة إعلامها لتحقيق المزيد من السيطرة والهيمنة ؟

 ⁽١) فاروق أبو زيد: انهيار النظام الإعلامي الدولي من السيطرة الثنائية إلى هيمنة القطب
 الواحد (القاهرة، مطبعة الأخبار ،١٩٩١) ص ٤٧

إنها العولمة بكل ما تفرضه من تحديات ، وما تتيحه من فسرص وإذا كسان هناك شبه اتفاق على ما يحدثه الإعلام من متغيرات في المجتمعات ، فإنه وإلى الآن لم يتم استيعاب هذه المتغيرات لمعرفة كيفية التعامل معها .

وفى عاولة للحفاظ على المأثور الشعبى ينبغى أن يوظف الإعلام لمثل هذه المهمة ، فالخطر الحقيقى الذى يهدد بقاء هذا المأثور لا يتمثل فى انحساره ووهن دلالاته ، ولا فى النظرة الدونية إلى هذا المأثور باعتباره تراكمات جامدة قد تتعارض مع الحداثة ، ولا فى قلة مردود التصورات البحثية التى تستهدفه بغرض الوقوف على ما يتضمنه هذا المأثور من قيم قادرة على التفاعل مع مفردات الحداثة ، قادرة أيضا على أن نكون بمثابة النبع الذى يمد الجديد بصيغ إبداعية تستلهم من نفائس هذا الموروث.

إن الخطر الحقيقى – إلى جانب ما سبق – يكمن في محاولات تسليع هذا المأثور حيث الاستخدام النفعى بتحويله من موضوع تراثى إلى موضوع استعالى يحقق مصلحة أو منفعة أمنه ". ومثل هذه المحاولات وغيرها ينبغى أن يتصدى لها الإعلام فالمأثور الشعبى لا يمكن أن يعاد صياغته وفقا لحاجات السوق التي غالبا ما تكون إرضاء لحاجات السائح الغربي وبذلك يبعد المأثور الشعبى عن دائرة احتباجات أصحابه في حاضرهم.

ولا شك أن هناك منطلقات كثيرة تــدفع الإعــلام بوســائله المختلفــة إلى الاهتيام بواقع المأثور الشعبي ومستقبله ، وفي مقدمة هذه المنطلقات :

١ - الدور الذي يمكن أن يلعبه المأثور الشعبى في الحفاظ على الهوية الثقافية
 وفهم الثقافات الحالية، وتحقيق التميز والتفرد القومى .

⁽١) محمد حافظ دياب: التراث الشعبي، وسؤال الحاضر، مرجع سابق، ص ٨٢.

- ٢- مرونة المأثور الشعبى وقدرته على التفاعل مع متغيرات العصر نما يجعله
 مؤهلا للإسهام من جديد في البناء الحضاري للإنسان.
- ٣- إمكانية الاستفادة من عناصر المأثور الشعبى والاستلهام منه لإضافة المزيد
 من الأصالة إلى واقع الفنون الإعلامية المعاصرة وغيرها .
- ٤ إمكانية توظيف المأثور الشعبى للمنضى خطوات على طريق التنمية ،
 خاصة وأن بعض عناصر هذا المأثور تحمل الكثير من القيم الإيجابية .

وعند الاقتراب من الاستراتيجيات التي ينبغى أن تتبع على طريق تصعيد أهمية الثقافة الشعبية في الإعلام المرئي تحديدا لابد أن نشير إلى تطوير الخطاب الثقافي ، خاصة الذي يحمل بين طياته عناصر ومفردات الثقافة الشعبية، ينبغى أن نعيد ترتيب أوراق علاقتنا بالثقافة الشعبية ، ننتقى منها ما يتناسب مع متغيرات العصر ، مع ما يعين على التصدى للمشكلات الحياتية ، بعيدا عن عناصر التراث السلبية أو التي فقدت وظيفتها .

ولا شك أن تطوير الخطاب الثقافي يكمن في الكشف من جديد عن القيم الإنسانية العليا في الإبداع الشعبي والتأكيد على أن ذلك يسضفي حداثة على القديم، كما أنه يعطى أصالة للإبداع الفنى الحديث. وهذه المهمة تحتاج إلى قدرات خاصة ، حتى يمكن تبلاقي كيل تبشويه قيد يعرف طريقه إلى هذه المتراكيات الثقافية المتوارثة.

وعلى الجانب الأخر تبقى أهمية تطوير شكل الخطاب الثقافي خاصة في ظل الطفرات التكنولوجية الهائلة التي يعيشها عالم الاتصال. فالتليفزيون بها يملكه الآن من قنوات فضائية يعد أحد أهم وسائل الإعلام التي ينبغي أن توظف لتوفير المزيد من الحاية والرعاية والدعم للثقافة الشعبية ، عليه أن يسرع في تسجيل ظواهر ومظاهر الإبداع الشعبي حيث تمثل هذه الموروثات

جانبا هاما من حضارة الإنسانية. إن تطوير منتج الاتبصال في مجال الثقافة الشعبية شكلا ومضمونا ضرورة تفرضها المتغيرات الثقافية، وعندما نتحدث عن تكنولوجيا الاتبصال لا يمكن لأحد أن يسقط من حساباته شبكة "الإنترنت" بكل ما تعنيه من قدرة على نشر العناصر الثقافية والترويج لها، وهذه فرصة قد أتبحت للثقافة الشعبية كي تنطلق خارج الحدود الجغرافية حاملة معها أهم القيم والخصائص الثقافية التي تميز المجتمعات.

وعند استخدام "الإنترنت" كخطوة على طريق تطوير شكل الخطاب الثقاق لابد من مراعاة إنشاء مواقع متخصصة للمأثور الشعبى العربى بأكثر من لغة على أن تراعى هذه المواقع دلالة هذا المأثور الاجتماعية وسياقه التاريخى ، وإبراز قيمه الجهالية والنفعية ، وهنا ينبغى أخذ الحذر ومراعاة الدقة ، على أن يتم ذلك بالتنسيق بين المؤسسات الإعلامية ، ومؤسسات المجتمع المدنى فى الدول العربية، وهذه الخطوة تحتاج إلى كوادر بشرية واعية على قدر كبير من مهارات التعامل مع التكنولوجيا الحديثة .

وعند الحديث عن العنصر البشرى العامل في مجال الإعلام الثقافي ، وهو أحد محاور استراتيجية تصعيد أهمية الثقافة الشعبية لابد أن نشير إلى ما أكدت عليه الاتفاقية الدولية لصون الفولكلور ، حيث اقترح المشاركون في المؤتمر العام لليونسكو الذي عقد في شتاء ١٩٨٧ م إنشاء وظيفة أخصائي فولكلور في المؤسسات الإعلامية . إن مهمة الإعلاميين الذين يتصدون للهادة الشعبية مهمة ليست بالسهلة على هؤلاء أن يملكوا الأدوات التي تساعدهم على نقل ورصد ومتابعة التغييرات التي تطرأ على المادة الشعبية .

ومع نهاية هذا المبحث ، تفرض مجموعة من الملاحظ ات نفسها بمصدد استراتيجية وسائل الإعلام في تصعيد أهمية المأثورات الشعبية ، ويمكن الوقوف على أبرز هذه الملاحظات فيها يلى :

أولا: إن الارتباط بين الثقافة ووسائل الإعلام قد أصبح ارتباط بنيوى فكل جديد يعرف طريقه إلى هذه الوسائل يحدث هزة ثقافية ، ومعنى هذا أن الاتصال سوف يلعب أدوارا هامة فى بناء الواقع الاجتهاعى للشعوب كبديل عن الوسائل التقليدية التى كانت تنقل التراث الثقافى الاجتهاعى عبر الأجيال . وهذه العملية سوف تدفع وسائل الإعلام إلى اختراق دوائر المأثور المشعبى بعناصره المادية والمعنوية للتعريف به، وبقيمه التاريخية والحضارية، الأمر الذى يقتضى دقة متناهية لضهان المحافظة على أصالة هذا الموروث والبعد عن أى تشويه قد ينال منه .

والحفاظ على المأثور السعبى لا يكون بوضع الموروثات في المتاحف المتخصصة فحسب ، وإنها بالعمل على نشرها ، والتعريف بها وتسليط الأضواء على جمالياتها عن طريق كافة وسائل الإعلام « وهذا ما ينبغي أن يعيه جيدا الإعلام ورجاله .

ثانيا: عند التعامل مع مفردات وعناصر المأثور الشعبى إعلاميا ينبغى النظر إلى هذه العناصر وتلك المفردات على اعتبار أنها تنويعات من العادات والتقاليد والمعتقدات والمعارف والآداب والفنون عتقتها القرون فتاسبجت وأقامت حضورها في جسد وحياة الشعوب(٢).

 ⁽۱) محمود همام: الدور الريادي لوسسائل الإصلام في الدعوة لاسستلهام عنساصر الستراث الشعبي في الديكور المعاصر، مرجع سابق، ص ٤١٦ .

 ⁽۲) عمد حافظ : التراث الشعبى ومؤال الحاضر (المنصورة، المركز الحسضارى لعلوم الإنسسان والتراث الشعبى، دورية " الثقافة الشعبية "، العدد الأول ، ۱۹۹۸) ص ۷۰ .

ثالثا: إن استراتيجية الإعلام في تصعيد أهمية الثقافة الشعبية يمكن أن تنطلق من بعض المحددات أهمها :

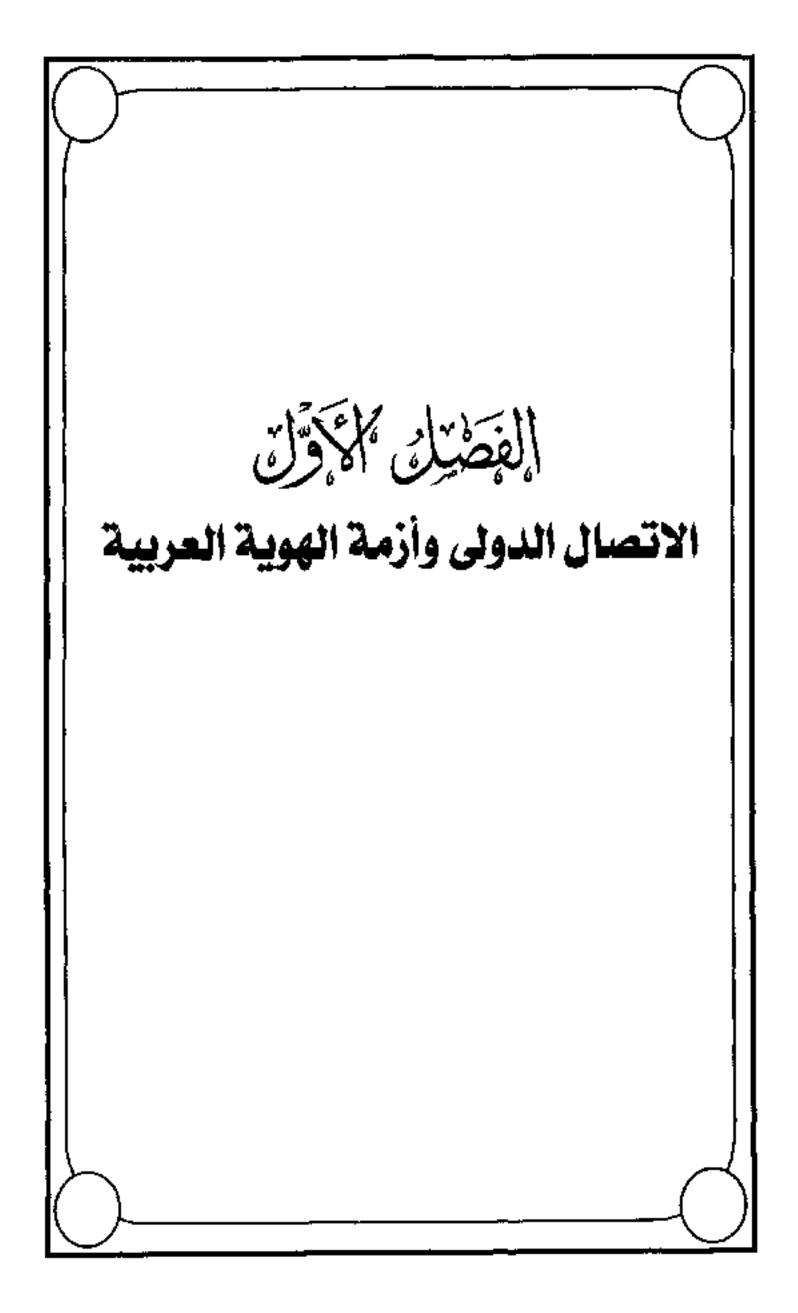
- إعادة النظر بالدراسة والفهم للمفاهيم والقدرات الكامنة والعناصر الخبيئة في المأثورات الشعبية ، مع اعتباد العناصر التراثية الثقافية محورا للهوية الثقافية ، فالتراث الشعبي هو المحدد لملامح هوية الشعوب الثقافية ، وهو القادر على تحقيق الاتران النفسي والاجتباعي لهذه الشعوب .
- ٢- التعريف بالتراث الشعبى الأصيل فى كاف صبورة المادية والمعنوية ،
 وبقيمته التاريخية والحضارية عبر العصور .
- ٣- الإسراع والتوسع في عمليات جمع وتسجيل مختلف أنياط وأشكال مواد
 الإبداع الشعبي .
 - ٤ زيادة المساحة الإعلامية لمواد الفنون الشعبية .

إن الإعلام ليس ابنا للحظة حالية ، بل هـو مـسئول كـل المسئولية عـن المستقبل .

البّائِ الثّالِثُ الثّالِثُ خطاب العولمة والهوية العربية

الفصل الأول: الاتصال الدولي وأزمة الهوية العربية.

الفصل الثانى: الإنتاج الفضائى العربى ودور مستقبلى فى دعم الهوية العربية.



الفصل الأول الاتصال الدولي وأزمة الهوية العربية

مقىدمى..

أدت الثورة العلمية ، والتكنولوجيا الحديثة إلى ظهور ما يسمى بمجتمع المعلومات مواكبا مع القفزة الكبرى في تكنولوجيا الاتصال وخاصة في مجال القنوات الفضائية عما أسفر بروز إشكاليات جديدة متعلقة بالوعى ، والقيم الإنسانية ، وأنهاط السلوك .

ولا شك أن البث الفضائى الوافد بها يحمله من قيم وسلوكيات وأفكار قد تختلف وطبيعة المواطن العربى سيكون له أثر ربها يهدد بفقدان الهوية، فها يحدث الآن بشكل تغير هائل تدخل معه البشرية عسر التواصل الفورى والمباشر عبر الشاشات الإلكترونية الدائمة البث.

إن الثقافات الخاصة بالأمم والشعوب تقف الآن عارية أمام هذا التعدفق الهائل من الرسائل والعلاقات التى تجوب العالم على مدار الساعة حاملة معها ثقافة استهلاكية قادرة على غزو الحواجز العرقية والغوية والقومية.

وتزداد المخاوف يوما بعد يوم من آثار العولمة الثقافية على الهوية العربية ، وذلك فى ضوء ما يقدم من مضامين مختلفة عن مجتمعاتنا عبر بث أجنبى وافد . والغريب أن هناك فضائبات عربية تسير الآن على هـذا المنهج فها تقدمه - شكلا ومضمونا - هو أقرب إلى منتج إعلامي يخشى من تأثيره على الهوية العربية .

لقد تنامى الإحساس بفقدان الهوية بين عدد كبير من أبناء الوطن العربى ، وتسشير السواهد إلى أن الفرد العربى المعاصر يخسس قنوات

الاتصال بجذوره وعاداته وهويته ، فيوما تلو الآخر يصدر إلينا المزيد من العادات الغريبة في أسلوب الحياة وهبي ليست فقط دخيلة على المجتمع، ولكنها أيضا محل قبول أبنائه ، سواء كانت هذه العادات في : الملبس أو اللغة أو المأكل وهبي مجتمعة تعبر عبن كثير من الدوبان في العادات الغربية.

وانطلاقا من هذا تزايدت الدعوات في الآونة الأخيرة لصياغة استراتيجية إعلامية عربية تقوم على بلورة رؤية واعية غكن من التعامل مع النظام العالمي الجديد بكل ما يحفل به من متغيرات، وما يطرحه من تحديات، تلك الرؤية التي غكن الإعلام العربي من دعم رسالته الأساسية في خدمة الجهاهير العربية وقضاياها الإسلامية .. ولاشك أن هذه الرؤية التي نتطلع إليها يجب أن تسند إلى تطوير الخطاب الإعلامي العربي وآلياته ووسائله بها يساعد عملي الحفاظ على الهوية الثقافية والحضارية للمجتمع العربي . ومن شم فإن الاهستهام المتواصل بتوفير بدائل إعلامية عربية ثرية متنوعة يعد أمرا ضروريا بشرط أن تطرح هذه البدائل ما يتفق وميول واحتياجات وثقافة الإنسان العربي، وأن تعمل على تنمية ثقته ، واعتزازه بقوميته وهويته "

إن موضوع الهوية وأزمة القيم من الموضوعات التي تتصدر اهتهامات الدول فيها يتعلق بالإعلام الفضائي ، تتساوى في ذلك دول العالم المتقدم منها والنامى، فالعولمة بكل تحدياتها تواجه الهويات ، وربها تسعى إلى تدويب الثقافات القومية والوطنية لحساب ثقافة عالمية واحدة هي الثقافة الأمريكية

 ⁽١) عدل رضا : كلمته في افتتاح المؤتمر العلمي السنوى العاشر لكلية الإعلام (القاهرة ،
 كلية الإعلام جامعة القاهرة ، أبحاث المؤتمر ، ٢٠٤ مايو ٢٠٠٤) ص ٣٠.

غالبا. إن مسألة الهوية قد أصبحت هما عالميا مشتركا بحيث غدت قنضية مطروحة في أمكنة كثيرة من بلدان العالم .

وتمر الهوية العربية حاليا بفترة عصيبة ، نتيجة لتوارد متغيرات عدة عليها ، وعلى الرغم من أن لبعض هذه المتغيرات جذورا سابقة إلا أن وطأتها قد ازدادت حدة مؤخرا نظرا لبروز معطيات عديدة على الساحتين : الدولية والإقليمية أوصلتها إلى ما يمكن أن نسميه الآن بمرحلة الانحسار!!

إن طرح موضوع الهوية بها يعنيه من قضايا ثقافية شائكة مرتبط إلى حدد كبير بحالات التوتر الاجتهاعي، والتحديات التي تواجمه المجتمعات، وما أكثر هذه التحديات في ظل العولمة.

مدخل إلى الهويت..

الهوية معناها في الأساس التفرد وهي ما يشخص الذات ويميزها كالبصمة في الإنسان يتميز بها عن غيره وهي السيات المشتركة التي تميز بها جماعة لنفسها، وتعتز بها. وقد عرفها مجمع اللغة العربية بأنها: حقيقة الشيء أو الشخص المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية التي تميزه عن غيره، وهي عبارة عن تلك القيم المطلقة التي تحتاج إلى جهد إنساني متواصل لتنزلها إلى حقائق اجتهاعية وحضارية.

فالهوية صفات ، وأحاسيس ، ونمط حياة مهيمن على كل شيء ، في الملبس ، والمأكل والموسيقي، والفن والثقافة ، في الحرية والمقاومة والصمود ،

⁽١) جلال أمين : العولمة (القاهرة، دار المعارف ، سلسلة اقرأ (٢٠) ، ١٩٩٨) ص ٥٣ .

 ⁽۲) عبد العزيز الدورى : الهوية الثقافية العربية والتحديات (مجلة المستقبل العربي العدد
 (۲) عبد العزيز الدورى : الهوية الثقافية العربية والتحديات (مجلة المستقبل العربي العدد
 (۱۰/۲٤۸) ص ٦.

⁽٣) محمد عيارة : مخاطر المولمة على الهوية الثقافية (القاهرة ، نهضة مصر ، ١٩٩٩) ص ٦.

فهى نمط معيشى متكامل يتفاعل مع المتغيرات المحيطة به ، فيتغير معها دون أن يذوب فيها. يتأثر داخلياً لكنه يكتسب الجديد دائيا ، وهى إحدى مكونات الشخصية الوطنية".

الهوية هى الخصائص التاريخية واللغوية والنفسية التى تؤدى إلى الفيصل بشكل حاسم بين جماعة من الناس وأخرى وتنتج هذه الخصائص عن عاملين رئيسين، الأول: داخلى يتمثل فى تقاليد ومواريث تراكمت عبر حقب تاريخية محتدة، والثانى: خارجى يعكس تفاعل الأمة مع وضع عالمى فوار متغير، مفرزا موجات ثقافية متعددة، ونهاذج حضارية مختلفة، ينتج عنها ردود فعل ذاتية تفرض التعامل بخصوصيته مع تلك التقاليد، مانحة إياها هوية جديدة "

وإذا ما ذكرت " الهوية" بعامة اقترنت بها الهوية الثقافية بخاصة لتلازمها الشديدين ، ارتباط التابع بالمتبوع ، ومن شم فهى تعنى التفرد الثقافى بكل ما يتضمنه معنى الثقافة من عادات وأنهاط سلوك ، ومشل وقيم ، ونظرة إلى الكون والحياة " والهوية الثقافية كيان يسمير ، يتطور وليست معطى حاجزا ونهائيا ، وهى تسمير وتتطور ، إما في اتجاه الانكهاش ، وإما في اتجاه الانتشار ، وهى ترداد شراء بتجارب أهلها ومعاناتهم بانتصاراتهم وتطلعاتهم ، وأيضا باحتكاكها سلبا وإيجابا مع الهويات الثقافية الأخرى التي تدخل معها في تغاير من نوع ما .

 ⁽١) أحمد مجدى حجازى : العولمة وعهميش الثقافة الوطنية (الكويست ، المجلس الموطني
للثقافة والفنون والآداب، عالم الفكر، المجلد (٢٨) العدد الثاني ، ديسمبر ١٩٩٩.

⁽٣) بدون كاتب : وعي الهوية العربية منظور تاريخي ، مناح في:

Arab renewal, Com/ index. Php? Rd? Rd; Al & Alo

 ⁽٣) جلال أمين : العولمة والهوية الثقافية ، والمجتمع التكنولوجي الحديث (مجلمة المستقبل العربي ، العدد (٢٣٤/ ٨) ، ١٩٩٨)، ص ٦٦.

وعلى العموم تتحرك الهوية الثقافية على ثلاث دوائر متداخلة ذات مركز واحد: فالفرد داخل الجهاعة الواحدة، قبيله كانت أو طائفة أو جماعة مدنية (حزبا أو نقابة...الخ) هو عبارة عن هوية متميزة ومستقلة ،عبارة عن "أنا" لها "آخر" داخل الجهاعة نفسها: "أنا" لمن تضع نفسها في مركز الدائرة عندما تكون في مواجهة مع هذا النوع من الآخر. والجهاعات داخل الأمة هي كالأفراد داخل الجهاعة لكل منها ما يميزها داخل الهوية الثقافية المشتركة. والشيء نفسه يقال بالنسبة إلى الأمة الواحدة إزاء الأمم الأخرى، غير أنها أكثر تجريدا وأوسع نظاقا وأكثر قابلية للتعدد والتنوع والاختلاف.

هناك إذن ثلاثة مستويات في الهوية الثقافية ، لشعب من الشعوب : الهوية الفردية ، والهوية الجمعوية، والهوية الوطنية أو (القومية) "

والعلاقة بين هذه المستويات ليست قارة ولا ثابتة ، بل هي في مد وجذر دائمين ، تتحدد بنوع "الآخر" بموقعه وطموحاته : فإذا كان داخليا ، ويقع في دائرة الجهاعة ، فالهوية الفردية هي التي تفرض نفسها "كأنا" وإن كان يقع في دائرة الأمة فالهوية الجمعوية القبلية الطائفية ، الحزبية .. المخ) هي التي تحل في دائرة الأنا" الفردي ، أما إذا كان الآخر خارجيا ، أي يقع خارج الأمة والدولة والوطن ، فإن الهوية الوطنية - القومية - هي التي تملأ مجال "الأنا""

ولا تكتمل الهوية الثقافية ، ولا تبرز خصوصيتها ، ولا تغدو هوية ممتلئة قادرة على نشدان العالمية ، على الأخذ والعطاء إلا إذا تجسدت مرجعيها في

 ⁽١) محمد عابد الجابرى: العولمة والهوية الثقافية ، تقييم نقدى لمهارسات العولمة في المجال
 الثقافي (بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، أبحاث ومناقشات الندوة الفكرية
 " العرب والعولمة " ، الطبعة الثالثة ، ٢٠٠٠) ص ٢٩٨.

⁽٢) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٩٩.

كيان مشخص تنطابق فيه ثلاثة عناصر: الوطن والأمة والدولة. الوطن: بوصفه الجغرافيا والتاريخ، وقد أصبحا كيانا روحيا واحدا يعمر قلب كل مواطن، الجغرافيا وقد أصبحت معطى تاريخا والتباريخ وقد صار موقعا جغرافيا . الأمة: بوصفها النسب الروحي الذي تنسجه الثقافة المشتركة وقوامها ذاكرة تاريخية ، وطموحات تعبر عنها الإرادة الجاعية التي يصنعها حب الوطن. الدولة: بوصفها التجسيد القانوني لوحدة الوطن والأمة، والجهاز الساهر على سلامتها، وتمثليها إزاء الدول الأخرى في زمن السلم كا في زمن الحرب"

ولهوية الأمة حدود تنشأ وفقا لظروف تاريخية معينة ، وهذه الحدود لا هى أزلية ، كما يزعم البعض ، ولا هى ظرفية متغيرة بسرعة ، إنها هوية نسبية تاريخية لا ثابتة أو جامدة ، هى خلاصة تاريخ خاص من التجارب الثقافية والحضارية لأمة من الأمم ، وهى بهذا المعنى أصر قابل للتعديل ، للتكيف والتفاعل مع الهويات الأخرى بشرط أن يتم ذلك باختيار واع ضمن معادلة متكافئة ، ولحاجة تقرضها الضرورة القومية ، وتقرها الإرادة الجماعية لكل أفراد الأمة في ظروف موضوعية "

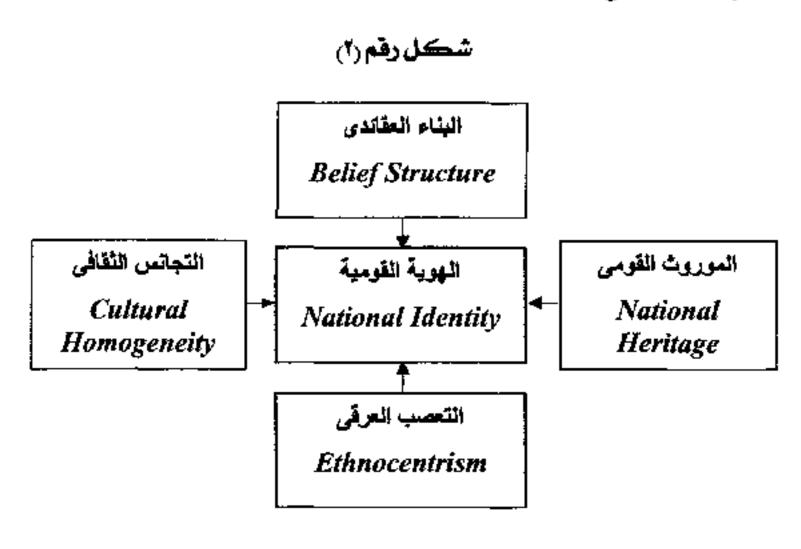
إن العامل الأساسى فى تحديد هوية أمة من الأمهم هو خليفتها الثقافية والتاريخية ، وأيضا صراعاتها الراهنة ، والتحديات الخارجية المفروضة عليها والتجارب المختلفة . والأوضاع الخاصة التى تمر بها الأمة هى التى تسصقل وتصهر هوية أفرادها ، ويشتركون كلهم فى وضع تلك الهوية الجاعية ، ويتعودون عليها بمرور الزمن فتصبح فى نظرهم أصلية كلها تقادمت وكأنها

⁽١) المرجع السابق نفسه ، ص299.

 ⁽۲) تديم البيطار : حدود الهوية القومية، نقد عام (بـيروت ، دار الوحـدة ، ۱۹۸۲)
 ص۷۲ .

طبيعية ، وجزء من النظام الطبيعي نفسه ، بالرغم من ثبوت الطبيعة ، وتغيير المعطيات الثقافية، والمراحل التاريخية "

وفي هذا السياق يؤكد الباحثان "بروس كيلور" و"توماس هالست" على أن هوية الأمة أو الهوية القومية National Identity تقوم على فكرة أن هناك عددا محددا من العناصر المتميزة التي تميز كل ثقافة عن غيرها من الثقافات، وتساعد على استمرارها، وعلى هذا يعرف الباحثان الهوية القومية بأنها مجموعة المعانى والمفاهيم التي تمتلكها ثقافة معينة، وتميزها عن غيرها من الثقافات. وقد أشار الباحثان كيلور وهالت إلى المكونات الأساسية للهويسة القومية في الشكل التالى:



⁽۱) محيى الدين صابر : الإبداع والهوية والتوجيه (القاهرة ، دار الفكر العربى، ١٩٩٥) ص ١٦.

⁽²⁾ Keiller. Bruce D.M. Hult. G. Tomas. 1999. "A Five country study of National Identity" in: international marketing Review: Vol.16, No.1. p 65-84 (Emerald).

ويتمبز هذا الإطار بأنه يحاول أن يتجاوز تعريف الهوية القومية اعتمادا على الخصائص السلوكية والشخصية فحسب، حيث يهتم بعوامل أخرى دون أن يهمل ويغفل أهمية وتأثير هذين العاملين.

ويعرف مكون البناء العقائدى Belief Structure على أنه الدور اللذى يلعبه الدين والمعتقدات القومية في تيسير المشاركة الثقافية والتضامن بين أبناء الثقافة الواحدة، ويوفر هذا المكون الأدوات التي تساعد على حل النزعات، وتقليل التوترات بين أبناء الثقافة الواحدة.

أما مكونات الموروث الثقافي أو القومي Cultural or National Heritage فإنه يعرف في ضوء أهمية الشخصيات ، والأحداث التاريخية فهمو يعكس إحساس أبناء الثقافة الواحدة بمدى تميز تاريخهم .

ويعرف مكون التجانس الثقافي Cultural Homogeneity، على أنه عدد الثقافات الفرعية داخل الحدود القومية ، التي يمكن في حالة عدم تجانسها أن تقلل من قوة الترابط داخل الهوية القومية الواحدة، كما هو الحال في الثقافات الفرعية العديدة داخل الولايات المتحدة الأمريكية.

والمكون الأخير للهوية القومية هو التعبصب العرقى Ethnocentrism وهو ميل الأفراد أو المجتمعات لأجراء تقسيات ثقافية مستخدمين مفاهيم الثقافة الحاصة باعتبارها الأساس في هذه التقسيات"

 ⁽١) ثريا أحمد البدوى: علاقة المضمون الإعلامى بالهوية القومية للشباب المصرى
 الجامعى، أبحاث المؤتمر العلمى السنوى العاشر لكلية الإعلام، مرجع سابق، ص
 ص ٧٧ه، ٥٦٨.

وبعيدا عن المعنى اللغوى لكلمة الهوية ، عن كم التعريفات الهائل الذي صاحب أزمة الهوية ، هناك مجموعة من الثوابت التي اتفق عليها منها .

أولا: إن الهوية نمط معيشي متكاسل يتفاعل مع المتغيرات المحيطة به وقد يتغير لكنه لا يتلاشى .

ثانيا: للإعلام دور إيجابي في تدعيم الهويات ، وله أيضا آثار قد تتعارض ومفهوم الهوية بها يعنيه من تفرد وتميز .

ثالثا: الحفاظ على الهوية لا يعنى الانطواء على الذات، وإنها يعنى المزيد من التفاعل المتكافئ منع الثقافات الأخرى بنها يفيد الهوية ويدعمها.

رابعا: إن رسم حدود الهوية على المصعيد الواقع أمر ربها لا يكون منطقيا فهي مفهوم أيديولوجي أكثر منه علمي .

الهوية بين ثبات ومتغير ..

فى البدايسة نتفسق ، على أن الهويسة ليسست بالسمىء الجامسد، فهسى نتساج حركسة وتعاقسب ، تتجسد كسا تتجسد اللغسة والمواريسث ، ومن ثسم فإن احتمالات تأثرها بالمسطامين العابرة للقوميسات أمر حتمسى ، وهنذا ما يجعل مسؤال الهويسة يفرض نفسمه وبقوة فى مواجهة التحولات المتسارعة التى يعيشها العالم .

إن المؤشرات تؤكد على أن مسألة الهوية باتت ذات أهمية خاصة في إطار العولمة ، وتفاقم التأثيرات الخارجية "خاصة في الوقت الراهن حيث التنافس بين الفضائيات العالمية التي تبث عبر الأقهار الصناعية للجهاهير المختلفة في كل بقاع العالم بمختلف لغاتهم إنتاجا إعلاميا من إفرازات ثقافات متعددة جعلت الغلبة فيها للأقوى في الإبداع والإنتاج والنشر والتوزيع، إنه إصلام العولمة بكل تحدياته التي تفرضها على شعوب العالم.

وإذا كانت الدراسات العلمية الموضوعية تحاول التركيز على تاريخية ونسبية الهوية وعدم الإقرار بثابتها عما يعنى في سياقنا الحالى عدم التعامل بنظرية القطبية والمواجهة بين العولمة والهوية ، أو أنها يسبران في خطين متوازيين مع احتالات المصدام والصراع عند حدوث التلاقي أو التقاطع فإن نسبية الهوية تجعلها مرنة قد تتعايش أو تقتبس من ثقافات أخرى ، بل قد تساعدها عوامل التقارب، وسقوط الحواجز على تفاعل إيجابي وخلاق مع العولمة. وهنا يبدو الخطر الحقيقي عند البعض : أن تنهار الهوية أمام غزو ثقافة العولمة .

إن أكثر الهوبات محافظة ، وتدينا وأصالة لا تستطيع إلا أن تخفي للدرجات معينة من العولمة ، والعلمنة ، والتحديث ، ففي عالم اليوم لا توجد مناطق معزولة ، أو نائية ، وبعيدة عن تأثيرات " الغريب " الآتية من خارج هذه الثقافة لذلك قد بكون السؤال ليس كيف نقاوم العولمة ، ونحمى أنفسنا

 ⁽۱) عبد القادر بن شيخ ، منى الحديدى وآخرون : البرامج الثقافية والتربوية ومسألة الهوية (تونس ، اتحاد إذاعات الدول العربية ، سلسلة دراسات إذاعية العدد (٤٣) ،
 ۱۹۹۰) ص ٧.

منها ؟ ولكن كيف نعيش عالمنا الراهن بواقعيـــة ، ودون تناقـضات وتــأزم ، وبلا إحساس بعقدة نقص أو خوف ؟ **

إن الهوية متغيرة بالسضرورة، ولكنها في الوقيت ذاته تتمييز بثبات معين مثل الشخص الواحد، يولد، ويشب، ويشيخ، وتتغير ملاعه، وتصرفاته وأحيانا ذوقه، ولكنه يبقى في النهاية هو نفس الشخص، وليس شخصا آخر غير أنه يتحكم التمييز بين عناصر الهوية القابلة للتغيير والأخرى غير القابلة لذلك والعناصر الثابتة في الهوية هى: العقيدة والتوحيد ودون ذلك يعدمن الكسب الإنساني، والاجتهاد البشرى القابل للتجدد والتغيير. "ومن الأخطاء الشائعة التعامل مع البنية الثابتة، "فالهوية" ليست واقعا مجتمعياً ناجزا إنها هى قيم الأمة الجوهرية التي يتجدد فهمها بفعل الإنسان وفهمه وإدراكه وديناميته، وقدرته على تحدى مشكلات عصره، فالإنسان هو الذي يحدد دور الموية إلى الموية إلى عنه، وإنها يجعله يفسر قيمها تفسيرا تبريريا في حين أن الإنسان بديل عنه، وإنها يجعله يفسر قيمها تفسيرا تبريريا في حين أن الإنسان الفاعل، والديناميكي سيحول هويته إلى مصدر ثراء وفعل حضاري"

Mike Featherstone 1997. Undoing culture- Globalization Postmodernism and Identity. London, sage Publication, p.6

^{(2) &}lt;u>www.Arab</u> renewal/. Com/ index. Php? Rd: Al \$ a 10 = 450.

⁽٣) محمد محفوظ: الهوية وأسئلة الراهن، مناح في الموقع السابق، نقلا عن: عبد الرحمن محمد الشامي: الإنترنت والهوية العربية، الفرص والمخاطر دراسة تحليلية، أبحاث المؤتمر العلمي السنوى العاشر لكلية الإعلام، جامعة القاهرة ،مرجع سابق، ص.

إن الهوية يمكن أن تكون مركبة مفتوحة ومرئية ، وقابلة لإعادة التشكيل، وهي مرهونة بقوة المجتمع على تأمين الإشباع الضروري للحاجات الثقافية والجالية والروحية لأفراده ، وإعادة صياغتها بها يتوافق مع المهام المطروحة ، ويستجيب للحاجات المتجددة "

ومن هنا فإن رسم حدود الهوية والخصوصية أمر صعب على صعيد الواقع ، لذلك يرى البعض أن الهوية والخصوصية هى مفهوم أيديولوجى أكثر منه علمى ، وبخاصة وأن الهوية يمكن التعبير عنها أو تجسيدها من خلال سيات كثيرة ومختلفة فقد يعبر عنها من خلال السيان واللغة ، أو اللولة : " الوطنية " أو " القومية " وكل هذه الخصائص متغيرة حسب طريقة استخدامها وتوظيفها لذلك يمكن المجتمع واحد أن يبدل هويته حسب المراحل التاريخية والظروف الحاكمة" وبينها يرى بعض الباحثين أن الهوية أصلا مصطلح سياسى ولحد ضمن عملية صراع سياسية . ترى دراسات العلوم الاجتماعية الحديثة أن العبرق (اللون ، أو الانتساب إلى أحد الأجناس البشرية) والثقافة والدين ، والأرض هي العوامل الرئيسية التي تحدد هوية الشعوب "

⁽۱) كبريم أبو حبلاوة: الآشار الثقافية للعولمة ، حظوظ الخبصوصيات الثقافية في بنساء عولمة بديلة (الكويست، المجلس البوطني للثقافية والفنون والأدب ، عبالم الفرك المجلد (٢٩) العدد (٢) ٢٠٠٠) ص ١٨٧.

 ⁽٢) حيدر إبراهيم : العولمة وجدل الهويسة الثقافية (الكويست ، المجلس الموطني للثقافة والفنون والآداب ، عالم الفكر المجلد (٢٨) ، العدد الثاني ، ١٩٩) ص ١٠٣.

⁽٣) محمود النزواوى : في محمددات الحويسة ، (مجلسة المستقبل العربسي ، العسدد ٢١٧/ ٣، ١٩٩٧) ص. ٣١.

ماهية الهوية العربية..

تعددت تعريفات الهوية ، إلا أن معظمها يؤكد على أنها تعنى فهم الفرد لذاته من خلال علاقاته بالآخرين ، وهذا يؤكد على أن الهوية لا تتوقف على الجانبين الشخصى والنفسى ، ولكنها تتعدى ذلك إلى الجوانب الاجتماعية ، فمن خلال تفاعل الشخص ومشاركته في أسس مؤسسة فإنه ينسب نفسه إلى هوية بعينها .

والهوية هي أقرب إلى مصدر أساسي يعتمد عليه الأفراد فيها يقدمونه من معاني للأشياء ، والأحداث حيث يبنى معنى الشيء أو الحدث وفقا لعدد من السيات والحنصائص الثقافية المرتبطة به . ويحدث أن تتعدد الهويسات للفرد الواحد نتيجة لمناخ اجتهاعي وثقافي معين وهذا قد يمثل ضغطا على الفرد فنراه في كثير من الأحيان يعبر عن ذاته بطرق مختلفة قد تسصل إلى حد النساين في سلوكه.

ويمكن تعريف الهوية "Identity" على أنها المشاركة في عناصر أساسية تحدد شخصية وتوجيهات الأفراد من حيث احتياجاتهم، واهتهاماتهم، وأهدافهم المشتركة. وهنا لابد أن نضع في الاعتبار أهمية الاختلافات بين أفراد الهوية الواحدة وإذا كان بناء الهوية العربية يأخذ في الاعتبار كل نقاط التوافق، وأيضا جوانب الخلاف، فان الهوية العربية تتشكل من خلال العديد من العناصر المشتركة مثل، الثقافة واللغة، والعناصر الجغرافية، والخلفية التاريخية، كها تضم أيضا بعض الاختلافات مثل التاريخ مع الاستعار، والقبلية والاختلافات الدينية. ويعنى ذلك أن العرب كمجموعة دول يمكن أن ينتموا إلى بعضهم البعض ليشكلوا الهوية العربية في ظل وجود عناصر التشابه والاختلاف بينهم، ومن العناصر المشتركة التي تشكل الهوية العربية،

اللغة ، والثقافة ، والدين ، والخبرات الاجتماعية والسياسية والاهتمامات الاقتصادية والمكانة الناريخية ···

إن الوقوف على ماهية الهوية العربية يعنى مجموعة من الثوابت التي تشترك فيها الدول العربية ، وبعض الاختلافات منها الخصوصية التي تميز كل دولة على حدة ، وعلى سبيل المثال التاريخ مع الاستعمار والقبلية .

وعند الاقتراب من الهوية العربية ، وتحديدها ينبغى التأكيد على بعيض الحقائق ومنها :

أولا: النظر إلى الهوية على أنها حالة دائمة من التطور والتكوين والتحول فهى كينونة مستمرة شكلا ومضمونا .

ثانياً: قبول أهمية تعدد الهويات ضمن الهويسة العامسة المستركة بسما يغنى التجربة ويثريها .

وهنا أشير إلى بعض وجهات النظر التي ترى أن الهوية العربية تستعمى على التعريف ، وكذلك كونها لم تصل بعد إلى مرحلة الاكتبال والنضج ، ويرجع ذلك إلى جملة عوامل منها:

- ١ حالة العجز الذي يعيشها العرب فيها تعلق ببناء منظومة اجتهاعية تراعى
 حقوق الإنسان ، وتتخذ من العدل قاعدة انطلاق لها .
- ٢- الاستبداد السياسي بكل أشكاله وألوانه الذي يغلف معظم الأنظمة
 الحاكمة في المنطقة العربية.

Barakat, Halim (1993) Arab world society. (culture and state. Berkley University of California press. Pp 32-34.

- ٣- غياب فكرة العمل العربى المشترك رغم حتمية هذه الفكرة في وقت يتجه فكر العالم الغربي نحو التكتل والوحدة.
- ٤ ما نعيشه من تبعية كاملة للغرب، تبعية تكاد تحجب عنا خطر تلاشى
 هويتنا بها تعنيه من ركائز أساسية للشخصية العربية .

ثالثا: لعل ما يميز الهوية العربية هو كونها تتخطى حدود الدولة القطرية لتشمل العالم العربى كله وأنها تتشكل بعواصل مشتركة هي اللغة والدين والتقاليد، ولعل اللغة غيل أهمية خاصة لوسائل الإعلام بالقدر الذي تشكل فيه رموز الهوية العربية، وقد أدى توحد العالم العربي في الحرب ضد الاستعار والتطلع إلى الاستقلال في النصف الثاني من القرن العشرين إلى إثراء الهوية العربية وكان وجود إسرائيسل سببا لتدعيم الهوية العربية — في مراحل معينة – باعتبار أنها تمثل تهديدا مباشر لهذه القومية (١)

رابعا: هناك من يؤكد على أن الهوية العربية الآن هي أبعد ما تكون عن التعريف الدقيق معاييرها قد اختلفت، والدليل أن جيبوتي والصومال تتمتعان الآن بالعضوية الكاملة لجامعة الدول العربية. ويعزى البعض فشل وضع تعريف للهوية العربية إلى التركيز على أسئلة مثل: من نحن ١٤ بدلا من ماذا سنفعل ؟

وفى هذا الإطار يحاول كثير من الباحثين إيجاد تعريف للعرب وللهوية العربية فيرى الجابرى أن الفرد يكون عربيا عندما يشعر بالألم عند تعرض شعب أو فرد عربى لعدوان أجنبى، هذا الشعور الذى يهيمن فى وقت الأزمات لا يتناقض مع النزوع نحو الوحدة العربية أو ما يعرف " بهوية

⁽¹⁾ Lynch .M. (2002) "Jordan's Identity and interests" in telhami, sh & M. Barnett (eds) op. cit.

العرب " ويعد هذا النزوع التعبير الإيجابي عن ذلك الشعور خارج أوقات الأزمات " فالعرب" هوية تتشكل وتصير . لذلك فأن يكون الفرد عربيا ، ليس مغربيا أو مصريا أو سعوديا النح هو أي كون عروبيا ، أى نزوصا نحو تعزيز الوحدة الثقافية العربية القائمة بوحدة اقتصادية ، ونوعا من الوحدة السياسية . وقد ارتبطت الهوية العربية بمشر وعات تاريخية مختلفة خلال القرن الماضي ، فالعروبة (Arabism) كان لها معان مختلفة لحدى فاعلين مختلفين في أوقات مختلفة ، وكان هناك جدل واسع في العالم العربي على معنى العروبة " الهوية العربية ، أبعادها وعوامل تشكيلها ..

" الهوية " من المصطلحات قليلة النضبط ، يسميها البعض الذاتية ، والبعض الآخر الذاتية الثقافية وقد عرفت اليونسكو الذاتية الثقافية بأنها ليست تراثا جامدا ، ولا مجموعة من التقاليد ، بل هي دينامية داخلية ، عملية إبداع مستمر للمجتمع بموارده الذاتية ، تغذيها التنوعات الداخلية القائمة بصورة واعية ومقصودة ، وتقبل الإسهامات الآتية من الخارج باستيعابها عند الحاجة، وهي الشرط الأساسي في تقدم الإفراد والجهاعات والأمم لأنها تحرك

وتشمل الهوية العربية على ثلاثة أبعاد: يتعلق الأول بالبعد السياسي الذي يعبر عن إمكانية العمل العربي المشترك، وتفعيل الحراك الجهاعي للدول العربية. والثاني يتعلق بالبعد الجمعي المدى يتبضمن المشعور العمام على مستوى الجماعات، والشعوب العربية بالمرجعية الموحدة. وأخيرا البعد الفردي المذى

الإرادة الجهاعية ، وتشكل أساسها ، وهي تحفز على تعبئة الموارد الداخلية مـن

أجل العمل، وهي التي تجعل من التغيير اللازم تواءما خلاقا .

 ⁽١) خيرت معوض محمد عياد : الهوية العربية كمتغير في معالجة الصحافة العربية للفنزو
 الأنجلو أمريكي للعراق ، أبحاث المؤتمر السنوي العاشر ، مرجع سابق ، ص ٢٥٩.

ينصب على الفرد في علاقته الإنتهائية لمرجعية عضوية ومعنوية بعينها هي الهوية العربية ···

تحديات الهويت..

إذا كان التنافس يشتد الآن بين الأطراف الدولية ، في ظل التطور التكنولوجي الهائل الذي وفرته الأقهار السصناعية في عسر السهاوات المفتوحة فإن محاولات الاستحواذ على شعوب المنطقة العربية تتزايد ، خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ، وبعد الاتهامات المتبادلة بين الشرق والغرب حيث اتهم الغرب الشرق العربي و الإسلامي بتزايد الكراهية نحو الغرب واتهم الشرق العربي والإسلامي الغرب بتشويه صورة العرب والمسلمين "

لقد تسابقت العديد من الدول في إطلاق موجة من القنوات الفضائية الناطقة بالعربية للترويج لسياساتها ومصالحها في المنطقة العربية ، ومن أمثلتها القناة الفضائية الإسرائيلية الناطقة بالعربية ، وقناة أمريكية ناطقة بالعربية أيضا هي " الحرة " ، وأصبحت القنوات الفضائية الناطقة بالعربية محبورا لاهتهام عدد كبير من الدول التي ترصد لها ميزانيات هائلة ، وتستخدم إمكانياتها البشرية والتقنية لجذب عيون وآذان المشاهدين العرب" والاشك أن

 ⁽١) خالد صلاح الدين: اتجاهات النخبة المصرية نعو إدارة القنوات التليفزيونية
الأخبارية للأزمات العربية في إطار مدخل إدارة المصراح، أبحاث المؤتمر العلمى
السنوى العاشر، لكلية الإعلام، مرجع سابق ص ٩٧٣.

 ⁽۲) " في الشرق الأوسط" ، أفواه تتكلم وآذان مسدودة ، مقال نــشر في صــحيفة الأهــرام
 القاهرية بتاريخ ٣/ ٩/ ٢٠٠٢ ، ص ٦ .

⁽٣) هية أمين شاهين: المعالجة الإخبارية للقضايا العربية في القناة الفيضائية الإسرائيلية الموجهة باللغة العربية، دراسة تحليلية، أبحاث المؤتمر العلمي السنوى العاشر، كلية الإعلام، مرجع سابق، ص ٧٣٢.

مثل هذا الغزو الفضائي يعد تهديدا لهوية الشعوب ويجعل من كيفية الحفاظ عليها أمرا صعباً وشائكاً.

لقد وضعت أكثر الدول عراقة احتياطات خاصة للحفاظ على هويتها حين وافقت تلك البلدان على اتفاقية منظمة التجارة العالمية "الجات" لكنها ترددت كثيرا أمام البند المتعلق بالثقافة والإعلام، وأرجأت الموافقة عليه إلى أجل، لأن كل دولة تخشى من فقدان هويتها الثقافية أمام قبوة التأثيرات: الثقافية والإعلامية الأجنبية "

لقد تنامى إحساس لدى المجتمعات بالخطر على الوجود الذاتى لأفرادها ويكفى أن نعوف أن الرئيس الفرنسى " شيراك " رفض طلبا " لماكدونالدز " في إقامة مطعم في برج "إيفل" لأن هذا البرج علامة من علامات الهويسة الفرنسية ، ويجب أن يظل فضاؤه منفردا بنمط المعيشة الفرنسي "

ومعنى هذا أن الخوف على الهوية لم يعد قساصرا عسلى دول بعينهسا ، وإنسها أصبح هاجسا يؤرق مفكرى أعرق الدول

وهذا الفكر أخذ يولى الثقافة اهتهاما يتعاظم تدريجيا حتى أصبحت من أهم العوامل التي تساهم في فهم حالة التغير الحضاري التي يعيشها العالم اليوم

 ⁽١) سامى محمد ربيع الشريف : القنوات الفضائية العربية ، والحضاظ على الهوية ورقة
بحث مقدمة إلى ندوة " الإعلام الدولى وقبضايا العالم الإسلامي (القاهرة ، رابطة
العالم الإسلامي ، ٢٨ ، ٢٩ : ١٩٩٨) ص ص ٢ ، ٣.

 ⁽۲) أحمد فتحى سرور: كلمة في افتتاح المؤتمر العلمي السنوى العاشر، كلية الإعلام جامعة القاهرة، مرجع سابق، ص٧.

وتفسيرها، فالثقافة تعتبر المكون الأساسسي لوجـدان أي مجتمـع وهـي ورح حضارته لكونها تعبر عن العمق التاريخي المتراكم والمترسب في المجتمع^{،،}

إن مشكلة الهوية أصبحت من الموضوعات الثقافية ، وقبضايا الفكر السياسي والاجتهاعي التي يحتدم النقاش حولها ، وتشغل الدوائر العلمية ، نظرا لصراع الهويات الناتج عن هذا الكم من الرسائل الإعلامية المعبرة عن هويات مختلفة ، وربها متباينة في عصر السهاء المفتوحة

وفى مشل هذه الأجواء تسعى المجتمعات إلى الحفاظ على ذاتيتها وأصالتها وتقاليدها ، والسؤال الذى نطرحه الآن هل تنجع مثل هذه المساعى في وقت توضع فيه الخصوصية في مواجهة غير متكافئة مع العالمية ، والمحلية مع الكونية ، والتقليدية مع الحداثة .. "الأنا" في مواجهة "الأخر" والأنا في هذا السياق هو الذي يدافع عن الهوية والخصوصية والمحلية والتقليدية أما الآخر فهو الذي يتحد مع العولمة والعالمية والمعاصرة والكونية والحداثة بعيداً عن ذاتيته.

وعلى الرغم من طرح موضوع الهوية منذ أواخر القرن التاسع عشر وأخذ مداه الكامل خلال حقبتى: الأربعينات والخمسينيات من القرن العشرين وظهور مشكلة الهوية في أجلى معانيها بالخلاف بين دوائرها المختلفة القطرية والقومية والإسلامية والعالمية غير أن أزمة الهوية العربية ما نزال قائمة حتى الآن بالرغم من الوضوح الشديد الذي تتسم به ، والسبب في ذلك يرجع إلى جملة العوامل التي ذكرها الباحث من قبل.

 ⁽١) جيهان سليم: عولمة الثقافة، واستراتيجيات التعاصل معها في ظلل العولمة (القاهرة،
 بجلة المستقبل العربي، العدد ٢٩٣/٧، ٢٠٠٣) ص ١١٨.

ويمكن تقسيم التحديات التي تواجه الهوية العربية إلى تحديات داخلية ، وأخرى خارجية.

أولا: التحديات الخارجية :

تعد " العولمة " التي ظهرت بقوة على الساحة خلال العقد الأخير من القرن الفائت أبرز تحد يواجه الهوية العربية وأصعب اختبار لمدى تأصل هذه الهويسة في الكيسان العسربي وقسدرتها علسى السصمود ومقاوسة السلوبان والاضمحلال ، حتى ليمكن القول إن الهوية العربية بحتى تقف الآن عند مفترق الطرق.

لقد ارتبط سؤال الهوية بعملية العولمة باعتبارها القيضية المحورية التى تعبر عن مدى التحدى الحيضارى الحقيقي المذى يشهده العالم " العربي والإسلامي مع نهاية الألفية الثانية ، يكاد يكون سؤال الهوية الهاجس الوحيد الثابت في أي معالجة لصيرورة العولمة ، وبخاصة وأن البعض يراها وكأنها مخطط محكم ، واستراتيجية محددة تم تخطيطها وتنفيذها بـوعى وقصد بها اجتياح بقية العالم وتهديد الثقافات المحلية والقومية والأخرى "

إن الزيادة المطردة في البث الفضائي الغربي الموجه للمنطقة العربية قلد يهدد بنوع من الذوبان الثقافي ، وغياب أهم ملامح الهوية العربية .

ثانيا: التحديات الداخلية وتتمثل في غياب دور الأسرة:

وتعدد أنظمة التعليم ، واختلاف فلسفتها ، بالإضافة إلى البعد عن العربية اللغة الأم ، واستبدالها في كثير من المواقع بالإنجليزية . هذا إلى جانب

⁽١) حيدر إبراهيم : العولمة وجدل الهوية الثقافية ، مرجع سابق ، ص ١٠١.

شيوع اللهجات الدارجة بها فيها من تعبيرات تعكس مدى انحدار المستوى اللغوى في المنطقة العربية.

إن الهوية العربية تمر حاليا بفترة عصيبة نتيجة لتوارد متغيرات عدة مرت عليها وعلى الرغم من أن لبعض هذه المتغيرات جذور سابقة إلا أن وطأتها قد زادت حدة في الآونة الأخيرة نظرا لبروز معطيبات عديسة على الساحتين: الدولة ، والإقليمية ، أوصلتها إلى ما يمكن تسميته بمرحلة الاتحسار المهدد – لا قدر الله – للانكسار"

وعلى الصعيد الدولى تمثل العولمة أبرز التحديات التي تواجه الهوية العربية أما على الصعيد الإقليمي فقد تعالت في الآونة الأخيرة أصوات متنائرة هناك، تنادى بضرورة الانسلاخ عن الهوية العربية الأم التي احتوت المجتمع، الإسلامي كسياق ثقافي جامع على مدى قرون عدة واستبدالها بهويات أخرى غير العربية "

إن الهوية لابد وأن تعانى من التوجهات السياسية والاقتصادية للعولمة التى تهدف إلى تشكيل العالم وقولبته وفقا لمنمط قيمى موحد World as a التى تهدف إلى تشكيل العالم ويسبطر عليه ، فالتعرض لاختراق البرامج التلفزيونية الأجنبية في كثير في بلدان العالم يعنى أن هناك أخطارا ثقافية على المجتمعات المحلية قد تلقى بظلالها على الثقافات والهويات القومية من خلال تعرض مواطنيها لثقافات وقيم أجنبية، ووجهات نظر دول أخرى .

 ⁽١) عبد الرحمن محمد الشامي: الإنترنت والهوية العربية ، الفرص والمخاطر، مرجع سابق ، ص ٦٣٥ .

⁽٢) المرجع السابق نفسه ، ص ٦٣٦.

إن الإعلام الأجنبى قد يلعب أكثر من دور فيما يتعلق بإعادة تشكيل هوية المجتمعات المحلية ، فإما أن يساهم فى ضعف هذه الهوية من خلال فرض مضامينه وقيمه وتوجهاته وسياسته وثقافته على شعوب المجتمعات المحلية ، وأما أن يدعم الهوية ويقومها من خلال عودة المجتمعات المحلية إلى قيمها وتراثها وتاريخها ومعتقداتها كنوع من أنواع مقاومة التأثيرات السلبية التى يمكن أن تحدثها المواد الإعلامية الأجنبية ، ولا بد أن نشير إلى قدرة المجتمعات على الاستفادة من التفاعل مع المضامين الأجنبية مما يثرى هويتها المجتمعات على الاستفادة من التفاعل مع المضامين الأجنبية مما يثرى هويتها

وقد يتجاوز الأمر موقف المقاومة هذه ، وتتمكن المجتمعات المحلية من الاستفادة والتفاعل مع المضامين الأجنبية الوافدة بها يثرى هويتها .

إن ما يعيشه العالم الآن من طفرات تكنولوجية متلاحقة ، وضعت المجتمعات الإنسانية على حافة هاوية .. قيم متباينة بحملها بث وافد ، نهاذج سلوك يروج لها إعلام عالمي قد لا بحفل كثيرا بفكرة الخصوصية الثقافية ، وهذا قد يعنى ذوبان الهوية الإقليمية .

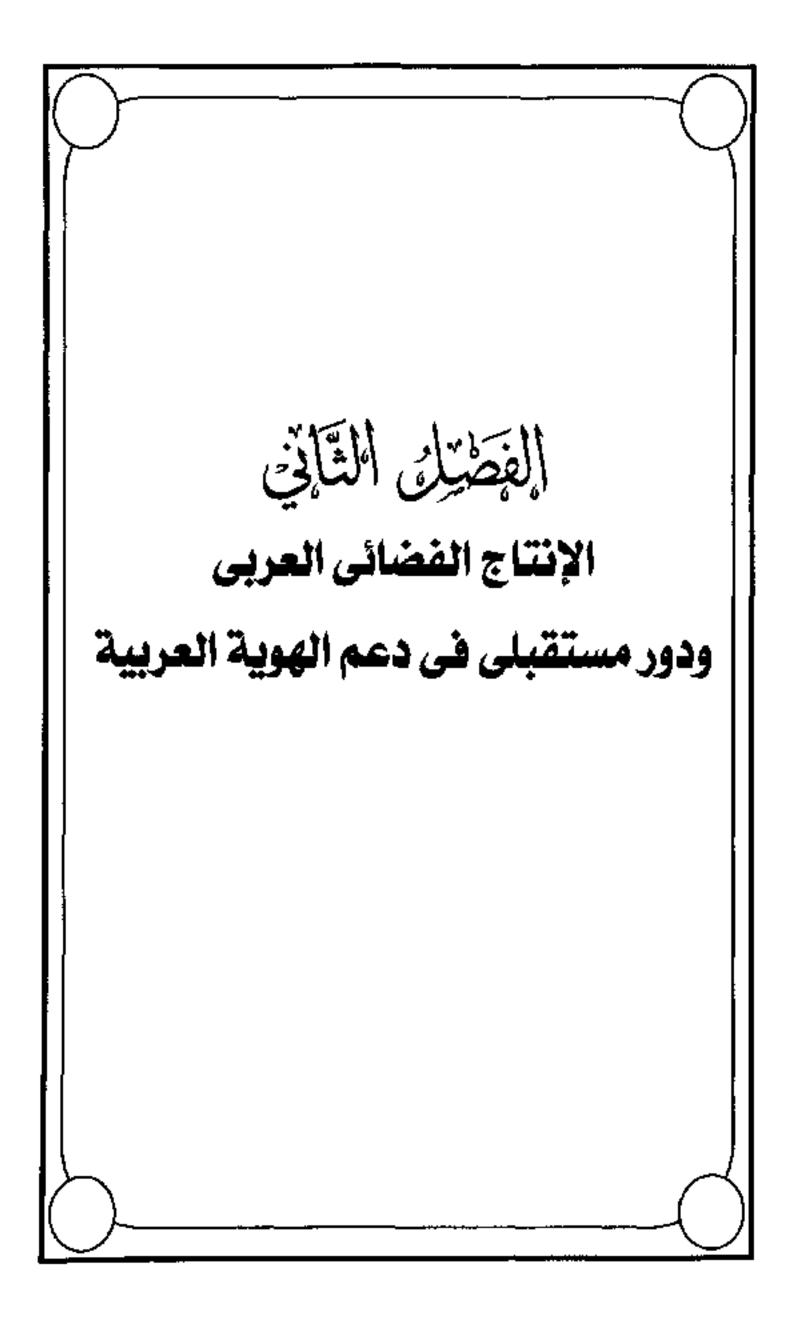
إن تأثر الهوية بالمضامين العابرة للقوميات، أمر حتمى، ويكفى العولمة بها تفرزه من إنتاج إعلامى يدعو إلى المزيد من الاندماج حاملا ثقافية استهلاكية، وإذا كانت الهوية والعولمة قد التقيا فهذا ليس معناه أن الصدام هو النتيجة الوحيدة لمثل هذا اللقاء، قنسبية الهوية، تجعلها مرنة بقدر يمكنها من التعايش بل ومن الاقتباس من الثقافات الأخرى، يساعدها على ذلك عوامل

 ⁽١) ثريا أحمد البدوى: علاقة المضمون الإعلامي الأمريكي بالهوية القومية للشباب
المصرى الجامعي، أبحاث المؤتمر العلمي السنوى العاشر، كلية الإعلام، جامعة
القاهرة، مرجع سابق ص ص ع ٥٤١، ٥٤٥.

التقارب، وسقوط الحواجز الجغرافية ،وعندئذ يحدث التفاعل الإيجابي الخلاق بين الهوية والعولمة .

وهنا لابد أن نؤكد على حقيقة لا تقبل الشك ألا وهي أن الهوية الثقافية تعرف المزيد من الثراء في ظل تجارب أهلها ومعاناتهم ، وأيـضا باحتكاكها سلبا وإيجابا مع الهويات الأخرى .

إن التحديات التي تواجه الهوية - في ظل التطور التكنولوجي الذي وفرته الأقهار الصناعية -كثيرة، وهذا ما يجعل الإحساس بخطر فقدان الهوية يتنامى بين المجتمعات لا فرق في ذلك بين مجتمع متقدم وأخر نامى . وفي مشل هذه الأجواء تسعى المجتمعات إلى الحفاظ على ذاتها، وأصالتها والسؤال الذي يطرحه الباحث .. هل تنجح مثل هذه المساهى في وقت توضع فيه الخصوصية في مواجهة غير متكافئة مع العولمة ؟



الفصل الثانى الإنتاج الفضائى العربى ودور مستقبلى فى دعم الهوية العربية

يشكل الإعلام المعاصر من خلال مؤسساته ووسائله المختلفة أحد المؤسسات الرئيسية في حملية التنشئة ببعدها الاجتهاعي والسياسي بحكم قدراته غير المحدودة في التأثير على الفرد معرفيا واتجاهيا وسلوكيا بل تجاوز دوره في تأثيره ومداه أدوار بعض المؤسسات الأخرى العاملة في مجال التنشئة مثل المدارس ودور العبادة ، والمؤسسات السياسية ، والنوادي ، والأسرة وذلك بحكم ما يتمتع به من جاذبية واستمرارية ، وإلحاح وتشويق في الوقت الذي ينتهى فيه دور بعض المؤسسات مثل المدرسة في مرحلة معينة ، ويعسوق عمل باقى المؤسسات العديد من الصعوبات لتبقى الساحة مفتوحة للإعلام لكى يؤثر "

وأخطر قضايا الإعلام المعاصر بالنسبة للوطن العربى يكمن في التأثير السلبى لمضمون الإعلام الأجنبى على هويته وخاصة في ظبل آليات العولمة القادرة على التأثير والتوغل في البنى الثقافية التقليدية. وهنا يمكن أن نؤكم على أن من يملك إعلاما قويا يمكن أن يؤثر على الأخر في قيمه وأخلاقياته وعاداته وتقاليده وصولا إلى هويته.

 ⁽۱) مفيد شهاب : كلمة في افتتاح المؤتمر العلمي السنوى العاشر لكلية الإعلام جامعة القاهرة ، مرجع سابق ، ص ۱۹.

والتأثير السلبي لمضمون الإعلام الأجنبي على الهوية العربية يمكن تتبعمه من خلال وظائف إعلام العولمة التي تتمثل في "

- ١- إحداث ثورة إدراكية ونفسية تستهدف إعادة تأهيل البشر للتكيف مع
 متطلبات العولمة وشروطها .
- ٢- اختراق منظومة القيم الثقافية لدول الجنسوب مس خسلال المسلسلات والأفلام وبوامج المتوعلمت الأمريكية، وتقديم المتموذج الأمريكي كغاية مثلى .
- ٣- استقطاب النخب المثقفة للترويج لفكرة العولمة ، وأيديولوجبتها عبر
 الحوارات التليفزيونية .
- ٤ توظيف وسائل الإعلام الدولية والمحلية كأحزمة ناقلة يستم من خلالها ترويج القيم الاجتماعية والثقافية الغربية مما يتسبب في إحداث بلبلة ، وإضراب شديد في منظومة القيم المميزة للثقافات المحلية .
- ترسيخ التدفق غير المتوازن للمعلومات ، والاتجاه الرأسي أحادي الجانب
 للإعلام من الشيال إلى الجنوب ومن الثقافة المسيطرة إلى الثقافة التابعة .

إن فرض المادة الإعلامية الأجنبية على اختلاف أشكالها وبها تملكه من عناصر جذب وتشويق، وما تحمله من قيم وسلوكيات وأفكار تتباين في كثير من الأحبان مع خصائص وطبيعة المواطن العربي يمكن أن تؤثر عبلى المدى البعيد في إحداث آثار سلبية على الهوية ومنظومة القيم الحاكمة والفاعلة في المنطقة العربية.

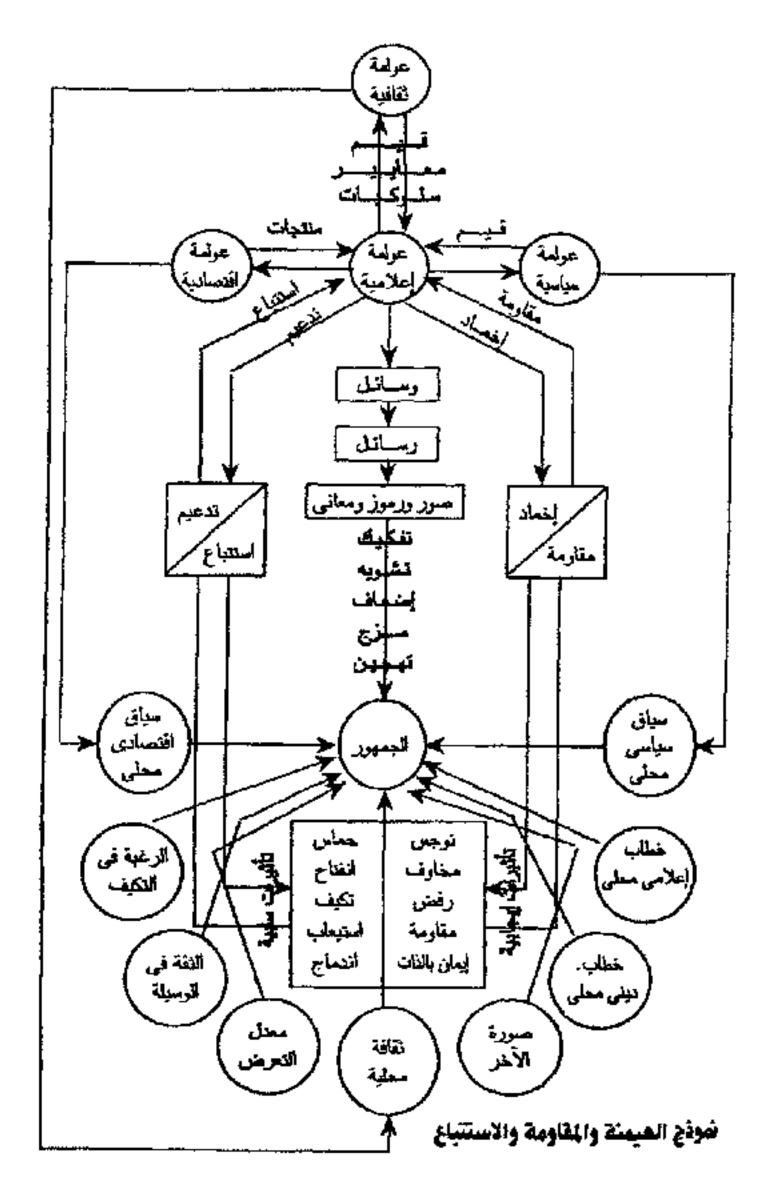
⁽۱) عواطف عبدالرحمن : الإعسلام العربس وقسضايا العولمة (القساهرة ، العربس للنسشر والتوزيع ، دراسات في الإحلام ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩) ص .ص ٤٠ ، ٤٥ .

إن العولة الأمريكية تقدم شكلا جديدا من الثقافة الجماهيرية العالمية من خلال الصورة التي تعبر حواجز اللغة في كل اتجاه وتسود هذه الثقافة من خلال كافة الوسائل التي دخل بها الفن البصرى والجرافيكي ، وتتسم بأنها شكل من أشكال التمثيل الثقافي بعمل على إضفاء طابع التجانس ، وله قدرة امتصاصية ضخمة للأشياء ، وإعادة تشكيلها في إطار التصور الأمريكي للعالم"

إن العولمة الإعلامية ، أحدثت وتحدث الآن عمليات إعادة تشكيل للثقافات بمعنى تهميش العلاقات الطبيعية والمنطقية بين الأرض والجغرافيا والاجتياع ، وذلك من خلال إطلاق إشارات ثقافية من مواقع ثابتة عبر بث واقد يفكك الأبراج الإنسانية والرموز ويمزق التراكيب الثقافية المتوارثة عما يسهم في تعميق أزمة الهوية .

ولعل مثل هذه الإشارات بصعب مقاومتها نظرا لما تتمتع بع من مقومات الإبهار والإثارة ويمكننا أن نقترح نموذجا جديدا يفسر علاقة الجمهور المحلى بالخطساب الإعلامي المعولم ، ويوضح طبيعة الاستجابات المترتبة على التفاعلات المتعلقة بالهيمنة والمقاومة والاستنباع.

⁽١) محمد سعد أحمد إبراهيم: خطاب العولة والهوية في وسائل الإعلام الأمريكي الموجهة بالعربية، وانعكاساته على استجابات الشباب، أبحاث المؤتمر العلمي السنوى العاشر لكلية الإعلام، مرجع سابق، ص ٣٧.



شکل رقم (۳)

يتضمن نموذج الهيمنة والمقاومة والاستتباع للخطاب الإعلامي المعـولم على أربعة أبعاد هي ٠٠٠

أ. السياق التفاعلى للعولمة: حيث تتكامل وتتفاعل أبعاد العولمة السياسية والاقتصادية والثقافية والإعلامية لتشكل دوائر التأثيرات الثقافية المتمثلة في قيم ومنتجات العولمة التي يجرى تسويقها عبر آليات سياسية واقتصادية وثقافية وإعلامية.

بدالخطاب الإعلامي المعولم: ويتشكل هذا الخطاب في سياق نظام التصالي عالمي يوحد معايير تقييم الأخبار وإنتاج المفاهيم والصور والمعاني على نحو يساعد في الترويج لثقافة عالمية مهجنة ، تمزج بين الثقافة الغربية والثقافة المحلية حتى تكتمل عملية الامتصاص بشكل تدريجي ويستخدم الخطاب الإعلامي المعولم آليات التفكيك والتشويه والإضعاف والمزج والتهجين إزاء قيم الثقافة المحلية ، ليتكامل دور الخطاب الإعلامي مع دور آليات العولمة السياسية والاقتصادية ، والثقافية المتمثلة في الضغوط الدبلوماسية ، وحملات التشويه الإعلامي ، وفرض العقوبات ، وبسرامج المعونات ومبادرات التغيير المفروضة من الخارج .

ج ـ المتغيرات المؤثرة على استجابات الجمه ورللخطاب الإعلامي المعولم : وتشمل ثلاثة سياسات متفاعلة هي :

١ - السياق المذاتى: ويتضمن معدل التعرض، مستوى الثقة فى الخطاب
 الإعلامى المعولم، صورة الآخر، والرغبة فى التكيف مع ثقافة
 العولمة.

⁽١) محمد سعد أحمد إبراهيم: خطاب العولمة والهوية في وسائل الإعلام الأمريكي الموجهة بالعربية مرجع سابق، ص ١٣١.

- ٢-السياق المحلى: ويتضمن محصلة التفاعل بين المتغيرات التالية:
 (السياق السياسي المحلى، السياق الاقتصادي المحلى، الثقافة المحلية
 ، الخطاب الإعلامي المحلى، الخطاب الديني المحلى)
- ٣- السياق الدولى: ويتضمن تأثيرات العولمة السياسية والاقتصادية والثقافية والإعلامية على السياقات المحلية بأبعادها المختلفة،
 وانعكاس التفاعلات بين الدولى والمحلى على الجمهور
- د التأثيرات الثقافية للخطاب الإعلامي المعولم: وتنقسم إلى نوعين من التأثيرات:
- ١ استجابات المقاومة: وتتمثل في التوجس والخوف من ذوبان الثقافة
 المحلية ، والرفض للانفتاح والتبعية ، والمقاومة للهيمنة الثقافية ،
 والإيهان بالذات من خلال العودة لجذور الهوية والدفاع عنها .
- ٢- استجابات الاستتباع: وتتمثل في الحماس للقيم والمعايير الوافدة،
 والانفتاح على الثقافة الغربية، والتكيف معها واستيعاب أنهاط القيم والسلوكيات والاندماج في ثقافة العولمة.

وفى هذا الإطار يتبنى الجمهور نفس المعانى المستهدفة من قبـل الخطـاب الإعلامي المعولم، الذي يقوم بدوره في تدعيم استجابات الاستتباع ".

إن المولمة ظاهرة ليست ممكنة إلا في إطار بيئة إعلامية عالمية ، شكل جديد من ثقافة وسائل الاتصال ، تسود فيها مجموعة من القيم والمضاهيم والمصور

⁽١) المرجع السابق نفسه ، ص ٦٤.

التى تسهم فى إنتاج نسيج الحياة اليومية ، وصياغة الهوية وفق منظور العقيسدة الليرالية الجديدة .

وفي هذا المجال يمكن أن نوجز سيات الخطاب الإعلامي العمولمي عملي النحو التالي :

اولا: خطاب تبشيرى استعلائى يعكس نزعات الهيمنة والتسلط، والاستبداد ويتناقض في كثير من الأحيان مع ما يدعيه من حريات وحقوق الإنسان.

ثانيا: خطاب هو أقرب إلى العدائى ، يتخذ من الإسلام خصبا حـضاريا ومن ثم يحرض القوى الدولية على التصدى لكل ما هو عربى إسلامى جاعلا منه مصدر الشر والإرهاب .

ثالثا: خطاب أحادى التوجه يستند إلى المرجعية الواحدة ، والنموذج الواحد ويروج للمعايير والقيم ذات البعد والفكر الواحد ويتجاهل التنوع الثقافي وكل أشكال وملامح الذاتية .

رابعا: خطاب اختزالي بخترع صراع الحضارات خطوة على طريـق النفاذ إلى الثقافات المحلية .

خامسا: خطاب أصولى يتجه نحو تسييس الدين ، وتدين السياسة من خلال تحويل القضايا العقائدية إلى مسائل إنسانية مصيرية (١)

إذا كانت العولمة هي عالم أبعد ما يكون عن الدولة ، عن الأمة ، عن الوطن .. إنه عالم المؤسسات، والشبكات العالمية ، عنالم "الفناعلين" وهنم "المسيرون" والمفعول فيهم وهو المستهلكون للسلع والنصور والمعلومنات،

⁽١) المرجع السابق نفسه ، ص ١٣٦.

وإذا كانت العولمة كذلك فإننا كعرب فى أشد الحاجة إلى انطلاقة لآفاق العلم والثقافة فاعلين مؤثرين .. فى حاجة إلى مقاومة الاختراق بتوفير نوع من الحماية لهويتنا العربية ضد أى انحلال أو تلاشى ومن هذا المنطلق لابد أن نأخذ من العولمة ما يساعدنا على التصدى لآثارها السلبية .. الإمكانيات اللاعدودة التي توفرها العولمة أعنى الجوانب الإيجابية منها وهذا ما تفعله الدول الأوربية الآن حيث توظف العلم والثقافة فى الدفاع عن هويتها ، ومحاولة بلورة الركائز الشخصية لمجتمعاتها .

وفي هذا المجال يستغل الإعبلام حيزا واستعافي استراتيجيات الدول السياسية والاقتصادية والعسكرية متخذا من تكنولوجيا الاتصال قوة تأثير غير عادية تفوق قوى الاقتصاد والدبلوماسية ، بل والقوى العسكرية .

وبالقدر الذى أسهم فيه الإعلام الدولى الراهن فى تمكين الثقافات من تجاوز الحواجز التقليدية بين الثقافات ، فقد صاحب هذا الإسهام تدفق غير متوازن للمعلومات بين الشهال والجنوب تدعمه مؤسسات إعلامية دولية لا تتوقف عن تجاوز الخصوصيات الوطنية منتهكة بذلك الثوابت القومية ، مخترقة الحدود السيادية ، تبسط نفوذها عبر الإمكانيات التقنية الكبيرة ، وتكريس إمكانيات البث عبر الفضاء والسؤال الذى نطرحه نحن أبناء هذه الأمة التي كانت قبل قرون وإلى الآن هدفا للاختراق بكل أشكاله .

أين نحن على خريطة العالم اليوم ؟ وعلى هذه الخريطة هل يمكن أن نحتل مكانة توفر علينا تكاليف ضرائب إضافية ندفعها من أجل الحفاظ على هويتنا وأن نكتسب من الماضي بتجاربه سلاحا بمنحنا فرصة عادلة في مواكبة الحياة بشروط أفضل؟ "

إن البث الفضائى الوافد يحمل الكثير من المخاطر عما ينتج عنه إحساس متنامى بفقدان الهوية بين عدد كبير من أبناء الوطن العربسى وبالقدر الذى كانت فيه وسائل الإعلام أحد المصادر الأساسية في تدعيم الهويات الوطنية ، والتأكيد عليها ، فإن هذا الدور ينبغى أن يفعل الآن ، خاصة في ظل التقدم المتكولوجي الهائل الذي تشهده وسائل الاتصال.

إن مقدرة الإعلام على بناء هوية الشعوب من خلال تشكيل إدراك الأفراد لأنفسهم وللآخرين أمر لا يقبل النقاش، ومن ثم يمكن توظيف الإعلام فى بناء أجندة الجمهور، والتأكيد على أولوبات وفعاليات بعينها، وتجاهل الأخرى، ويمكن أن تقدم معلومات تتعلق بسياسات ومصالح، وتجعل الأفراد يعيدون التفكير فى التكلفة والعائد المرتبط بها بمعنى آخر يمكن استخدام الإعلام للتأكيد على هوية معينة من خلال تبيان الفوائد منها "

وإذا كانت هناك اتجاهات تؤمن بالتأثير السلبي لإعلام العولمة وخطره على الهوية متمثلا في قدرة البث التلفزيوني المباشر عبر الفضائيات على اختراق الثقافات القومية وغزو العقول ، فإن هناك من يرى أن مثل هذا الاختراق قد يكون غير منطقى على الصعيد المعاش ، فثوابت الهوية تستطيع أن تقاوم مشل

 ⁽١) صباح ياسين على: مناقشات السيد ياسين في مفهوم العولمة بحوث ومناقشات الندوة الفكرية " العرب والعولمة " (بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية الطبعة الثالثة ، ٢٠٠٠) ص٧١.

 ⁽۲) خيرت معوض محمد عياد: الحوية العربية كمتغير في معالجة الصحافة العربية للفرو
الأنجلو أمريكي للعواق، أبحاث المؤثمر العلمي السنوى العاشر لكلية الإعلام،
جامعة القاهرة، مرجع سابق ص ٧٠.

هذه التأثيرات خاصة وأنه لا يوجد ارتباط إيجابى بين تكنولوجيا الاتصال العالمية وتشكيل الهوية المحلية القومية ، وبالتالى فوسائل الإعلام العالمية لن تؤدى بالضرورة إلى مجتمع معولم تسوده ثقافة واحدة ، ولكن إلى هويات متعددة تتخطى الحدود القومية مؤكدة غيزها وأصالتها

وفى هذا السياق قد تلعب العولمة دور المحرض Provocation حيث تدفع المجتمعات المحلية إلى العودة للثقافات الفردية ، والتقاليد والتمسك بالأرض، والأصول ، والقيم والأصالة

وفي مواجهة المفهوم الكونى للهوية الثقافية ، الذي يرفض فكرة الهوية المحلية نشطت الأدوات الإعلامية المحلية داخل العديد من المجتمعات في عاولة لحاية ملامح وقيم الهوية المحلية ، وقدمت تفسيرا لفكرة الهوية الثقافية الكونية – التبي روج لها منظرو العولمة – في إطار مفهسوم الاستعار الثقافيات والتبي ووج لها منظرو العولمة على إطار مفهسوم الاستعار الثقافي الثقافي با يعكسه من اعتقادات وقيم وأيديولوجيات يتبناها المجتمع المتنافي با يعكسه من اعتقادات وقيم وأيديولوجيات يتبناها المجتمع المنطر فذا المنتج على المجتمعات الأخرى الهامشية التي غيل حلقات أضعف في النظام المالمي ، والاستعار الثقافي بهذا المعنى هو استراتيجية تتبناها الدول المهيئة من ناحية وتجابهها من ناحية أخرى سياسيات محلية في المدول المستقبلة "

وفى مقابل الفكرة التي يطرحها صانعو العولمة ومنظروها حول تقريب وتذويب الحدود والفواصل بين الهويات المحلية كخطوة عملي طريق هويسة

⁽¹⁾Foote, Joe S., the Structure and marketing of global television News, Journal of. Broad casting & Electronics, media, winter 1995, Vol. 39 No.1 p.2.

كونية واحدة مشتركة ، والفكرة النقيضة لها التى تـؤمن بأهمية تفعيل قـدرة الخطاب الثقافي على حماية الهوية المحلية ، في مقابل هـاتين الفكرتين تطرح وجهة نظر ثالثة هي أقرب إلى فكرة توفيقية في إطار الـlocalism ويعنى الرؤية العالمية لما هو محلى . وقبل أن نسأل عن استراتيجية إعلامنا العربي – وخاصة قطاعه الفضائي – في مواجهة خطاب العولمة ، وبيان مـدى تـأثير الاتـصال الدولى على الهوية العربية ، أود أولا أن أقترب من المشهد الراهن للإعلام العربي حيث التحديات التي تواجهه ، ويمكن صياغتها في :

أولا: التقدم العلمى والتكنولوجي الهائل وما يصاحبه من سيطرة لـرأس المال على وسائل إعلام العولمة التي تجاوزت الاقتصاد والسياسة حيث القسيم والأخلاق وأنباط الحياة وتتمثل هذه التحديات في بعض المظاهر منها

ثانيا: الإنسان المعاصر وكيف يعيش في فضاء عالمي لا يعترف بالحدود حيث تتعدد الشبكات والقنوات الفضائية التي تحمل من القيم المغايرة لثقافة المتلقى الكثير.

ثالثا: خلق أنهاط استهلاكية جديدة من خلال ما يحمله الإعلام الوافد من إعلانات تحمل احتياجات وتطلعات أكبر من القدرة الاقتيصادية للجهاهير المتلقية ، وهذا ربها يضعف من الإحساس بالانتهاء لهؤلاء .

رابعا: العولمة التي واكبت ثورة الاتصالات ، وأتاحت الفرصة كاملة أمام صانعها للمتحكم في صناعة المعلومات من خلال الشركات العملاقة والشبكات الدولية .

وإذا نظرنا إلى بعض ملامح المشهد الراهن للإعلام العربي وأين هو من دعم ومساندة الهوية العربية فإننا نلاحظ ما يلي : "

أولا: قسصور في تحقيق تكتسل إعلامي عربسي يسربط بسين الغايسات والإمكانسات وبسين الستعارات والمهارسسات، ويسرتبط القسصور في تحقيس التكامل الإعلامي العربي عنضويا بالقسصور في إحمدات نسوع من التكتل على الصعيد السياسي العربي، وذلك نتيجة لتبعية الإعلام للسياسة.

ثانيا: قصور في البحوث النظرية في مجال الإعلام فيضلا عما تبدين به العديد من أكاديميات الإعلام العربي لتبعية المدارس الغربية.

ثالثاً: تسرب نسبة هائلة من المواطنين العرب إلى منافذ الإعلام الأجنبية لفقدان الثقة في الإعلام العربي

رابصا: هناك العديد من الإذاعسات العربية الموجهة تسذيع ولا تسسمع ، وكالات أنباء عربية ترسل ولا يشاهدها إلا القليل ، وهلى الرغم من وجود (٢٢) وكالة أنباء عربية لا تزال وكسالات الأبنساء الغربية تسستأثر بالساحة العربية .

خامسا: تدفق إعلامى غائب أو شبه غائب ما بين الدول العربية ، فقد ظلت حركة الإعلام العربي المشترك ضعيفة في بلوغ الأهداف القومية ، وسيطرت المصالح القطرية على تحديد مجال حركة الإعلام العربي المشترك .

سادسا: إعلام فضائي معظمه مهاجر في غير موطنه العربي يستورد أكشر موارده الإعلامية من الغير .

 ⁽١) أحمد فتحى سرور: كلمة في افتتاح المؤتمر العلمي السنوي العباشر لكليسة الإعبلام ، مرجع سابق ، ص .ص ٧ . ٨.

وقد أدرك وزراء الإعلام العرب - الذي يسشار إليهم بأصابع الانهام فيها يتعلق بدور الإعلام العربي في توفير المزيد من الرعاية والحهاية للثقافة العربية - خطورة وقدرة الإعلام الدولي المعاصر الذي تحركه الدوائر السياسية والاقتصادية والعسكرية على اخستراق المجتمعات العربية ومن هنا طالبوا في اجتهاعهم الذي عقد بالقاهرة في المجتمعات العربية ومن هنا طالبوا في اجتهاعهم الذي عقد بالقاهرة في المختمعات العربية ومن هنا عناها عن طربيق القطاع الخاص، وتعمل على دعم ومساندة قضايا الثقافة العربية بعيدا عن التوجيهات السياسية.

إلا أن ذلك لا يعنى أننا بلغنا ما نبغيه من الرسالة الإعلامية العربية فلابد أن نكون واعين أن الإعلام العربي لم يبن حتى الآن استراتيجية إعلامية طويلة المدى للتعريف بالهوية العربية "

وعلى طريق الحفاظ على الهوية تواجه الإعلام العربي مشكلات كثيرة لعل أهمها :

أولا: ضعف القطاع الخاص العربي ، وتراجعه أمام المشركات متعمدة المخنسيات التي تصوغ الآن رسائل إعلامية لتوثر في عصد وأسس الثقافة العربية .

ثانيا: ضعف منظمات العمل الإعلامي العربي المشترك فهناك العديد من مؤسسات التعاون الإعلامي بين الدول العربية إلا أن شأنها شأن بقية منظمات العمل العربي المشترك تعبر عن تراجع مستويات التضامن والعمل العربي المشترك لموية العربية.

⁽¹⁾ المرجع السابق نفسه ، ص ٩ .

ثالثا: ضعف فعاليات مؤسسات المجتمع المدنى، وخاصة العاملة والمسئولة عن الإعلام العربى فتلك المؤسسات يمكن أن تلعب دورا هاما وحيويا في مستقبل الرسالة العربية، وكيفية تنميتها المستمرة لمواجهة التحديات الوافدة ، للتوصل إلى اتفاق عربى حول تحديد ماهية مصالح المجتمعات العربية التي يجب كل الأطراف احترامها والعمل في إطارها . وفي هذا الصدد لابد أن نتخلى عن طابع رد الفعل والانفعالية وألا يكون خطابنا الإعلامي تصادميا، بل علينا أن نتعلم مهارات الحوار ، ومناورات التفاوض ، وأن نحدد بدقة محتوى الرسالة الإعلامية وكذلك المتلقى المستهدف من تلك الرسائل.

ولعل أخطر قضايا الإعلام المعاصر بالنسبة للوطن العربي هو أن العالم العربي مازال في موقف المتلقى ، ومازال صوته ضعيفا وغير مسموع في ظل النظام الإعلامي الدولى ، وذلك بحكم ما يتسم به هذا النظام من سيات تعكس الواقع الاقتصادي والثقافي والسياسي ، الأمر الذي يتجسد في وجود خلل في التدفق من الشيال إلى الجنوب، ومن الجنوب إلى الشيال ، وهو خلل كمي وكيفي يؤدي إلى ثلاث ظواهر سلبية "أولها: إن ما ينشر عن العرب وقضاياهم في وسائل الإعلام —عالميا — ومازال معظمه يأتي من دول الغرب . ثانيها : إن جانبا كبيرا من المواد التي ييثها العرب عيا يحدث في العالم من قضايا وأحداث مازال مصدرها الأساسي هو وسائل الإعلام الغربية .

ثالثهما : إن صورة العرب في وسائل الإعلام الغربية مازالت هي الصورة النمطية للعربي المسلم بكل جوانبها وأبعادها السلبية .

 ⁽¹⁾ مفيد شهاب: كلمة في افتتاح المؤتمر العلمي السنوى العباشر لكلية الإعلام جامعة القاهرة، مرجع سابق ٢٠.

ويزيد تفاقم هذا الخلل الإعلامي انشغالنا في العالم العربي بمخاطبة أنفسنا والصراع العربي العربي من جانب، والتركيز في المواد الإعلامية على ما يرفه ويمتع ويجذب المشاهدين من خلال طابع تجاري غالب على وسائلنا الإعلامية ، خاصة الفضائيات

وإذا كنا نتحدث عن استراتيجية إعلامية عربية قادرة على توفير نوع من الحهاية للهوية العربية فإن هذا ليس غاية ما تأمله من إعلامنا فالأمر قد يتجاوز ذلك إلى محاولة دفع الهوية العربية خطوات على طريق التفاعل مع الهويات الأخرى من منطلق إحداث تغييرات عصرية مطلوبة لهويتنا بها لا يتعارض وثوابتنا الثقافية.

إن السياسة الإعلامية تمثل واحدا من المحاور الهائلة لتحقيق التقارب بين الشعوب، وترسيخ المفاهيم الإيجابية لكل حضارة عن الأخرى، وأن الرسالة الإعلامية قادرة على أن تزيل الكثير من الجوانب السلبية المغلوطة عن المخارات الأخرى.

ونجاح الإعلام العربى في إحداث نوع من التوازن بين الحفاظ على الهوية ، وتطويرها وإخراجها من دوائر الحملة الشرسة التي تحاول النيل منها يفرض علينا فكرا يخاطب الآخرين بلغتهم وأساليبهم ، وكخطوة على هذا الطريس فإننا مطالبون بتجاوز القضايا والخلافات الإعلامية القطرية ، والتركيز على بناء منظومة إعلامية عربية قادرة على الاستجابة لمتطلبات الحوار بين الحضارات .

إن مقاومة الهوية العربية لكل أشكال الاختراق في وقت يعيش فيه إعلامنا العربي ما يسمى بالصدمة الناتجة عن قوة الإعلام الدولي المعاصر هذا إلى جانب ما تعانيه معظم المنظات الإعلامية العربية من مشكلات أساسية لعل أهمها:^{١٠}

- ١ غياب التخطيط الاستراتيجي لمواجهة التكتلات الإعلامية الدولية.
 - ٧- ضمور الإنتاج العربي وشح الإبداع .
- ٣- الاعتباد على الرسائل الإعلامية الأجنبية ، وإعادة بثها إلى المواطن العربي .

إن بقاء هويتنا مرتبط إلى حد كبير بتغير العقلية التى تدير الإعلام العربى على المستويات القطرية، وخاصة الإعلام الخارجى، وهو ما يتطلب أن يعى جيدا واضعو السياسات الإعلامية المتغيرات الدولية المحيطة، وكيفية توظيف قنواتهم الفيضائية لحدمة سياساتهم الخارجية القومية والقطرية، وبعدور المتغيرين الإعلامي والثقافي في التعامل مع المتغيرات البيئية، وأن يعدركوا حتمية التعاون المشترك.

وطالما أن الإعلام العربي على المستوين القومى والقطرى مسيس فإن تحقيق انطلاقة إعلامية تساعد على نشر الثقافية العربية خسارج حدودها ، وتعمل على تغيير صورة العرب النمطية التي عرفت طريقها إلى الغرب تحتاج إلى أن يعى قادة النظم السياسية أولا دور المتغيرات الإعلامية والثقافية في إدارة البيئة الدولية ، وبأهمية التعاون مع الأشقاء ، مع الالتزام بتوفير المخصصات المالية التي يحتاجها هذا التعاون والمشاركة الإيجابية في إطار مؤسسي يتولى المبحث والتفكير والتخطيط والإنتاج المشترك ، وبدون توافر وعى قادة النظم البحث والتفكير والتخطيط والإنتاج المشترك ، وبدون توافر وعى قادة النظم

 ⁽۱) أحمد فتحى سرور: كلمة في افتتاح المؤتمر العلمي السنوى العماشر لكلية الإعملام
 جامعة القاهرة ، مرجع سابق ، ص١٠.

السياسية سيظل العمل العربي على حالته الراهنة من المضعف والوهن، والخمول وبطيء الاستجابة"

إن الحفاظ على الهوية الثقافية والحضارية أصبح التحدى المطروح علينا بشدة في عصر السهاوات المفتوحة التي تكتظ بالأقهار السهناعية التي تحمل مثات القنوات التلفزيونية من كل أنحاء الدنيا بها تحمله من تـأثيرات مختلفة تشكل الفكر والوجدان على السواء "

وتنطلق الشعوب في هذا القلق من حقيقة أن العلم بطبيعته عالمي ولكن الثقافة بطبيعتها ليست عالمية، وإنها هي تعبير أمين وصادق عن الذاتية سواء كانت ذاتية المثقف أو المبدع بالدرجة الأولى، أو الذاتية القومية التي يستمد منها هذا المثقف أو المبدع ذاتيته الخاصة، وكلها كانت الثقافة أمينة وصادقة في التعبير عن ارتباطها بجذورها الأصلية الضاربة في أعهاق التاريخ ومنظومة القيم المختلفة والتراث الثقافي والفني والمشعبي والمرتبطة في نفس الوقت بقضايا الواقع المعاش وطموحات وآمال المستقبل لهذا الشعب أو ذاك، كلها كانت متميزة وكلها كانت قادرة على النفاذ من النطاق الإقليمي إلى النطاق العالمي الواسع، والأدباء الكبار الذين يفوزون بجوائز "نوبل"، ويصبحون العالمي الواسع، والأدباء الكبار الذين يفوزون بجوائز "نوبل"، ويصبحون

 ⁽١) راسم محمد الجهال: كيف يمكن تقديم الصورة الحضارية العربية للمشاهد الأجنبى عبر الفضائيات العربية في:

القنوات الفضائية العربية في خدمة الثقافة العربية الإسلامية (تونس المنظمة العربيسة للتربية والثقافة والعلوم ،١٩٩٨) ص ٢٢٤.

 ⁽٢) أمين بسيونى الحوية الثقافية العربية في عصر الفضاء في :
 القنوات الفضائية العربية في حزمة الثقافة العربية الإسلامية ، مرجع سابق ص
 ٢٥٩.

أدباء عالمين إنها يحققون هذه المكانة بصدقهم الشديد في التعبير عـن الأرض التي ينطلقون منها والثقافة التي ينتمون إليها"

وما بين التواصل الثقاق ، الذي يستند إلى حرية التعبير عن الذات وحرية التعرف عن الأخر، والاستنباع الثقافي الذي يقوم على الانسصياع والإذعبان ينقسم قادة الخطباب العربي إلى ضريقين : الأول يسدعو لمزيسد من التمسك بالأصول والهوية ، على اعتبار أن هذا التمسك بمثابة خط السدفاع الأول الحاجز الذي يتصدى لكل محاولات الغزو الثقافي.

أما الفريق الناني فأصحابه أقرب إلى فكرة الهوية العالمية التي تتجاوز التجمعات الاجتماعية داخل الأوطان ، فالأرض عند هولاء مدينة إنسانية تستحق أن تسمى المجتمع المدنى العالمي

وفى إطار هذه الجدلية القائمة أصبحت القضية التى تستحوذ على اهنهام الكثيرين هى: كيف يمكن لأمة أن تزاوج ما بين الأصالة والمعاصرة حتى تواجه تحديات وإشكاليات البقاء ؟ وكيف تمنح الأجيال القادمة مهمة رسمية تطالبهم بالسعى لتحقيق مركز متميز في سباق التقدم والريادة في ظبل سيادة التقنية والعولة دون أن يعنى ذلك تخليهم عن جندورهم الأصلية وهوية تاريخهم الخاص

ومن هذه الجدلية يبرز التحدى ، كيف يمكن تحقيق طرنى المعادلة .. الحفاظ على الهوية ، والانفتاح على العالم للإفادة من ثمرات المعرفة الإنسانية؟! .. وما هو الدور الذي ينبغي أن تلعبه الفضائيات العربية في هذا المجال ؟

⁽١) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٥٩.

إن الحفاظ على الهوية ، هذا الشعار الذي ترفعه الشعوب لا يمكن أن يتحقق من تلقاء نفسه ، كها أنه ليس موضوعا قياصرا على النقياش والجدل ولكنه عمل قومي ينبغي أن تتضافر الجهود لتحقيقه ، وهنا ينبغي أن تلعب الفضائيات العربية الدور المنوط بها فهذه المنابر الإعلامية مسئولة عن ربيط الإنسان العربي بجذوره الأصلية المستمدة من قيمه الروحية وحضاراته وتاريخه وثقافته وتقاليده الطيبة و الوعي العميق بقضاياه المعاشة وطموحاته وآماله القومية ، وتشكل درع الوعي الذاتي الذي يجعله قادرا على التعابش مع عصره والتعامل معه بتضع يستطيع من خلاله أن يقرق بنفسه بين الثمين الذي يفيده ويضيف إليه ، وبين الغث أو السلبي الذي يمكن أن يوثر على هويته .

ولكى تتمكن هويننا من البقاء على الإعلام العربي أن يعي تماما خطورة هذه المرحلة بالنسبة لوجوده ، عليه أن يعيد ترتيب أوراقه مرة ثانية واضعا في اعتباره الدور الذي تقوم به الشركات متعددة الجنسيات في صياغة رسائل إعلامية من القوة بمكان يسمح لها بالتأثير في أسس وأبجديات الثقافة العربية

على الإعلام العربى أن يطور أجهزته على الأرض ، فهذه الأجهزة هـى الركيزة الأساسية ، وقاعدة الانطلاق لحندسة فسضائية عربيسة تراعى الثقافسة العربية ، وتعمل على دعمها ومساندتها وصولا للحفاظ على الحوية

إن توفير البديل الفضائي العربي جنباً إلى جنب مع القنوات الأجنبية من منطلق أن التواجد الفضائي العربي - بشرط أن يكون تواجدا لاثقا - هو الزاد الذي ينعش ذاكرة الإنسان العربي بكل ما يحافظ لمه على هويته ، ويعمق انتهاءه، ويجعله قادرا على التعامل مع عالم بلا حدود ثقافية

إن الأسلوب الأمثل للتعايش في عصر الفضاء هو أن نعطى ونأخذ، نؤثر ونتأثر، يكون لدينا ما نقدمه من عطاء قبل أن نتطلع إلى الاستفادة من عطاء الآخرين^{،،}

وحتى يستطيع إعلامنا العربي المساعدة في الحفاظ على الهوية العربية يجب الأخذ بالاعتبارات المتالية :**

أولا: تطوير الإنتاج الفضائي العربي وجعله أكثر تنوعاً، وهذا ينبغي جذب اهتهام القطاع الخاص العربي للإسهام في الإنتاج الإعلامي والثقافي بحيث يتبنى من خلال مؤسسات إنتاجه أعهال تكفى احتياجات القطاع الفضائي العربي وتدر ربحا من خلال قاعدة التسويق الواسعة على مستوى الوطن العربي

ثانيا: جذب المشاهد العربى ، وربطه بوطنه العربى وجعله أكثر انستهاء ، وحرصا على العادات والتقاليد العربية .

ثالثًا: دراسة الجمهور المستهدف، وتقسيمه إلى فئات وشرائح، واستخدام الاستهالات المواتية لكل فئة حتى يلبي الإعلام العربي احتياجات مشاهديه.

رابعا: الحرص على إعداد ، وإنتاج برامج عربية مشتركة تتوافر فيها كل أساليب الجذب من حيث الشكل ، وكذلك الموضوعية من حيث المضمون لكى تجذب المتلقى العربي بعيدا عن البرامج الوافدة .

خامسا: التأكيد دائها في الإنتاج العربي على منظومة القيم التي تشكل خصوصية الثقافة العربية .

⁽١) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٦٣.

 ⁽۲) أحمد فتحى سرور: كلمة في افتتاح المؤتمر العلمي السنوى العاشر لكلية الإعملام
 جامعة القاهرة ، مرجع سابق ص ١٣.

سادسا: التحاور مع الثقافات الأخرى من موقع الندية لا التبعية .

سابعا: الاهتمام بالأقليات المقيمة خارج الحدود التي يجب أن نظـل عـلى صلة بالموطن الأم لتعميق الشعور بالانتهاء ، والتأكيد على الهوية العربية .

ثامنًا: التنسيق والتكامـل بـين المؤسسات الإعلاميـة العربيـة وكـذا المؤسسات الثقافية والأكاديمية لرفع وعى المواطن العربي

تاسعا: التكامل لا التنافس بين الفضائيات العربية من خلال استراتيجية محدودة المعالم بحيث تنافس الفضائيات الأجنبية الموجهة إلى المنطقة العربية ، وتحد من تأثيرها على الهوية الثقافية العربية.

وعلى طريق الحفاظ على الهوية ودعمها والدور الذي ينبغي أن تلعبه الفضائيات العربية ينبغي أن تكون قضية بناء وتنمية الإنسان العربي في مقلمة اهتهامات هذه القنوات في كمل ما تبشه من منضامين، وفيها تتناوله من موضوعات وقضايا ، ينبغي أن توازن بين طرق معادلة الأصالة والمعاصرة ، واضعة في اعتبارها حماية العقل العربي من الاختراق .

الخسلاصة ..

إن الهوية هي التفرد ، وما يميز الذات عن غيرها ، هي صفات تشترك فيها مجموعة من البشر ، وإذا ما ذكرت " الهوية " اقترنت بها "الهوية الثقافية" التي تصير ، وتنمو ، وتخطو على طريق الانكهاش أو طريق الانتشار . ولا تكتمل الهوية الثقافية ، ولا تبرز خصائصها الحضارية إلا إذا تجسدت مرجعيتها في كينان عناصره : الوطن ، والأمة ، والدولة

والحدود التي تنشأ فيها هوية الأمة الثقافية ليست كها يقال أزلية ، ولا هي ظرفية متغيرة. وبعبدا عن المعنى اللغوى والدلالى لكلمة الهوية ..عن الكسم الهائل من وجهات النظر المصاحبة للنقاش الدائر الآن حول مفهوم الهوية وكيفية الحفاظ عليها هناك مجموعة من الثوابت اتفق عليها لعل أهمها :

- ١ إن الهوية نمط معيشي يتفاعل مع المتغيرات ، ولكنه لا يتلاشي .
- ٢- الحفاظ على الهوية لا يعنى الانطواء على الذات ، وإنها يعنى المزيد من
 التفاعل المتزن مع الثقافات الأخرى .
- ٣- إن رسم حدود الهوية على الصعيد المعاش ربها يكون من الأمور السائكة
 فالهوية مفهوم أيديولوجي أكثر منه علمى .
- ٤ للإعلام دور ينبغى أن يلعبه فى دعم الهوية ، ودفعها خطوات على طريـ ق
 البقاء والاستمرارية.

والوقوف على ماهيات الهويات العربيات يعنى التأكيد على بعاض الجوانب منها :

- ١ قبول فكرة تعدد الهويات ضمن الهوية العامة المشتركة ، وفي ذلك إثراء
 ودعم الهوية .
- ۲- النظر إلى الهوية على اعتبار أنها حالة دائمة من التطور، ولا شك أن الهوية العربية لم تصل إلى مرحلة الاكتبال، وذلك بسبب عجز العرب عن بناء منظومة اجتباعية تراعى حقوق الإنسان وحريته في ظل نظام سياسي أقل ما يوصف به أنه استبدادي يتعارض مع فكرة العمل العربي المشترك

والتحديات التي تواجه الهوية العربية تنقسم إلى:

تحديات خارجية وأخرى داخلية ، ويتمثل النوع الأول من التحديات في الآثار السلبية المصاحبة للإعلام العولمة الذى قد يحمل معه خطرا يهدد يفقدان الحوية العربية .

أما التحديات الداخلية فتتمثل في فياب دور الأسرة في التنشئة، وتعدد نظم التعليم إلى جانب شيوع اللجهات الدارجة بها فيها من تعبرات تعكس مدى اتحدار المستوى اللغوى في المنطقة العربية.

وفى ظل إعلام العولمة نحن فى أشد الحاجة إلى انطلاقة واعية نحو آفاق العلم والثقافة ، فاعلين مؤثرين .. فى حاجة إلى تغيير فكر مقاومة مشل هذه التيارات الإعلامية ، لا نستطيع أن نكون بمعزل ، وكيف ونحن نحاط بهذا الوابل من المنتج الإعلامي العالمي العالمي ؟!.

ينبغى أن نأخذ من العولمة ما يساعدنا على التصدى لآثارها السلبية وهنا تتساءل هل تستطيع البقاء والاستمرار ؟! هل تستطيع الهوية العربية أن تقاوم كل هذا الضغط الإعلامي؟! . وفى مثل هذه التحديات يطرح السؤال نفسه .. أين الإعلام العربى ؟! استراتيجياته ، مؤسساته ، قاعلوه ؟ وهل تعى أجهزة إعلامنا العربى خطورة مثل هذه التحديات ؟!

إن المشهد الراهن للإعلام العربي بيكشف عن :

- ١ غياب كامل لفكر النكتل الإعلامي الـــذي يمكن أن يواجــه مشــل هـــذه
 الاختراقات الثقافية التي تتعرض طه المجتمعات العربية
- ٢- نقص البحوث النظرية والمبدانية التي ترصد تأثير مثل هذا الاختراق على
 منظومة قيمنا العربية .

هذا بالإضافة إلى انعدام الثقة بين المواطن العربي وأجهزة إعلامه وفيها يتعلق بالهوية العربية ودور الإعلام في الحفاظ عليها يأتي الخطاب الإعلامي العربي في اتجاهين: الأول: يدعو إلى التمسك بالأصول والهوية، ويعتبر أن هذا التمسك هو خط الدفاع الأول، والحاجز الذي قد تتحطم عليه هجمة الاستتباع والإلغاء رمزيا وثقافيا. أما الانجاء الثاني، فيدعو إلى السعى وراء تكوين هوية عالمية جامعة، تؤسس على قاعدة حقوقية تبنى على أساس مصالح مشتركة جديدة تتخطى الجاعات الفرعية والأوطان جاعلة من الأرض كلها مدينة إنسانية تسمى المجتمع المدنى العالمي.

إن الحديث عن استراتيجية إعلامية عربية قادرة على توفير نوع من الحماية للهوية العربية يقودنا إلى إمكانية أن تدفع هذه الاستراتيجية هويتنا خطوات على طريق التفاعل مع الهويات الأخرى من منطلق إحداث تغيرات عصرية لا تتعارض وثوابت الهوية.

وعلى هذا الطريق كفانا انفعالية فى خطابنا الإعلامى .. كفانا ردود أفعال تصادمية مع الآخر.. علينا أن نتعلم مهارات الحوار، مناورات التفاوض ومخاطبة الآخرين بلغتهم وأساليبهم ، والتركيز على بناء منظومة إعلامية عربية قادرة على الاستجابة لمتطلبات الحوار بين الثقافات .



المحتويات

الصفحت	الموضوع			
	الباب الأول			
13	أنظمت الإعلام الفضائي العربي والواقع الثقافي			
15	الفصل الأول: المجتمعات العربية وتكنولوجيا الاتصال.			
	الفصل الثاني: القطاع الفسطائي العربسي وتحديات			
43	الألفية الثالثة			
	البابالثاني			
79	الفضائيات العربيت والثقافة الشعبية			
	الفصل الأول : منطلقات الدعوة إلى تنصعيد أهميت			
81	الثقافة الشعبية			
113	القصل الثاني : آليات هذا التصعيد			
	الباب الثالث			
145	خطاب العولمة والهوية العربية			
147	الفصل الأول: الاتصال الدولي وأزمة الهوية العربية			
	الفصل الثاني: الإنتاج الفضائي العربي ودور مستقبلي			
173	في دعم الهوية العربية			
				

